مركز البحوث العربية

لجنة توثيق تاريخ الحركة
الشيوعية المصرية
حتى ١٩٦٠

من تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر

شهادات ورؤى

الجزء الثانى

ثريا إبراهيم | سيد عبد الوهاب ندا | فخرى لبيب
فرنسيس كيرلس | متولى محمد بحر | محمد فخرى
محمد الجندى | وداد مترى | يوسف درويش

تقديم

د. عاصم الدسوقى

المحتويات

تصدير

د. عاصم الدسوقى

يختص هذا الجزء من «شهادات ورؤى أعضاء الحركة الشيوعية فى مصر» بتسع شهادات انتمى أصحابها فى الأصل إلى ثلاث منظمات : الحزب الشيوعى المصرى (الراية)، والحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، ومنظمة اسكرا (الشرارة)، وجاء ترتيب نشرها طبقاً للحروف الأبجدية ولعله يكون معياراً مقبولا لدى أصحاب الشهادات.

والشهادات التى بين أيدينا شأن التي نشرت فى الجزء الأول لم يقتصر حديث أصحابها على تجربتهم النضالية منذ بدايات التعرف على الماركسية، ثم الدور التنظيمى، والنشاط السياسى، بل لقد تجاوزت الإحاطة بتلك الوقائع إلى الرؤية الذاتية للحركة، وهى رؤية تحمل قدراً كبيراً من النقد الذاتى الذى يكاد أن يكون فى بعض جوانبه نقداً موضوعياً .. ولم لا والزمن قد بعد من ناحية، وأطراف الصراع هدأت من ناحية أخرى، وأصبح من الممكن التأمل فيما مضى بقدر من التجرد، رغم أن ماضى الملاحقات ومتابعات السلطة لم يتوقف لأن البعض ظل على قائمة الاعتقالات حين نزل ضيفًا على السلطة لبعض الوقت فى سنوات ١٩٧٨، ١٩٨١، ١٩٨٩ لأسباب تتعلق بالموقف من اتفاقية كامب ديفيد، واغتيال السادات.

والحقيقة أن الشهادات في مجملها تعد مصدراً للتعرف على الواقع الاقتصادى – الاجتماعى فى مصر منذ الثلاثينيات .. كيف كانت الإدارة السياسية في مصر فى خدمة رأس المال سواء كان أجنبياً أم مصريا ... كيف كان التفاوت الطبقى وسيطرة الانجليز على مقدرات البلاد وتغلغلهم فى كافة الإدارات وراء الوعى... وكيف كانت الحركة الشيوعية وراء تثقيف العمال سياسيا وتنمية الوعى لديهم بالصراع الطبقى .. وكيف ارتبط معظم الأعضاء بالحركة وهم تحت العشرين أو ما يزيد قليلا، وهم فى مرحلة من العمر يسهل فيها التقبل والتعلم، والتمذهب.

وهذه الشهادات التى تعتبر درجة من المذكرات الشخصية تكشف للقارئ بعضا من وسائل التنظيمات الشيوعية في كيفية الاتصال بين الأعضاء، وتوزيع المطبوعات، وتحقيق درجة

«الأمان التنظيمى»، وحياة السجون والمعتقلات، وحقيقة الاحتراف الثورى وشروطه وفاعليته، وغير ذلك من خصوصيات العلاقات داخل الحركة الشيوعية.

وفى الشهادات محاولات من جانب البعض لتحليل الانقسامات التى اتصفت بها الحركة الشيوعية فى مصر، ومحاولة تحديد الأسباب وراء كل انقسام ومراجعة ما سبق اعتماده من أسباب، وبيان دور السلطة فى اختراق صفوف الحركة الشيوعية باستقطاب عناصر معينة .. ولماذا ضمت الحركة تيارات كل منها يناقض الآخر .. تيار ثورى يقابله تيار انتهازى، وتيار يسعى لتوحيد فصائل الحركة يقابله تيار يركز على التفتيت والانقسام ... وكيف أن السبب وراء هذه الانقسامات قد يكمن فى وجود عدة مرجعيات تقود الحركة بدلا من مرجعية واحدة، ومن هنا - كما تدلنا الشهادات - وقف كل تنظيم ضد الآخر، وكل تنظيم كان يعتبر نفسه أنه الوحيد الذى على صواب والتنظيمات الأخرى على خطأ، وكل انقسام يؤدى إلى آخر، فتبددت الجهود وتعددت التنظيمات، حتى أصبح من الصعب التمييز بدقة بين أسماء التنظيمات، أو تحديد فروق دقيقة تبرر الانقسام. على أن الذى يلفت النظر بعد تلك السنوات فى كل الشهادات، المرارة التى ماتزال فى الحلوق من وقوع الانقسامات، ومن الشللية التى سيطرت على بعض التنظيمات، ومن التصفية التى تمت فى عام ١٩٦٤.

وتحمل الشهادات رؤى للواقع السياسى فى مصر منذ ١٩٥٢ وتطوراته، والانقسام فيما بين التنظيمات حول سياسات جمال عبد الناصر ما بين الاعجاب والتأييد لوقوفه ضد الاستعمار ورعاية العمال والفلاحين، والسخط الشديد عليه لخنقه الحريات الحزبية، وقد انطلق هؤلاء من المقولات الثابتة بشأن الجيش والسياسة.

وتشير الشهادات فى معرض ذكر الوقائع والمواقف إلى أسماء كثير من الرفاق ما يزالون على قيد الحياة، وهم بهذا مدعوون من جانب لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر إلى تقديم شهاداتهم الخاصة اسهاماً منهم فى توثيق صفحة مجيدة من تاريخ حياتهم فى النضال ولمساعدة الباحثين فى كل مكان على دراسة الحركة الدراسية العلمية الواجبة.

ويبقى القول أن شهادة يوسف درويش فى تقديرى لها طعم خاص وسط الشهادات المنشورة فى هذا الجزء نظراً لأنه أكبر شهوده سنا (مواليد ١٩١٠)، وتجربته تختلف نوعاً ما بما شهدته من تحولات على المستوى الدينى والمحلى والخارجى.

إن هذه الشهادات التى تنشر كما كتبها أصحابها تمثل أحد مصادر دراسة تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر وهو أحد أهداف لجنة التوثيق.

شهادة

ثريا إبراهيم

البيانات الشخصية

الاسم : ثريا سيد إبراهيم.

تاريخ وموطن الميلاد : مواليد القاهرة.

المؤهلات الدراسية : ثانوية عامة.

بيانات عائلية أخرى

ولدت في شبرا، ولذلك بدأت علاقتي بالسياسة من هذه النقطة. فجيران أمي سنة ١٩١٩ كانوا ثوريين، وهم عائلة حفني ناصف، لم أكن قد ولدت بعد. وكانت والدتي تخبئ لهم المنشورات والمسدسات في بسطه الجاز. كانت تحكي لنا هذه الأشياء. وكان والدي أيضًا له علاقة بالسياسة وكان وفديًا، لم يكن وفديًا كبيرًا، ولكنه كان ينتمي للوفد.

أما أخوتي، فقد كان لي أخ دكتور، وأخان محاسبان. كان أصحابهم، في زمن الجامعة، في الطليعة الوفدية، وكانوا يأتون بالأشياء لتخبئتها في المنزل تربيت في هذا الجو، لكنني لم أكن أعرف الطريق، كانت هذه حكايات تحكي في البيت، كانوا يقولون، كنا نعمل كذا مع هؤلاء الناس وكانوا ثوريين، وكانوا عظماء، وأنا كنت مازلت صغيرة، وعندما كبرت كانت هذه الأشياء في رأسي ولكنني لا أعرف طريقي، إلى أن عرفت زوجي، تعرفت عليه عن طريق صديق لنا، قال لي أنه شاب كويس جداً، وأنه يمكنه توصيلك إلى الأفكار التي تبحثين عنها، وعرفني بالفعل على أشياء لم أكن أعرفها. أول شئ أثر فيّ هي رواية الأم (لمكسيم غوركي)، لقد أثرت في جدا، وبعدها المادية الجدلية والمادية التاريخية الفلسفية. ثم وجدت نفسي في تنظيم ما، اسمه نواة الحزب الشيوعي المصري.

المحاورة : ذكرت لي أن جو البيت وصلك لهذا ولكنك كنت لا تعرفين الطريق، ألم يساعدك أخوتك في هذا؟

أ. ثريا : أخوتي كان لهم أصدقاء ثوريون هم المشاركون بصفة مباشرة. كانوا يساعدونهم فقط.

المحاورة : هل وجدت اعتراضات عندما بدأت تدخلين في هذا النشاط؟

أ. ثريا : وجدت اعتراضات قطيعة، ما عدا والدتي، هي الوحيدة التي كانت تشجعني. ثم

أ. ثريا : جداً، السيدة فى المنزل وتنتج، وتأتى لها فلوس مكسب، كنا نرعى الأسرة بهذه الطريقة وليس عن طريق اعطائها فلوس (بلغة اليوم تنمية الأسرة) .

بعد ذلك، عندما أخذت المرأة حق الانتخاب، عملنا لجنة توعية انتخابية. كانت هذه المجموعة هي أول من سعى لعمل بطاقة انتخابية. كانت الاستجابة هائلة، إذ كن يدركن أنك تقومين بعمل حاجة هى أمنية حياتهن.

الناحية الأخرى، جمعية نهضة المرأة. كانت عبارة عن بيت مغتربات (من سوريا، ولبنان يأتين للجامعة). بعد حرب ٥٦ البنات كلهن سافرن بعد أن أغلقت الجامعة، وأصبح المكان خاليا، نحن استغلناه استغلالاً حسناً. كان لابد من الاشتراك مع الاتحاد القومى (كان هناك أشياء لا تستطيعين عملها وحدك). أنا فقط أريد التأكيد على أنني لم أدخل إلى الحزب الاشتراكي، أو الطليعى، هذا كان موقفى، لكن فى هذا الوقت كان لازم الاشتراك معهم. عندما أعلن عن تأميم القناة، قلنا لازم هتقوم حرب، بدأنا فى طباعة بطاقات تطوع، وبدأنا فى الاجتماعات، وملأنا الاستمارات وكونا اللجنة النسائية للمقاومة الشعبية (كلهن سيدات)، لجنة إسعاف وتمريض، لجنة دفاع مدني، لجنة أسر المهاجرين، لجنة خياطة. فمثلاً، لجنة الإسعاف والتمريض يدربن في المستشفيات ويأخذن شهادات بذلك، لجنة الإعاشة، كانت تأتي أسر من منطقة القنال، فنبدأ نعرفهم على الأسر التى نرعاها، ولم يكن لديهم مكان فنسكنهم فى بيت المغتربات (جمعية نهضة المرأة). بعد أن قمنا بفرش المكان وكنا نقوم بإعداد الطعام لهم الثلاث وجبات، الإفطار والغذاء والعشاء. أي إعاشة كاملة. لا تتخيلى السيدات اللاتي تقابلهن ولا تتصوري أنهن لم يكن يملكن أى شئ، وعندما كنا نطلب منهن تبرعات، كانت الواحدة منهن تعطينا كل شئ فى بيتها، وكانت تبدو متحمسة وراقية ونقية. خلاف الوضع الآن تماما. كن سيدات بسيطات، وكن يأتين بالأكل مطهوا. من كانت تأتى بحلة مكرونة أو حلة محشي. كان التجاوب شديداً. بالنسبة للجنة الخياطة، كانت هناك سيدة تسمى زهرة رجب (أخت د. رجب أستاذ البرديات)، كانت بعد ذلك نائبة الجيزة، وكانت سيدة اجتماعية قد قامت بافتتاح ورشة خياطة (لا أعرف لماذا عملتها) ثم حولتها إلى ملابس للجنود. فكانت السيدات يذهبن للخياطة، متطوعات، عملنا مجلة حائط. نكتب فيها كل يوم آخر الأخبار وتعلق على الباب (كانت على شكل فيلا).

كانت «نهضة المرأة» علي شارع الهرم العمومي (بعد النفق). كنا نكتب فى مجلة الحائط

أ. ثريا : جداً، السيدة فى المنزل وتنتج، وتأتى لها فلوس مكسب، كنا نرعى الأسرة بهذه الطريقة وليس عن طريق اعطائها فلوس (بلغة اليوم تنمية الأسرة) .

بعد ذلك، عندما أخذت المرأة حق الانتخاب، عملنا لجنة توعية انتخابية. كانت هذه المجموعة هي أول من سعي لعمل بطاقة انتخابية. كانت الاستجابة هائلة. إذ كن يدركن أنك تقومين بعمل حاجة هى أمنية حياتهن.

الناحية الأخرى، جمعية نهضة المرأة. كانت عبارة عن بيت مغتربات (من سوريا، ولبنان يأتين للجامعة). بعد حرب ٥٦ البنات كلهن سافرن بعد أن أغلقت الجامعة، وأصبح المكان خاليا، نحن استغلناه استغلالاً حسناً. كان لابد من الاشتراك مع الاتحاد القومى (كان هناك أشياء لا تستطيعين عملها وحدك). أنا فقط أريد التأكيد على أنني لم أدخل إلى الحزب الاشتراكي، أو الطليعي، هذا كان موقفي. لكن فى هذا الوقت كان لازم الاشتراك معهم. عندما أعلن عن تأميم القناة، قلنا لازم هنقوم حرب، بدأنا فى طباعة بطاقات تطوع، وبدأنا فى الاجتماعات، وملأنا الاستمارات وكونا اللجنة النسائية للمقاومة الشعبية (كلهن سيدات)، لجنة إسعاف وتمريض، لجنة دفاع مدني، لجنة أسر المهاجرين، لجنة خياطة. فمثلاً. لجنة الإسعاف والتمريض يدربن في المستشفيات ويأخذن شهادات بذلك، لجنة الإعاشة، كانت تأتى أسر من منطقة القنال، فنبدأ نعرفهم على الأسر التى نرعاها، ولم يكن لديهم مكان فنسكنهم فى بيت المغتربات (جمعية نهضة المرأة). بعد أن قمنا بفرش المكان وكنا نقوم بإعداد الطعام لهم الثلاث وجبات، الإفطار والغذا، والعشا. أي إعاشة كاملة. لا تتخيلى السيدات اللاتى تقابلهن ولا تتصوري أنهن لم يكن يملكن أى شئ، وعندما كنا نطلب منهن تبرعات، كانت الواحدة منهن تعطينا كل شئ فى بيتها، وكانت تبدو متحمسة وراقية ونقية، خلاف الرف الأن تماما. كن سيدات بسيطات، وكن يأتين بالأكل مطهوا، من كانت تأتى بحلة مكرونة أو حلة محشي. كان التجاوب شديداً. بالنسبة للجنة الخياطة، كانت هناك سيدة تسمى زهرة رجب (أخت د. رجب أستاذ البرديات)، كانت بعد ذلك نائبة الجيزة، وكانت سيدة اجتماعية قد قامت بافتتاح ورشة خياطة (لا أعرف لماذا عملتها) ثم حولتها إلى ملابس للجنود. فكانت السيدات يذهبن للخياطة، متطوعات، عملنا مجلة حائط. نكتب فيها كل يوم آخر الأخبار وتعلق على الباب (كانت على شكل فيلا).

كانت «نهضة المرأة» علي شارع الهرم العمومي (بعد النفق). كنا نكتب فى مجلة الحائط

شعر، نداءات، وآخر الأخبار وآخر ما توصلنا إليه. كنا نأتي لهن بسينما من المركز الثقافي السوفيتي، عن حرب فيتنام وما شابه ذلك. كنا خلية نحل.

وفي أيام الحرب أيضًا سافرت مجموعة من النساء كانت إحداهن ليلى الشال. طبعًا كان الاختيار للأقدر والأفضل. في هذه الأيام كان شيء فوق الخيال، المرأة تقوم بدورها في القتال، وتستعمل المدافع.

وكانت شعاراتنا في انتخابات ١٩٥٧ الأجر المتساوي للعمل المتساوي، إجازة وضع بالمرتب. وكنا نقول للسيدات العاملات ذلك، ووضعناها في أولويات المرشح (وكان أبو الفضل الجيزاوي) مع ناحية المرأة، وكنا ندخل معهن في أحوالهن في المصنع. كنا نقول لهن لابد أن تطالبن بدار حضانة. وجاءت القرارات بعد ذلك بأن دار الحضانة لأكثر من ٩٠ موظفة. كانت لدينا مجموعة مطالب نشد بها انتباه العاملات، وكان ذلك يشدهن بالفعل، لأنه عندما تعمل المرأة بدون أي حقوق، تكون حالتها تعسة جداً. هي عندها مشاكل تعيش بها، ولا تعرف كيف تحلها، فيقوم الزملاء الشيوعيون بحلها عن طريق تدخلهم في النقابات بشكل كبير جداً.

المحاورة : ألم تقابلكن صعوبات؟

أ. ثريا : لا، كانت لنا علاقات، وكان معنا سيدات عاديات، من كن حزبيات هن أنا، وليلى الشال، وأميرة الشال (أخت ليلى الشال) ثم مكثت في البيت، وعفت الشال أخت ليلى. وكانت معنا واحدة اسمها شهيرة يحيى لا أعرف أين ذهبت الآن.

المحاورة : أنا سعيدة بصيغة كلامك (إحنا). هل فعلاً كان هناك ارتباط بينكن لهذه الدرجة؟

أ. ثريا : إحنا فعلاً كنا مترابطين جداً، لذا عملنا شغل كويس جداً جداً. ولما المرحلة دي خلصت، كانت المرأة قد أخذت حقها في الترشيح والانتخابات، واستغلينا كل نشاطنا هذا، في التحول إلى لجان نوعية انتخابية، كان عندنا جماهير، عملنا مالا يقل عن ٥ آلاف تذكرة انتخابية للسيدات. قمنا بترضيب الجناح النسائي في الانتخابات. إحنا كان نشاطنا نسائي. ليلى الشال كان لها نشاطات أخرى لا أعرف، فهي كان مستواها عاليًا في التنظيم أنا كنت في القاعدة.

المحاورة : هل تنظيم النواة دخل في وحدة مع أي تنظيمات أخرى؟

أ. ثريا : دخلت وخرجت وأنا لا أعرف شيئا. أنا لم أكن أهتم بهذه الأمور كثيراً.

المحاورة : ماذا تعرفين عن نشأة التنظيم؟

أ. ثريا : نشأته، لا أعرف شيئًا عن ذلك.

المحاورة : هذا النشاط كان في القاهرة، ألم يكن لكم علاقات خارج القاهرة؟.

أ. ثريا : لا طبعًا الحزب مقره القاهرة ولكن به لجان محافظات.

المحاورة : هل عندك فكرة إن كان الحزب له نشاط في وسط الفلاحين والفلاحات.

أ. ثريا : طبعًا أكيد، ولكن للأسف إحنا لا، ولذلك حتى اليوم لا أحد يعمل في وسط الفلاحات، مع أنهن الغالبية العظمى من نساء مصر العاملات، لأنهن كلهن يعملن في الحقل، فهي خلقت وتموت هكذا في عمل دائم. لكن للأسف الشديد دائما بنقول شعارات أننا لابد أن نكون وسطهن ولم نفعل شيئا في الماضي أو الحاضر.

المحاورة : متى قبض عليك؟

أ. ثريا : ٢٨ مارس ١٩٥٩. كان عندي ابنتي عندها ٩ شهور، كانت تلك هي المأساة الكبرى. نحن لم نتصور، ولم يقل لنا أحد، أنه يمكن القبض على السيدات. ولم يقل لنا أحد ماذا نقول أو ماذا نفعل، كل تصرفاتنا كانت من رؤوسنا.

المحاورة : معنى هذا أنه قبل ٥٩ لم يكن هناك اعتقال للسيدات؟

أ. ثريا : كان هناك في الأربعينيات، مثل فاطمة زكي ولطيفة الزيات وآخريات كثيرات ولكنني لم أكن أعرفهن، الحملة الكبرى كانت يناير ٥٩، سمعنا بها، لكن مختار لم يقبض عليه قبلها. أولا، كان متخرجًا حديثًا، لأننا تزوجنا وهو طالب عندما تخرج كان لابد أن يعمل فترة الامتياز، عمل نصفه في شربين ونصفه في المنصورة. عندما كان هناك كنت أكلمه من عند إحدى صديقاتي، ثم قطع الاتصال بيني وبينه، لأن أحد أقارب صديقتي هذه ضابط. لذلك امتنعت عن الذهاب إليها، حتى لا يفهم شيئا. كنت أقيم مع أخواته (أهله).

كنت آخذ المنشورات في عربة ابنتي لكي أوصلها .ولم يكن هناك ترتيب على الإطلاق لما سنقوله. بعد حملة يناير كان المفروض أن الناس الذين كنا نراهم يقولوا لنا، «احتمال إن يقبض عليكم وتقولوا كذا»، كنت أحب إن التنظيم يقول لي، بحيث لا أعمل حاجة من نفسي. إلا أن هذا لم يحدث. المهم اعتقلنا وذهبنا إلى القناطر، وتعرفت على سيدات لأول مرة داخل المعتقل.

المحاورة : كيف تم القبض عليك؟

أ. ثريا : كان منزلى بالدور الأول وكان هناك حديقة وكان ممكن أن أهرب من الحديقة، وإذا «خبطت» على أى من الجيران كان سوف يفتح لى، لأن علاقتى كانت جيدة بالحى كله. وقد استأذنتهم لكى ألبس، وطول ما أنا بألبس كنت أفكر. سمعنا فى حملة يناير أنهم أخذوا آباء كباراً وعذبوهم لأن أبناءهم هربوا. كانت هذه القصة شريط فى دماغى، أنهم يمكن أن يأخذوا ابنتى ويرمونها فى المباحث، لذلك تراجعت عن فكرة الهرب لسلامة ابنتى.

وقد كنت أيامها أعيش مع أهل مختار. وكنا أيامها عاملين حملة نظافة وحريق لكى نتخلص من أى أوراق. وكان أهل مختار يتصورون أننى السبب فى دخول مختار فى السياسة، وكان أهلى يتصورون أن مختار هو السبب فى دخولى. رحت معهم وفى السكة كنت سأموت، الضابط رآنى وأنا أبكى فقال لى لاتبكى، قلت له إن ابنتى مريضة، فقال عندما نصل سوف أتركك تتصلى بهم فى التليفون، اتصلت وقلت لهم خلوا أختى تيجى. أول ما جاءت وشافت الدنيا مضطربة، وبيأخذوا الكتب فى الأجولة أغمى عليها. المهم راحت وأخذت بالها من البنت. عندما كلمتها فى التليفون، قالت لى أنتى بتتكلمى منين، أنت عاوزة تجيبى لنا مصيبة. أختى هذه طوال الفترة كانت غاضبة جداً، ولكن أمى كانت حماية لى، كانت أختى غير متزوجة واعتبرت ابنتى هبة لها من السماء وحاولت بشتى الطرق أن تمحى من ذاكرتها أمها ثريا، ولكن أمى كانت تذكرها بى دائما، واضعة صورتى أمامها، وتقول لها قولى لماما صباح الخير، وكانت تذكرها دائما بأن بابا وماما مسافران وسوف يرجعان.

عندما دخلنا السجن عرفنا أساليب المساجين فى كيفية الذهاب إلى القصر العينى. دخلنا عنبر المتسولات، وكل فترة يفتح الباب ويزج بواحدة وهكذا.

المحاورة : أليس هناك مكان مخصص للسجونات السياسيات؟

أ. ثريا : دخلنا عنبر المتسولين، ولكن بعد إخلائه منهم.

المحاورة :كيف جرت الأمور عند التحقيق معك؟

أ. ثريا : كان يسأل هل هذا خطك، وتكون الإجابة لا، هل هنا ورقك، لا. طيب اكتبى، حتى تقارن الخطوط، فنحاول تغيير الخط، رغم أننا كنا نتمنى أن نقول أننا شيوعيون، لكن الحملة كانت شرسة. أنا عملوا لى قضية لأننى بعثت إلى زوجى بجواب أقول له فيه الأخبار الحزبية، ولم تكن مكشوفة. هو وضعه فى مجلة وأتى بها إلى القاهرة وأنا لا أعرف، ووضعتها أنا فى المكتبة، وعندما أخذوا الكتب وجدوه وحاكمونى بسببه وحكم على بسنتين.

كنت قد قضيتهما فى الاعتقال، وذهبنا إلى السجن على أننا سوف يفرج عنا لأننا قضينا المدة. كنت أنا وثريا أدهم فى هذه القضية. وكل واحدة من الزميلات داخل السجن توصى بما تريد، من تقول إذهبى لأولادى أو يرسلوا خطابات معنا، ثم فى طريقنا إلى المباحث كان معنا ضابط يسمى إبراهيم محسن سرحان (ابن محسن سرحان الممثل) كان شابًا صغيراً، فقال لنا أنا أعرفكم جميعا رؤوسكم صلبة، ما يقولونه لكم افعلوه لكى تخرجوا لتروا أولادكم. وعندما وصلنا هناك أرادوا أن نكتب استنكاراً فرفضنا ورجعنا إلى السجن، وكانت مفاجأة سيئة للزميلات. ثم أن المباحث حاولت تشكيكنا فى بعضنا البعض بأن أخرجت جزءا منهم قبلنا بعدة شهور، حتى نشك فيهن، ولا نحاول الاتصال من خلالهن بالخارج. لكننا كنا واعين لهذه الأساليب القذرة. ولم ينجحوا مع أى منا فى كتابة أى استنكار رغم أن هناك بعض الرجال قاموا بذلك، حتى هذه البنت ذات ١٣ عامًا التى خرجت ١٦ عاما، لم تستنكر، وقد قضينا مدة هذا المعسكر على خير، قرأنا فيه، وقمنا بأشياء كثيرة.

المحاورة : من تتذكرين كان معك فى هذا الوقت؟

أ. ثريا : أنا فاكرة منظر ثريا أدهم، لا أنساه، لأن الباب فتح ووقعت ثريا، كانت مقاومتها ضعيفة، فتأثرت صحتها كثيراً بالسجن، وأصابها التهاب رئوى، ثم طوال الليل يفتح الباب وتدخل السيدات، وقد قالوا للسجينات العاديات هؤلاء الشيوعيات خطيرات لا تكلموهن، لكنهن عرفن من نكون، ووجدوننا أناسا عاديين .

المحاورة : من كان معك أيضًا غير ثريا أدهم؟

أ. ثريا : ثريا أدهم، ثريا شاكر، ليلى الشال، وليلى شعيب وليلى عبد الحكيم والمرحومة انتصار خطاب، والمرحومة إنجى أفلاطون، جينفيف سيداروس، سعاد بطرس الطويل، محسنة ترفيق، أميمة أبو النصر، إيفون حبشى، إجلال السحيمى، نوال الحملاوى، سيدة، زينب ... ، لا أعرف اسمها بالكامل كانت عندها ١٣ سنة كانت تلميذة لواحد شيوعى فى بنى سويف اسمه شبل .. عندما قبضوا عليه قبضوا عليها، ولكنها طلعت من السجن شيوعية. وكان هناك واحدة أخرى اسمها عايدة، كان أخوها شيوعياً كبيراً من بنها استخدمها، (وأنا ضد أن يخدع أحد. لابد للإنسان أن يفعل ما هو مقتنع به)، هى كانت أمية كان يحملها (السَبت) مليئًا بالمنشورات ويقول لها روحى إلى قرية كذا وأعطيه لصديقى فلان. فعملوا لها قضية اتصال، على أنها مسئولة اتصال.

وكانت هناك واحدة إسمها سعيدة كانت عاملة، لكنها كانت تعرف، وكان هناك سميرة الصاوى زوجة أحمد طه عضو مجلس الشعب وفاطمة زكى طبعا.

كلنا تعرفنا على بعض، وبدأنا نعيش حياة جماعية. ولكن وقتها كان هناك انقسام فى «الحزب الشيوعى».

المحاورة : هل كنتم من تنظيمات مختلفة؟

أ. ثريا : كانت هناك حدتو وكان تسمى نفسها الحزب الشيوعى، وكان هناك الحزب الشيوعى، هؤلاء من؟ وهؤلاء من؟ لا تعرفى، هذه كانت أسوأ الأشياء.

المحاورة : هل كان هناك صراعات بينكن داخل السجن؟

أ. ثريا : لا، أنا مثلا ليلى الشال كانت صديقتى وحبيبتى كانت فى الانقسام، وأنا كنت صديقة لها، كانت هناك أشياء من هذا القبيل.

المهم فى يوم ما فى نشرة الساعة السابعة صباحًا، كان هناك سماعة نسمع من خلالها النشرات. فسمعنا أن هناك صحفيًا هنديًا يسمى (كرانچيا) وسأل عبد الناصر هل عندك معتقلين ومعتقلات، فأجاب لا، فلبسنا وذهبنا احتلينا حجرة المأمور (كان طيبًا جداً) وقعدنا وحطينا رجلاً على رجل، وكان يخجل أن يقول لنا شيئا فيقول للسجانة قولى لهم أنهم مساجين، فنقول لها قولى له أن هذه زوجة الدكتور...... وهذه زوجها أستاذ فى الجامعة وكذا، فيقول ولكن أنتو مسجونات ولا يجب أن تجلسن أمامى هكذا. فقلنا له إذا كان رئيس الجمهورية يقول أنه ليس لديه معتقلات، إذن فأنتم فى نيتكم قتلنا. فقال لنا، يا جماعة هذا لا يصح، فقلنا لن ندخل. المهم أعلنوا حالة الطوارئ فى (سجن الرجال والنساء) وجاءوا بقوة، وأتوا بالمسجونات الفتوات من السجن لكى يضربوننا، وبرغم حبهم لنا إلا أنهن شددننا من شعرنا حتى أدخلننا العنبر، وبدأ ضربنا. ثريا أدهم وفاطمة زكى كسر لهن ضلع. لأنهن كنا ضعافًا. وجاءوا أخذوا ملابسنا وحرقوها.

المهم وقفنا فى الشباك، وغنينا نشيد الشباب العالمى (آمالنا المقبلات). ومدير السجن جعل المسجونات يأتين بالرمل ويرميننا به.

مرة أخرى سمعنا من السجانات، أن هناك مجموعة من «حقوق الإنسان» سوف تأتى، كان بخارج السجن سيزا نبراوى وأخت إنجى أفلاطون فجاء وفد منهن لزيارتنا فى السجن. وبما أنهم كانوا يبعثون رسائل للخارج لجمعيات العفو الدولية وجمعيات حقوق الإنسان. فأخفونا

فى حجرة بعيدة بالمستشفى على اعتبار أننا معزولات مرضيا، لكننا سمعنا صوتهن من وراء الباب وهتفنا لنعرفهن بوجودنا.

ثم قررنا أن نقوم بإضراب، وكنا يداً واحدة لم تتقاعس إحدانا، حتى أن المباحث أتت بأولاد ثريا شاكر للتأثير عليها.

المحاورة : كم يوم أضربتم عن الطعام؟

أ. ثريا : أنا أقول ١٩ يوما ولكن زميلة قالت لى أنه كان ١٦ يومًا، أتوا لثريا شاكر بأولادها الثلاثة الصغار ومعهم مالذ وطاب لكسر الإضراب، وطبعًا هم كانوا يراقبوننا حتى يروا إن كنا نأكل أم لا. (لم يكن مسموح لنا بالزيارة)، ونحن فى العنبر فى هذا الوقت وشممنا رائحة الطعام وأبناؤها يستعطفونها لكى تأكل من أجلهم .

وكانت المباحث تعرف أنه إذا وقعت واحدة فسوف تقع واحدة تلو الأخرى، لكننا صمدنا جميعًا، ورغم أن المرحومة إنجى أفلاطون كانت ابنة باشا، لكن صمودها كان مثار إعجاب وفخر الجميع.

وكانت علاقتنا بالدكتورة والدكتور فى السجن قوية، فكانوا يقومون بإرسالنا بالتناوب إلى القصر العينى. أهلى كانوا فى منتهى القسوة فكنت أبعث لهم أننى سوف أخرج يوم كذا (غالبا للمستشفى) وأطلب منهم زيارتى وأن يأتوا لى معهم بأشياء. فكانوا لا يأتون، كانت أمهات وأهل باقى البنات يأتون إلىّ ويبعثون معى بأشياء لبناتهم، لذلك قررت أن أفعل شيئًا آخر، نصحتنى السجينات بأن آخذ حقنة جاز لكى أذهب إلى مستشفى حميات إمبابة لأنها مفتوحة دائمًا، طبعًا لم آخذ حقنة الجاز ولكن الدكتورة ساعدتنى، ذهبت إليها أنا وجينفيف وأيفون، كل يوم أخوة زوجى يأتون إلىّ ونجلس على الحشيش حتى الثانية عشرة ليلا، وأهلى رفضوا وقالوا هل جنت، لا نذهب بالبنت إلى مكان به ميكروبات فى الحميات. مكثت شهراً ولم يأتوا، لدرجة أننى اتفقت مع سائق عربة الموتى أن يوصلنى إلى بيت أهلى فى الهرم ويأخذ جنيهين، ووافق ولكن بقيت مشكلة العسكرى، سرقت بندقيته وقلت له أنا أعرف مواعيد مرور الضابط وسوف أفعل كذا، إذا وافقت فسوف أعطيك بندقيتك، إذا رفضت فلن أعطيها لك، فقال لى مرافق. المهم كنت كلما كلمت أهلى كانوا يضعون السماعة فى وجهى وعندما قلت لهم على خطتى، قالوا لى هل جننتى، لأنه كان يسكن أسفلنا مأمور قسم الجيزة، رفتها كان السائق ينادى، فنزلت وخرجت معه وتنزهت، وذهبت للكوافير، وهذا ما كان يؤلمنى أننى كنت

أستطيع الذهاب إليهم ورفضوا.

بعدها خرجنا ولكنهم حرمونا من فرحة الخروج، كنا ننتظر الخروج كل ٢٣ يوليو. حتى في السنة التي خرجنا فيها أخرجوا المساجين يوم ٢٣ يوليو، وتركونا حتى يوم ٢٤، بعد ٤ سنوات ونصف

المحاورة : ماذا فعلت بعد الخروج مما تسميه معسكراً؟

أ. ثريا : بعد ٦٣، كنا عندما نسمع عن تعذيب أزواجنا كنا نجن. ففي مرة ما عندما كنت في القصر العيني سمعنا أن فوزي حبشي مات من التعذيب، لدرجة أن البطانية كانت تلتصق بجروحه وعندما يرفعونها يجدون الذباب داخل الجروح، وأرسلوا بدلته، كنا كل المعتقلين والمعتقلات في القصر العيني في عنبر، اجتمعنا وأرسلنا تلغرافات إلى كل الجهات النائب العام، رئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء، من أجل فوزي حبشي. فقد تعذب الرجال تعذيباً خرافياً.

وعندما خرجنا ٦٣، وأزواجنا ٦٤، عدنا إلى اللجان النسائية للمقاومة الشعبية ٦٧، رجعنا إلى جمع سيدات، وذهبنا إلى المستشفيات إلى الجرحى وكانت أعدادهم كثيرة وحالات صعبة، كنا نخدمهم، لأن التمريض كان غير كافٍ، وكانت جيهان السادات رئيسة الهلال الأحمر، كانت تأتي فيضعون لها ورداً، وكانوا لا يعطون هؤلاء الجنود مرتبات، وأهلهم لا يعرفون مكانهم، فكنا نكتب خطابات لأهلهم، فقالوا لهم عندما تأتي جيهان قولوا لها أنكم تأكلون جيداً والتمريض جيد، فقلنا لهم قولوا لها أنكم لا تصرفوا مرتباتكم، لأن هذا حقكم. وعندما أتت قالوا لها، وكتبت لكي يصرفون لهم مرتباتهم. كان معنا سيدات بيوت عاديين جداً، كانت استجابة هائلة، خلافاً لذلك كانت جيهان السادات تظهر بصفتها نائب رئيس الجمهورية، أنا في سنه ٧٣ لم أكن متواجدة فقد وقعت لي حادثة.

المحاورة : ما هو موقفك من اليهود والأجانب في الحركة الشيوعية؟

أ. ثريا : كنت أتمنى أن تكون الحركة مصرية ١٠٠٪.

المحاورة : هل كان لهم دور في التنظيم؟

أ. ثريا : لا، نهائيا، كانوا قبلنا بكثير.

المحاورة : ألم يكن لك دور في أحداث ٤٦؟

أ. ثريا : لا، كانت لجنة الطلبة والعمال، ولم أبدأ نشاطى إلا بعد ٥٤.

المحاورة : ما هو موقفك من النضال المسلح فى القناة سنه ١٩٥١؟

أ. ثريا : آه لم يكن لى دور، إحنا كنا سنه ٥٦، وكان اسمنا اللجنة النسائية للمقاومة الشعبية، وكانت رئاستها، تأخذ شكلين، شكل سرى عن طريق الحزب، والشكل العلنى عن طريق سيزا نبراوى.

المحاورة : ما هو تقييمك للمحترفين فى التنظيم؟

أ. ثريا : كان يطلق عليهم الثوريين المحترفين، أو المحترفين الثوريين، كانت تسمية تعطى تهكمًا وتسمية أخرى حقيقية، ولكن رأيى أنهم كانوا يضحون بكل شئ فى سبيل الفكر، أو العمل السرى، كانوا يضحون بعملهم، بمراكزهم، بتعليمهم بكل شئ، فى سبيل أن يكونوا أعضاء.

المحاورة : ألم يكن لهم مقابل مادى؟

أ. ثريا : طبعًا كان يوجد وإلا كيف يعيشون، وكان هنا حقهم، لأن العمل السرى يحتاج وقتًا طويلاً، لا يكفى فيه التطوع، كان عليهم مجهود أكثر من أى أحد، وكان لابد من المقابل حتى يستطيع العيش، فكان كل شخص يدخل المنظمة يدفع اشتراكًا ومن يستطيع يدفع أكثر.

المحاورة : هل طلب منكن أن تجندن أشخاصًا، وهل كان يطلب منكن عدد معين؟

أ. ثريا : طبعًا، ولكن لم يكن يحدد عددًا، نجند بقدر ما نستطيع وكان فيها صعوبة شديدة. بالنسبة للرجال عملية التجنيد أسهل منه بالنسبة للسيدات، حتى اليوم السيدات يخفن الدخول فى حزب التجمع رغم أنه حزب علنى، لذا قلنا أنه لا يشترط عضوية الحزب بالنسبة للإتحاد النسائى. وذلك لأن الدعاية ضد الشيوعيين مخيفة وفظيعة.

المحاورة : ما هو موقفك وموقف التنظيم من ثورة يوليو؟

أ. ثريا : كانت ثورة عسكر، ولكن بدأت بعمل إصلاحات كثيرة، ورغم سلبياتها الكثيرة، كانت له إيجابيات كثيرة، هذا لم نلمسه من بداية الثورة، فقد خلصنا من عبء الحكم الملكى والسراى، ثم بدأنا نحس بالسلبيات مع الايجابيات، لكنها تعتبر نقطة تحول فى تاريخ مصر، رغم كل ما فعلته بالشيوعيين إلا أننا لا نستطيع نسيان إيجابياتها : التصنيع، القطاع العام، مجانية التعليم، التوجه الاشتراكى، قانون الاصلاح الزراعى، التأميم.

كنت فخورة بكل ذلك، بالرغم من أنه ربما يكون للتنظيم رأى آخر، لا أتذكر جيداً.

المحاورة : أريد التأكيد على معرفة رأيك أو رأى التنظيم أيامها وليس الآن؟

أ. ثريا : كان موقف الشيوعيين أنهم ضد هذا الكلام، وكان لهم مقولات أنه انقلاب عسكرى، حركة قطعت الطريق على امكانية قيام ثوره حقيقية معادية للاستعمار.

المحاورة : هذا بالنسبة للثورة، أما بالنسبة لما تم من إصلاح زراعى، تأميم؟

أ. ثريا : طبعاً كانت هائلة.

المحاورة : ما هو موقفك من ضرب سلطة الإخوان المسلمين سنه ١٩٥٤؟

أ. ثريا : : لم يضرب الإخوان المسلمون فقط.

المحاورة : ما موقفك من القضية الفلسطينية؟

أ. ثريا : احنا من الناس الذين رضعوا كره إسرائيل، وكنا مع المقاومة الفلسطينية بكل أحوالها، فناصرناها، نجمع لها تبرعات، كنا نقف بجانبها من كل قلوبنا، ولكن الوضع الآن اختلف.

المحاورة : كيف اختلف، ألم تزالى مؤيدة للشعب؟

أ. ثريا : الشعب ليس له دخل، ولكن الآن عوامل الاستسلام، بعد كامب ديفيد، كل شئ تغير، لم يعد أمل. نحن محبطون جداً، أتمنى أن أفتح الراديو يوما وأجد خبراً مفرحاً.

المحاورة : ما هو موقفك من مؤتمر باندونج (صفقه الأسلحة التشيكية سنة ١٩٥٥)

أ. ثريا : قمنا بالكثير من التأييد

المحاورة : كاتحاد نسائى؟

أ. ثريا : نعم، ولكننى لا أتذكر جيداً، أعتقد كل المنظمات.

المحاورة : ما هو موقفك من حل التنظيمات؟ وأسباب ذلك؟

أ. ثريا: الأسباب التى قيلت هى أنه طالما هناك حزب اشتراكى فلا داعي لحزب شيوعي. وهذا الرأى لم يكن رأى كل أعضاء الحزب في كل المستويات، الرؤساء تركوا القاعدة وذهبوا وقرروا هم، المفروض أن تجتمع القاعدة ويصعد رأيها حتى يصل إلى اللجنة المركزية وتقول رأيها فى ضوء ما قررته اللجان السابقة ولكننا لم يؤخذ رأينا فى هذا الحل، نحن ضد هذا الحل، لم نوافق عليه حتى اليوم وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى، الحزب الشيوعي وجوده مهم،

عبد الناصر لن يعمل للشيوعية كما كنا نقول، التوجه شيء، وأنه يعمل للشيوعية شيء آخر (الشيوعية العلمية).

المحاورة : هل كانت لديكم قناعة بأن عبد الناصر سوف يعمل للشيوعية؟

أ. ثريا : من أخذوا القرار هم الذى كانوا مقتنعين، نحن لم يؤخذ رأينا. ولذلك نحن ضد هذا القرار، أنا أرى أن هذه نقطة سوداء فى تاريخ الزملاء، رغم حبى الشديد لهم، ولكن ليس معنى هذا أن يخطئوا فقد عبروا عن رأيهم هم، وليس عن رأينا نحن (الأغلبية)، لكننى ضد هذا الكلام، ليس لكونى عبقرية أو شيء، لكن هذا احساس داخلى،وأنه لابد أن يبقى الحزب رغم كل شيء حتى بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، ولذا ظهر رأينا صحيحاً.

المحاورة : ماهو موقفك من الاتحاد السوفيتى فى بناء الاشتراكية؟

أ. ثريا : كانت الكعبة، وإذا قالوا شيئاً، نقول «ولا الضالين آمين»، كان كلامهم لامجال للمناقشة فيه، لم تكن هناك ديمقراطية. ولكننا تربينا على ذلك.

المحاورة : ما رأيك فى الانقسامات التى حدثت فى التنظيم.

أ. ثريا : أنا رأيى الشخصى أنها لم تكن على أساس فكرى، كانت على أساس تنظيمى. كنا مع فكرة توحيد المنظمات إلا أن ما حدث أثناء الوحدة لم يقم على شئ من الفكر وإنما كان هناك صراعات على القيادة داخل التنظيم، لذا سهل ضرب التنظيم وحدثت الانقسامات ولكن لو كانت هناك وحدة حقيقية فعالة فى المجتمع ومتفاعلين أكثر مع الناس لما استطاع أحد ضربها أو تأثير الدعاية المضادة نحوها.

المحاورة : فى رأيك ما هى الأسباب الحقيقية لأزمة الحركة قبل عام ١٩٦٥، قبل الحل؟

أ. ثريا : لا أعرف.

المحاورة : هل الانقسامات، أو سياسة التنظيمات، ما هو تصورك؟

أ. ثريا : عدم الاستمرار كان لأن الضربة كانت قوية. ولكنى أعرف أن هناك تنظيمات مستمرة حتى الآن، ولكن بشكل ضعيف جداً أو مستمرة بالاسم، مع إننا فى حاجة ملحة لحزب شيوعى الآن .

المحاورة: يهمنا معرفة بعض الناس الذين أدوا أدواراً مهمة فى تاريخ الحركة ولم توثق أدوارهم؟

أ. ثريا : من السيدات، عظيمة الحسيني قامت بدور مهم رغم أنها لم تكن في التنظيم، لكنها كانت لديها ثلاثة أخوة مسجونين وكانت تزورهم وتصل بين الداخل والخارج من خلالهم، حتى خارج مصر، لعبت دورا خطيراً، أيضاً، روحية الساعي، زوجة المرحوم إبراهيم خلاف قامت بدور خطير مع الشيوعيين. ومازالوا أحياء. ويمكن أخذ شهادتهن وأيضاً من الزميلات اسما حلمي وزينات الصباغ.

المحاورة : ما هي معلوماتك عن من استشهدوا في السجون والمعتقلات؟ من تتذكرين منهم؟

أ. ثريا : فريد حداد، وشهدي عطية.

المحاورة :كيف أثر فيك د. مختار؟

أ. ثريا : نعم، د. مختار علمني وتركني، خالص، وكان لايعرف ماذا أفعل. في البداية كنت أتعثر في أشياء، فأقول له ماذا أفعل، فيقول لي تصرفي، قولي للمسئول عنك، أنا فعلاً عملت شخصيتي وحدي بمجهودي هو دفعني.

لقد كنت أحزن عندما أرى بقية زميلاتي وأزواجهن يقفون بجانبهن، لماذا أنا زوجي لا يقف إلى جانبي، ثم عرفت بعد ذلك أن هذا كان أحسن بكثير، وفي صالحي.

المحاورة : كنت أريد معرفة بعض المعلومات عن د.مختار.

أ. ثريا : إذا كنتِ تسألين عن أشياء، تنظيمية، فهو لم يكن يقول شيئًا عن التنظيم هذه كانت أسرار.

المحاورة : أنا أريد معرفة شخصيته بشكل عام، وبداية دخوله التنظيم

الأخ منتصر : (كان حاضراً وقت الشهادة) هو أتي من المنصورة شيوعيًا، كان هو وعبد الله الزغبي، طاهر عبد الحكيم، وبكر الشرقاوي.

المحاورة : هل كان له دور في القرية، ما هي العقبات التي كان يقابلها؟.

الأخ منتصر : كان بالبلدة بالمدرسة الابتدائية، ثم ذهب إلى المنصورة في المرحلة الثانوية وأخذ شقة بالمنصورة وكان يمكث بها طوال الأسبوع ويأتي إلى البلد يومي الخميس والجمعة، وفي الأجازات كان له أصدقاء من القرى المجاورة ومنهم عبد الله الزغبي، سعد الساعي، طاهر عبد الحكيم وبكر الشرقاوي. كانت علاقتهم في البداية عادية ثم بدأوا في تثقيف أنفسهم،

ولا أعرف من كان يعلمهم. كان يمكث الأربعة شهور (شهور الإجازة) يقرأ، لم يكن له علاقات ثقافية فى القرية مبدئيا فى مرحلة تكوين نفسه، ثم بعد إتمام المرحلة الثانوية أتينا إلى القاهرة، ومكثنا فى بين السرايات، ١٩٤٦-١٩٥٠، فى القاهرة دخل فى مرحلة التنظيم ثم أعتقل فى ١٩٥٤.

أ. ثريا : كان شخصاً محترماً جداً وكان خارجياً يبدو هادئا بينما هو فى داخله ثورى جداً، كان كتوماً، لا يتكلم فى أسرار التنظيمات أبدا.

المحاورة : رغم أنك كنتِ فى نفس التنظيم.

أ. ثريا : أيامها كانت التنظيمات حديدية، لا تعرف بعضنا إلا بأسمائنا الحركية، كان يوجد ما يسمى بأمان الحزب.

الأخ : كان يعطينى الورق وقد علمنى كيف أحفر فى الأرض وأضعه فى علبة من الصفيح بالحفرة.

أ. ثريا : كان محبًا لوطنه جداً وكان يحب أبناء بلدته الفلاحين وكان يذهب اليهم باستمرار، ويأخذ معه الأدوية ويذهب لعلاجهم ويعطيهم الدواء، ثم أصبحت عيادته مزاراً لهم ولأبنائهم للعلاج، كانوا يعرفون جميعاً أنه شيوعى وكانوا يساعدونه فى الهروب، وجدته أيضاً بالرغم من أنها كانت سيدة كبيرة، إلا أنها كانت تحبه جداً ومؤمنة به وكانت تخبئه ولا أحد يقول أنه موجود بالبلدة. بالرغم من أن أغلب البلد مؤمنين، كان لا يتكلم فى الدين معهم، وهم كانوا يتكلمون معه فى السياسة وفى شئون حياتهم، وعندما قبض عليه بالبلد كانت تعتبر وصمة فى جبين القرية كلها، كان يقنع ويؤثر فى كل من يجلس معه لولا هذا لما استطاع أن يقنعنى.

المحاورة : هل سجن أكثر من مرة؟

أ. ثريا : حبس مرتين مرة ١٩٥٤، ومرة ١٩٥٩، كان شخصية خدومة جداً، وكان الطب بالنسبة له ليس عملية تجارية ولكنه واجبه تجاه هؤلاء الناس، ورغم أنه لم ينجح فى الانتخابات بالنسبة للمنطقة التى كانت بها عيادته، إلا أنه كان يفصل بين الطب والعمل السياسى، ولكن كل أهل إمبابة يتذكرونه حتى الآن لأنه خدمهم بكل ما يملك، عمل الكثير من العمليات المجانية وأرسل الكثير إلى المستشفيات المجانية.

شهادة

سيد عبد الوهاب ندا

البيانات الشخصية

الاســـــــــم : السيد عبد الوهاب ندا سالم

تاريخ وموطن الميلاد : مواليد القاهرة ثلاثة يونية سنة ١٩٢٦.

بيانات عائلية أخرى

توفى والدى فى ٢٩ مارس سنة ١٩٢٩، وفى أوائل الثلاثينيات تزوجت والدتى واستقر بى المقام فى قريتنا سنبوا الكبرى مركز زفتى غربية فى رعاية جدى ندا، ورغبة فى تعليمى دفع بى إلى كتاب القرية لحفظ القرآن وتعلم القراءة، وبالرغم من أن مصاريف التعلم فى الكُتّاب لاتتجاوز قرشًا واحداً إلا أن القرش لم يكن متوفراً لمواصلة التعلم، ففى نهاية الشهر كنت أطرد وأنضم إلى كتاب آخر وأطرد لعدم القدرة، والتحقت بالمدرسة الإلزامية المجانية بالقرية حتى السنة الثالثة، وبعدها سافرت إلى مصر تحت رعاية عمى ومررت بنفس الدورة كُتاب بعد كتاب ومدرسة بعد مدرسة حتى استقر بى المقام فى ملجأ المواساة بالعباسية وكان يطلق عليه المعهد العلمى الصناعى وكان ذلك فى عام ١٩٣٤ وتعلمت نظام الخمس سنوات ثم صناعة النسيج وتخرجت عام ١٩٣٩ لأواجه الحياة العملية وأتولى لأول مره الإنفاق على نفسى. وأول مرتب حصلت عليه ٧٥٠ مليما فى الشهر وذلك لمدة عام، وانتقلت للعمل فى مصنع الحمصانى فى الدراسة بمرتب ٤٠ مليمًا فى اليوم ومواعيد العمل من ٧ صباحًا حتى الثانية عشر ليلاً فى معظم الأيام ثم التحقت بمصنع آخر فى الظاهر بمرتب ٥٠ مليمًا فى اليوم، يوم العمل عشر ساعات ثم انتقلت للعمل فى شبرا الخيمة أوائل عام ١٩٤٠ بأجر يومى ٩٠ مليمًا ومواعيد العمل ٩ ساعات وكنت أسكن فى الدرب الأحمر ولكى أستلم عملى فى السابعة صباحًا كانت وسيلة المواصلات الوحيدة قطار السكة الحديد قطار السادسة صباحًا والمواصلات فى القاهرة عمومًا لاتبدأ قبل السابعة بقليل، إذن لابد أن أمشى هذه المسافة حتى ألحق بالقطار وبعد القطار فى شبرا أمشى حوالى أكثر من نصف ساعة. أذكر هنا على سبيل المثال للمعاناه التى كنا نلقاها، ولم يكن حتى هذا التاريخ، وسائل نقل العمال التابعة للشركات قد وجدت، والمصنع الذى كنت أعمل فيه فى هذا الوقت مؤسسة راغب لطيف الصناعية إدارة نقولا راغب طريق بيجام، وحتى نستطيع تصور ماتم من أحداث عشتها منذ ٦٠ عامًا من المفيد إلقاء

الضوء على المصانع التى أنشئت فى شبرا الخيمة وقتها وعن أصحاب هذه المصانع.

أولاد بتشوا فرنان يتشو وأخواته مصانع النصر، وسقال وخزام، ومشبل الياس واسكندر جورج أفرنيو للنسيج مصنعين، ومصنع للكوتشوك ومصنع للسيزل (الحبال والدوبارة) وسباهى واحد وسباهى٢ وفرنسواه ناصر، وبسوا للنسيج، وبيار، وجورج أسود ومصنع الجوت، وورش الجيش الإنجليزى والجيش الأمريكى فى شبرا الخيمة هؤلاء هم (أولى الأمر) التى كانت تدافع عنهم جريده الدعوة لسان حال جماعة الإخوان المسلمين وقتها، ففى عناوين بارزة على الصفحة الأولى تفسر الأية الكريمة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر).

أذكر هذا حتى نبين طبيعة الصراع بين العمل ورأس المال، والدولة المصرية حتى هذا التاريخ أوائل الأربعينيات لم يكن هناك مظلة قانونية تحمى قوى العمل، حتى التنظيم النقابى المستقل لم يكن مسموحًا به وكل شئ مسموح به للمصانع ساعات العمل مطلقة. أجور متدنية، فصل العمال بلاد حدود لا يوجد رعاية صحية ولا إسعافات حتى الأولية منها غير متوفرة، ولا يوجد وسائل انتقال ولا مساكن ولا أى حقوق ولاضمانات لأى شئ يخص العامل، بالإضافة إلى أن الشركات كان لها جهاز أمن من السودانيين، وكان الحظ العاثر للعامل الذى يقع تحت كرابيج هؤلاء الخفراء. وكانت أجهزة الأمن الرسمية تتولى حماية مصالح أصحاب الأعمال فمثلاً اسماعيل صدقى باشا كان رئيسا لإتحاد الصناعات ورئيسا لمجلس إدارة عديد من الشركات ورئيسًا للوزارة، وسابا حبشى باشا وزير التموين فى وزارة السعديين كان عضواً فى مجلس إدارة المحلات الصناعية، وكثير من رجالات الحكم تحمل أسهمًا اسمية لهذه الشركات ومن ثم فالأمن يحمى مصالح الحكام. ومن ثم مصالح المستثمرين اليهود أصحاب هذه الشركات. هذه كانت شبرا الخيمة فى أواخر الثلاثينيات وأوائل الاربعينيات.أما عدد العمال فى هذا الوقت فكان يربو على أكثر من ثلاثين ألف عامل، وازداد هذا العدد وبلغ بعد ذلك سبعين ألف أو يزيد فى توسعات جديدة وعمالة جديدة .. الخ فمثلاً المحلات الصناعية وحدها كان لها أكثر من ٢٣ ألف عامل والقاهرة للمنسوجات أكثر من ٢٠ ألف عامل، والشركات الأخرى تحوى الكثير من العمال فهى مدينة صناعية بحق.

أقول هذا حتى نتبين مدى العبء، ومدى المعاناة، ومدى التضحيات التي قدمتها القيادة وجماهير العمال بهذا الخصوص للخروج من هذا النفق المظلم إلى النور. إنها مسيرة نضال

بطولية تستحق الدراسة.

فعلى سبيل المثال كنت أعمل فى مؤسسة راغب لطيف الصناعية ومواعيد العمل ٩ ساعات من ٧ صباحًا إلي الخامسة بعد الظهر، وكنا نعانى من مشكلة المواصلات فقدمنا إلى إدارة الشركة مذكرة موقعة من المضاربين حيث إن القطار الذاهب إلي القاهرة يتحرك فى الخامسة وعشر دقائق من محطة بشبرا الخيمة والمسافة بين المصنع والمحطة تتطلب حوالى نصف ساعة تقريبًا فإذا خرجنا الساعة الخامسة وذهبنا عدوا بأقصى سرعة فى معظم الأحيان لا نلحق القطار وعلينا الانتظار حتى التاسعة حيث القطار الذى يليه، والمذكرة تطلب أن يخصم ربع ساعة من الغذاء ونخرج فى الخامسة إلا ربع ترتب على هذا الموقف أن إدارة الشركة أبلغت الشرطة أن هناك عمالاً مشاغبين وجاءت الخيالة وربطونا بالحبال، فى ذيل الحصان وجرجرونا إلى مركز الشرطة وحبسونا ثلاثة أيام فى اسطبل الخيل طوال هذه المدة وتلقينا أول درس فى العلاقة بين العمال وإدارة الشركات والشرطة وكان ذلك عام ١٩٤١ وعلى أقل الأسباب يدفع بالعامل للأمن السودانى ثم للأمن العام ثم إلى الشارع ويعتبر بذلك العامل قد نجا من قضية أو من الذهاب به إلي السجن أو المعتقل بتهم ملفقة ولذلك كان من الضرورى أن يلجأ العمال إلى الوحدة وإلى التنظيم، وأصبح شعار النقابة شعاراً ملحًا وضروريًا. وكنت عضواً فى النقابة من عام ١٩٤٢، وكنت عضواً مؤسسًا لتنظيم يتولى فى الأساس ردع الرؤساء الذين كانوا يأمرون بتعذيب العمال، والدفاع عن العمال المعتقلين أو المسجونين بتهم التحريض أو النشاط النقابى. وفى عام ١٩٤٣. كان عمرى وقتها سبعة عشر عامًا. وكنت مندوبًا فى لجنة قيادة النشاط النقابى فى الشركة التى كنت أعمل فيها فى هذا الوقت. وهى المحلات الصناعية بقيادة أولاد ينشو فرنان وأخواته وبعض البشاوات منهم على سبيل المثال سابا حبشى باشا وبعض البشوات الآخرين.

وأصبحت عضواً فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى عام ١٩٤٣ .

مدة السجن والاعتقال

١ - من ١٥، مايو ١٩٤٨ إلى ٢١ فبراير ١٩٥٠

٢ - من ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ إلى ٢٨ يولية ١٩٥٢

٣ - من ٥ مارس سنة ١٩٥٣ إلى مايو ١٩٥٤

٤ - من ديسمبر سنة ١٩٥٤ حتى فبراير ١٩٥٥

٥ - من ابريل سنة ١٩٥٥ إلى مايو ١٩٥٦

٦ - من ١ يناير سنة ١٩٥٩ حتى مايو ١٩٥٤.

أي أن مدة اعتقالى وسجنى بلغت حوالى ١٢٣ شهراً.

الارتباط التنظيمي

وكنت عضواً فى خلية من أربعة أشخاص أذكر منهم مصطفى محمد مندوب العمال، أحمد سليمان عضو اللجنة المضيئة، وسيد عبد الوهاب ندا أصغر أعضاء اللجنة سناً وآخر لا أذكر اسمه الآن وكان مسئول الخلية الزميل حسن حسنى واسمه الحركى طلعت، هذا فى الوردية أ- أما الوردية ب فكان الزميل المرحوم محمد شطا عضواً فى خلية أخرى، وبدأ معنا بكورس تثقيفى عن تطور المجتمع فى خمس مراحل؛ المشاعية البدائية، العبودى، الإقطاع، الرأسمالية، ثم الاشتراكية وفى النظام الاشتراكى ينص على تحريم استغلال الإنسان لأخيه الإنسان وتخطينا هذه المرحلة وكان للكتب الخضراء أكبر الأثر فى فهمنا للأسس الاشتراكية والنظرية الماركسية، من هذه الكتب البيان الشيوعى، الأسس اللينينية، القيمة والثمن والربح، المادية الجدلية، المشاكل القومية والمستعمرات .... الخ.

هذا بالإضافة إلى كتب رأس المال ترجمة الدكتور راشد البراوى، وكذلك الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية. وتعرفنا من خلال البرامج الثقافية على عالم جديد جعل نظرتنا للأمور أكثر شمولية وأكثر فهماً لطبيعة الصراع، وخرجنا بتفكيرنا من المحلية الضيقة من شبرا الخيمة إلى بقية المناطق الصناعية الأخرى فى المحله، فى كفر الدوار فى الأسكندرية، وكذلك شعار ياعمال العالم اتحدوا فى البلاد العربية والأفريقية والأسيوية وفى أمريكا اللاتينية وفى العالم الرأسمالى أيضاً. وظهر ذلك فيما بعد من إرسال مندوبين عن عمال مصر إلى المحافل الدولية فى باريس فى الاتحاد العالمى لعمال العالم مثال محمد يوسف المدرك، مراد القليوبى، أحمد طه، دفيد نحوم وتوالت البعثات إلى المحافل الدولية للاشتراك مع عمال العالم فى نضال مشترك، ومن ثم فمشكلة الأجور، والفصل التعسفى، وتحديد ساعات العمل وإقرار حق

الرعاية الصحية، وحق العامل فى أجازة سنوية، اعتيادية، أجازة الأعياد، إصدار القوانين تباعًا، قانون النقابات، قانون عقد العمل الفردي وكذلك قانون عقد العمل الجماعى، الكفاح من أجل حق العمال فى إعانة غلاء المعيشة.. الخ. من المشاكل التى كنا نعتقد أنها محلية فى شبرا الخيمة والقاهرة فقط ومع ارتفاع الوعى أدركنا أنها أصبحت مشاكل عامة لكل عمال مصر، وقضية الوحدة أصبح لها فى نظر القيادة المحلية فى شبرا الخيمة بعد عام.

أحب أن أشير إلى أن عمال شبرا الخيمة كان لهم معارك نضالية ذات الصفة العامة مثلا قاد عمال شبرا إضرابًا عن الطعام مطالبين بحق العمال على تكوين النقابات المستقلة وكان ذلك في عام ١٩٤٢ فى ظل حكومة الوفد وصدر فعلا هذا القانون ونظمت مظاهرات اشتركت فيها وقتها للمطالبة بإعانة غلاء المعيشة لكل العمال وموظفى الدولة وصدر فعلاً الأمر العسكرى الخاص بذلك.

كان موقفى التنظيمي عضو فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى وأمارس دورى القيادى من خلال انتمائي للتنظيم ولم يكن لى قبل ذلك أى ارتباط بتنظيمات سياسية أو حزبية «طبعا أنا ذكرت أنى مشترك فى النقابة حتى عام ١٩٤٢ وكنت فى سنة ١٩٤٤ عضو مجلس إدارة لجمعية الإصلاح الاجتماعى التى تكونت داخل شركة المحلات الصناعية بموافقة الشركة وذلك بهدف امتصاص الشركة لحالة الفوارق أو بمعنى أصح امتصاص الغضب العمالى على أسلوب الشركة فى التعامل مع العمال، وعضو مؤسس لصندوق الإضراب ولجنة المندوبين، وكان أقرب الأحزاب إلى فكرى فى هذا الوقت هو حزب الوفد ولم أكن عضواً فيه، أما حزب العمال بقيادة النبيل عباس حليم كنت ضده أما تنظيم الإخوان المسلمين وخاصة في شبرا الخيمة كان يدعو دائما إلى الخضوع لسياسات رأس المال وكانت جريدة الدعوة تروج دائما أن أصحاب المصانع هم أولو الأمر ومن ثم وجبت الطاعة لهم.

واحتفظت بعضويتى فى تنظيم الحركة المصرية من عام ١٩٤٣ حتى تمت الوحدة مع تنظيم إسكرا الشيوعى عام ١٩٤٧ وتكونت بذلك الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بقيادة هنرى كوريل، وهليل شوارتز وهما من أصل يهودي ومع الحلول التوفيقية فى شروط الوحدة بين التنظيمين سرعان ما دبت التناقضات بين الفريقين وأهم النقاط المختلف عليها - الخط السياسى، القيادة وضرورة تعميلها بمعنى أن يعد العمال أعضاء التنظيم لشغل مناصب

القيادة، واتفق على إنشاء مدرسة كادر لتأهيل أول دفعة من العمال القادة وكان عدد المرشحين حوالى ٣٠ دارسًا منهم عدلي جرجس، سيد عبد الوهاب ندا، ومحمد شطا، وعبد المنعم الشافعي، ومصطفى بقشيش وأنشئت المدرسة وتفرغ الطلبة للدراسة وأعد الكورس الخاص بذلك ومدة الدراسة ٦ شهور، وكان هناك وجهتا نظر حول هذا الأسلوب لإعداد الكوادر العمالية، ففريق الحركة المصرية بقيادة هنرى يرى أن هذه الطريقة تفرض علي القيادة عناصر غير مرضى عنها وليست على ولاء لهذا الفريق أو ذلك. وكان يعتبر أن التثقيف الحقيقى من وجهة نظره هو الكفاح وأن الجانب النظري يكتسب من خلال الحركة بالرغم من أن أسلوب مدارس الكادر المحدودة كانت أحد أساليب تربية الكادر فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى وأنا حضرت أكثر من مرة هذه المدارس وكانت عزبة هنرى كوريل مكانا يستخدم لهذا الغرض- أما فى الوضع الجديد فكان معظم المدرسين من الإسكرا، أذكر منهم سعد حليم. عبد الرحمن الناصر. عبد المعبود الجبالي، وآخرين..

التناقض الثاني وهو حول الخط السياسى وأعد هنرى باعتباره المسئول السياسى تقرير خط القوات الوطنية الديمقراطية.

التناقض الثالث : - نظرية التكتل وتبرير وجوده داخل التنظيم للزميل شهدى عطية الشافعي ولم يكتف بكتابة التقرير حول هذا الموضوع. بل بدأ يروج لنظريته بين الأعضاء خاصة العمال أذكر منهم على الشناوى وآخرين.

وأعتقد أن الخط السياسى خط القوات الوطنية الديمقراطية ليس هو أساس التناقض بل اتخذ ذريعة للانقسام والمشكلة الأساسية فى اعتقادى هى محاولة السيطرة على التنظيم لأن قوى الانقسام لم تضع برنامج أو خط سياسى فى مواجهة تقرير هنرى، وهذا الموقف انعكس على كل مشاكل التنظيم، المدرسة، تعميل القيادة، محاولة كل فريق أن يضخم فى عضويته بلا أساس موضوعى وكل فريق يرشح أنصاره لشغل مراكز القيادة الشاغرة. وهكذا.. وإذا كانت القيادة تناقش بعض القضايا خارج السجن أو المعتقل دون حاجة إلى أوراق. وفى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ تم اعتقال الجميع أعضاء، وقيادة وحشد الجميع فى زنازين هايكستب والطور وعيون موسى.

وأسفرت هذه المناقشات والنداءات وبرامج التثقيف إلى فرقعة التنظيم وأبرز هذه

الانقسامات العمالية الثورية، اسم جميل سرعان ما انهار لمجرد أن الحكومة عرضت على قيادة التنظيم الوليد بعثات لنيل درجة الدكتوراه وقد كان، سافر الزملاء، وانهار التنظيم وتكون بعدها تنظيم النجم الأحمر عدلى جرجس - أحمد خضر - سيد عبد الوهاب - فوزى حبشى، عبد الرحمن الناصر، حماد عباس، ومحمد القلعاوى ورشاد الملاح، وأحمد عيد، ومحمد عبد الحليم، اسكندرية، وعبد المنعم شتله وكثيرون من الزملاء العمال والمثقفين الذين رفضوا خط المناورات داخل تنظيم الحركة الديمقراطية .. تنظيم النجم تكون حوالى ١٩٥٠ بعد خروجنا من المعتقل .

وبهذه المناسبة أذكر أنى كنت ضمن المتهمين الذين قدمهم النظام الناصرى إلى المجالس العسكرية وصدر ضدى حكم ٩ سنوات، قدمت خلالها أمام المحكمة دفاعى السياسى الذى استغرق جلسة كاملة حوالى ٤ ساعات تقريباً وبالرغم من أن الزميل شهدى عطية الشافعى أبرز فى دفاعه السياسى تأييده للرئيس عبد الناصر. إلا أنى لم أنح هذا المنحى وكان لى موقف مغاير تماماً أمام المحكمة، وأبرزت موقفى فى الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة.

وهنا يبرز سؤال ماذا أفاد انضمامى للحركة الشيوعية بعضويتى للحركة المصرية للتحرر الوطنى. سبق القول إن اشتراكى فى قيادة جماهير العمال سواء فى النقابة أو فى اللجان الفورية داخل المصانع أو اشتراكى فى الإضرابات السياسية من أجل إصدار القوانين أو تكوين التنظيمات التى تخدم أهدافًا محددة سبق الإشارة اليها كجمعية الإصلاح الاجتماعى رغم الظروف التى أحاطت بتكوينها وصندوق الاحزاب الذى لعب دوراً هاماً أثناء الإضراب الكبير عام ١٩٤٦ والمظاهرات التى سارت مطالبة بإعانة غلاء المعيشة، و«مظاهرات الجوع التى نجحت إلى حد ما وأجبرت الحكومة بفتح دفاتر قيد العاطلين وصرف بعض الإعانات وبطاقة لكل عامل يأكل بها لمدة شهر كل يوم فى المطاعم الشعبية التى كانت موجودة فى القاهرة فى هذا الوقت، كان اشتراكى فى العمل السياسى ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ اللجنة الوطنية للطلبة والعمال. مظاهرات إسقاط معاهدة صدقى/ بيفن .. إلى أن جاءت الطامة الكبرى فى إعلان الحرب مايو سنة ١٩٤٨ .. وضربت الحركة الجماهيرية وتم اعتقال كل القوى التقدمية وإيداع المعتقلات. حتى فبراير سنة ١٩٥٠ هل الصراع الأيديولوجى داخل الحركة الديمقراطية انعكس بدوره على حركة القادة العمال فى أرض الواقع، فى أوائل الأربعينيات؟

وهل انعكس الصراع بين التنظيمات الشيوعية على حركة الواقع فى المصانع، وفى النقابة، وفى لجان المصانع؟

فيما يخص الجزء الأول من السؤال كان هناك صراع بالتأكيد ومظاهر الصراع انحصرت فى من له حق اتخاذ القرار المسئول السياسى أم المسئول الميدانى، لكن فى النهاية بتأكيد وحدة التنظيم فى المعركة.

أما فيما يخص الصراع بين التنظيمات، فالشيوعيون بكل فصائلهم ضد تنظيمات الإخوان حيث الميلشيات المسلحة ذات الرداء الكاكى كانت تجوب الشوارع لإرهاب العمال فى المنطقة، وكذلك القمصان السود لحزب مصر الفتاة والقمصان المميزة لميلشيات الوفد فالشيوعيون ضد هذه التنظيمات.

أما فيما يخص الشيوعين فى الحركة المصرية، وطليعة العمال فقد كانوا متفقين فى الأهداف مختلفين فى القيادة كل فريق يسعى لتأكيد زعامته لمعركة أو إضراب.

فمثلاً : الصراع داخل النقابة محمود العسكرى سكرتير يمثل طليعة العمال، وفرج ابراهيم رئيس النقابة ومحمود الدمراتى وكيلا، محمود العسكرى يشكل أقلية فى مجلس الإدارة لذا لجأ إلى دعوة الجمعية العمومية غير العادية واستطاع أن يأخذ موافقة الجمعية العمومية على وقف نشاط النقابة بحجة عدم تعاون الجهات الإدارية وإدارة المصانع مع النقابة فى حل المشاكل، وبذلك أعطى المبرر لحل النقابة وإغلاقها رسمياً بقرار وزارى.

هنا يبرز دور لجان المصانع وانبثقت منها اللجنة العامة لقيادة عمال المنطقة وتأكد وحدتهم تحت لواء هذه اللجنة.

أما تقييمى أنا الشخصى لهذا الموقف.

عمرى وقتها كان (١٩) سنة وتكوينى الأيديولوجى لم ينضج بعد حيث كنت عضواً فى النقابة وكان دورى هو الاشتراك فى أى عمل نضالى لرفع الظلم الواقع علينا أما الصراعات التى كانت أعلى من ذلك لم يكن اهتمامى بها أو إدراكى لها ناضجاً بعد.

هل هناك مواقف نضالية أخرى برز فيها التنسيق بين القوتين الكبيرتين اللتين كانتا موجودتين فى هذه الفترة.

التنسيق بالمعنى الناضج بين ممثلين لكيانات تنظيمية فى جلسات لها جدول أعمال ونقاط

للمناقشة لم يكن هذا في البداية موجوداً لكن كان فيه صراع استخدمت فيه أساليب أقل ما توصف به أنها غير أخلاقية فمثلاً طليعة العمال بعض كوادرها تتهم الآخرين بالجاسوسية فبالرغم من أن محمود الدمراني وكيل النقابة هو الذي رفع قضية ضد القرار الوزاري القاضي بحل النقابة وهو الذي تصدى لهذا الموقف قيل عنه إنه يحمل كارنيه القلم السياسي وكذلك حكمت الغزالي المناضلة الشريفة قيل إنها كانت تستخدم وسائل غير شريفة لاداعي لتكرار ما قيل وقتها ونشره طه سعد عثمان في كتابه شهادات وآراء عام ١٩٩٨ أي بعد خمسين عاماً من الأحداث.

لكن أستطيع القول بالرغم من كل هذا فهناك معارك خاضها الجميع بأمانة وتضحية مثلا الإضراب الذي خاضه العمال مطالبين بإصدار قانون الاعتراف بالنقابات أضرب محمود العسكري مع مجموعة من العمال عن الطعام والتف حوله جميع عمال المنطقة وكان ذلك عام١٩٤٢ . ونجح الإضراب وصدر القانون - قامت مظاهرات حاشدة لكل عمال المصانع متجهة إلى وزارة المالية مطالبين بإعانة غلاء المعيشة وكان مكرم عبيد وزيراً للمالية وقتها وصدر الأمر العسكري الخاص بذلك.

فيما يختص بالمعارك فهناك الكثير على سبيل المثال تجلت وحدة العمال حول ثلاثة مواقف تعتبر علامة هامة في تاريخ التضامن النضالي حين انقلبت عربة نقل العمال (أتوبيس الشركة) مصنع بيار أثناء إنهاء وردية ١١ مساءً انقلب الأتوبيس في الترعة ومات ما يربو عن (١١) أو (١٢) عاملاً سبع منهم دفنوا في مقابر باب النصر في جنازة مهيبة مظاهرة بلغ طولها حوالي ساعة ونصف من شبرا الخيمة حتى باب النصر. والباقي دفنوا في بلادهم وحمل نعوشهم زملاؤهم عمال المنظمة.

الموقف الثاني ابراهيم العامل المسيحي الذي مات تحت عجلات سيارة الشركة أثناء ذهابه إلى العمل في الوردية الصباحية وحدثت الوفاة أمام محطة القطار في شبرا. خرج جميع عمال الشركات والتفوا حول جثة زميلهم وبلغ عددهم الآلاف بحيث دفع تعويض فوري وجهزت الشركة لوازم مراسم الدفن من كفن وعربة بخيول ٤ وحمل العمال جثة زميلهم ابراهيم حتى الكنيسة وبعدها إلى القبر. هناك موضوع الاشتراك في العمل السياسي اتفق بالإجماع على دخول المعركة الانتخابية عام ١٩٤٥ أنا أذكر أن التبرعات التي جمعت وقتها غطت التأمين

وكان وقتها ١٥٠ جنيهاً ومصاريف الدعاية الانتخابية وكان العامل يدفع قرشين ورئيس القسم يدفع ٥ قروش. وخضنا المعركة متحدين متفقين. بصرف النظر عن نتائجها.

أما فيما يختص بالحدث الهام للاشتراك مع كافة المواطنين يوم الطلبة والعمال ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ وكان يوما مشرفا لعمال شبرا الخيمة.

والنقطة الخاصة بالإضرابين الكبيرين الأول استمر ٢٠ يومًا وكان بسبب فصل بعض عمال من المحلات الصناعية، ونجح الإضراب وعاد العمال المفصولون إلى عملهم. أما الإضراب الثاني استمر ٤٠ يومًا والموقف كان كالآتى :

من عام ١٩٤٠ نستطيع القول إن البلاد تحوطها ظروف غير عادية بسبب اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية الشئ الذى ألقى على عاتق العمال إنجاز متطلبات الحرب من مواد غذائية ومن ملبوسات وكل ما يحتاجه المواطنون وكان هناك قرار وزارى يحدد لمصانع النسيج إنتاج ٧٠٪ من انتاجها لسدّ احتياجات الجماهير الشعبية وال٢٠٪ إنتاج حر أصواف حراير الخ ... ومن ثم فكانت هذه الظروف ضاغطة استفاد منها العمال وأحرزوا بكفاحهم بعض المكاسب فيما يختص بالأجور والأجازات وساعات العمل الخ... وحينما انتهت الحرب وأعلنت الهدنة ١٩٤٥ بدأت الشركات تعد العدة لإعادة النظر فى علاقات العمل على كل المستويات تخفيض أجور، الغاء بعض المكاسب، فصل العمال بالجملة، زيادة أعباء. حيث إن الظروف تغيرت فالحرب انتهت وزالت ضغوطها ، واستخدموا القانون والسلطة فى تحقيق أهدافهم. القانون يعطى الحق للشركة في التوقف الجزئى أو الكلى حين تتعرض لخسائر وتوفر من العمال بحيث لا يزيد عدد المفصولين عن ٢٥٪ كل عام. هذه هى الظروف التى دفعت العمال ولجانهم الطباوية للدفاع ضد هذه الهجمة الشرسة وقررت اللجنة الإضراب واستجاب له كافة عمال الشركات فى شبرا.

الإضراب الأول كان من أهدافه عودة المفصولين والغاء القرار الوزارى الخاص بالاستغناء المتعسف لـ٢٥٪ من العمال وانتهى الإضراب الأول حيث أصدر اسماعيل صدقى أمراً بإنهاء مسببات الإضراب وعودة المفصولين حيث إن فى هذا الوقت كان الملك عبد العزيز سعود ضيفًا على مصر وآثرت الحكومة تأجيل المعركة أو المذبحة إلي وقت آخر.

ولذا فالإضراب الثانى كان دفعًا لهذا الضرر الذى حاق بالعمال واستعدت الحكومة

والشركات لخوض هذه المعركة ضدنا وقبض على اللجنة القيادية بعد أربعين يوما من المعركة وكنت أحد هؤلاء القياديين وكان عمرى وقتها ٢٠ عامًا وكنت متزوجًا منذ عام سابق أى فى مارس سنة ١٩٤٥ وانتهى الإضراب بنتائج سلبية وتشرد عدد كبير جداً إذ كان عدد العمال وقتها خمسين ألف و٢٥٪ تساوى أكثر من ١٢.٥ الف عامل وهذا الرقم رسمى أما الرقم الفعلى يتجاوز هذا بكثير. وإلى جانب عمال النسيج فى شبرا الخيمة كما ذكرت هناك ورش الصيانة التابعة للجيش الانجليزى والجيش الأمريكى وكانت هذه الورش تضم عمالاً كثيرين وأغلقت هذه الورش وسرح عمالها إلى الشارع وأصبحت البطالة تشكل حالة وبائية فى داخل القاهرة والكلام عن البطالة لا يتسع له المقام هنا ولكن حققنا بعض المكاسب فى دفاتر قيد العاطلين. دفع بعض الإعانات كانت تصرف من وزارة الشئون الاجتماعية وكل عاطل له تذكرة يتقاضى بموجبها وجبة يومية لمدة شهر.

الفترة من ١٩٤٦ حتى ١٩٤٨ كانت فترة قلقة وارتفع شعار الجلاء وبدأت المطالبة بخروج الإنجليز من المدن المصرية تمهيداً لطردهم وتحرير الأراضى المصرية من دنس الاحتلال. إسقاط معاهدة صدقى/ بيفن بل إسقاط الوزارة نتيجة الضغط الشعبى واشتد الصراع بفتح كوبرى عباس وسقط ضحايا كثيرون فى النيل ... ملحمة ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ يوم التضامن العظيم من العمال والطلبة وكافة القوى الوطنية . وكنت فى قلب الأحداث وكنت أصغر أعضاء القيادة على كل المستويات فى الشركة. فى اللجنة العامة وكنت فى الصف الثانى للجنة الوطنية للطلبة والعمال ولكن فى عام ١٩٥٠ كنت فى الصف الأول سكرتير اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية وأصدرنا مطبوعات موثقة منها بيان إلى الشعب المصرى يطالب بالتدريب على حمل السلاح وتنظيم الصفوف للاشتراك فى قتال جنود الاحتلال.

دور التنظيم بين الفلاحين

نشاطى أنا شخصيًا وسط العمال وكنت أعرف أن أحمد سويلم فلاح من ميت غمر تقريبًا وكان هناك نشاط إلى حد ما فى المنصورة وفى أماكن مختلفة من المدن.

المجلات التنظيمية التى كانت تصدر والكتب والدراسات التى صدرت ودور النشر

أود أن أذكر بعض الحقائق كان للحركة الديمقراطية نشاط واسع إلى حد ما فى تثقيف

الكادر والكتب التى ترجمت وسميت الكتب الخضراء وكان عددها ٩ كتب ذكرت بعضها فى سياق الحديث عن تثقيف الأعضاء الجدد، هذا عدا الكورسات الثقافية عن تطور المجتمع ودراسة بعض قوانين المادية التاريخية، هذا إلى إنشاء مكاتب نقابة مثل المكتب النقابى لمراد القليوبى فى الأربعينيات وكذلك المكتب النقابى لطليعة العمال محمد يوسف المدرك. هذه المكاتب أصدرت العديد من الكتيبات الخاصة بمشاكل الجماهير وفى سنة ١٩٥٧ بعد العدوان الثلاثى أنشأ سيد عبد الوهاب مكتب النشر والثقافة العمالية وأصدر نشرة باسم عمال مصر. ونشرة أخرى باسم الثقافة العمالية وكتاباً عن دور العمال أثناء العدوان الثلاثى باسم فتحى كامل، أحمد فهيم، سيد ندا، ونور سليمان. كما صدرت جريدة الجماهير، والملايين، والكاتب، والضمير، طليعة العمال وشبرا ونشرات كثيرة .

أما فيما يختص بتربية الكادر فهى عملية بناء مستمرة وكانت هناك كما أشرت المدارس والندوات وفى الأعياد يمتد النشاط الثقافى وإعداد كورسات مكثفة أما النشرات الداخلية فكان هناك الكفاح، حدتو، والنجم الأحمر لتنظيم النجم ونحن لطليعة العمال وصدر عن النجم الأحمر كتيب يدافع عن البطلين اللذين أعدما ظلما فى كفر الدوار خميس والبقرى ويطالب بإعادة المحاكمة، وكتب عن البطالة.

دراسات الواقع المصرى

بسبب المشكلة الوطنية ووجود الاستعمار كان الجهد كله مركزاً حول القضية الوطنية ضد الاستعمار حتى خط القوات الوطنية الديمقراطية كان تعبيراً عن هذه الظروف أما الاشتراكية ودور العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة والدور القيادي للطبقة العاملة والموقف من الثورة البورجوازية الديمقراطية واستكمال أهدافها كنقطة انطلاق نحو الديمقراطية الشعبية كبداية الطريق نحو الاشتراكية هذا المفهوم لم يكن موجودا وكما ذكرت أن المعارضة لخط القوات (هنرى كوريل) كان ذريعة للانقسام، شهدى رد على الخط بنظرية التكتل الثوري. ولم يتبين خط مقابل للاشتراكية. وكذلك بقية التنظيمات التى خرجت من حدتو.

والكادر العمالى كان جل اهتمامه بحركة الواقع معارك يومية لوقف الخصم تعريفة الأجور لعمال الإنتاج، الأجازات، الرعاية الطبية، المواصلات مشاكل الواقع يومية ومتجددة.

واهتم تنظيم النجم الأحمر بتعميل القيادة وتولى العمال مراكز حساسة فى التنظيم فى القيادة، فى الجريدة فى تنظيم الأقاليم.

موقف التنظيم من قضية الثورة الاشتراكية، هل هى مرحلة واحدة أم مرحلتان كانت الأدبيات والكتابات النظرية تبشر بنظام اشتراكى، أما الطريق تكتيكيا واستراتيجيا فلم يكن هناك دراسة حول هذا الموضوع.

الوضع التنظيمي والمستويات التنظيمية التى اشتركت فيها

أنا كنت عضو خلية قاعدية فى البداية، وانتقلت إلى عضوية القسم فى الحركة المصرية قبل الوحدة، ثم رشحت لعضوية المنطقة فى الحركة الديمقراطية ثم عضو مؤسس للنجم الأحمر بعد انهيار العمالية الثورية وأصبحت عضواً فى اللجنة المركزية ومحرراً فى جريدة التنظيم ثم أنشأت مكتب النشر والثقافة العمالية واستخرجت له سجلاً تجارياً رسمياً وأصدرنا نشرة عمال مصر، نشرة الثقافة العملية وكتاب دور الطبقة العاملة فى المعركة ضد العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ وأصدرنا عدداً من الكتيبات الصغيرة عن قضايا التحرر والكفاح ضد الاستعمار، ثورة الجزائر، فلسطين ...الخ، وصدر قرار جمهوري بمصادرة المكتب وغلقه وكنت عضو المكتب النضالى المركزى مع محمد على عامر، ونور سليمان، ومبارك عبده فضل وعبد المنعم الغزالى وآخرين وكان ضمن أنشطة المكتب مراسلة الجرائد بأخبار النضال العمالى كجريدة المسا، وروزاليوسف.

وفى عام ١٩٥٠، ١٩٥١ اشتركت فى قيادة عدد من المظاهرات الجماهيرية ضد الاستعمار وشغلت مركز سكرتير اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية وأصدرت بيانات باسمى أنا واعضا. السكرتارية محمد يوسف المدرك، فريد رمزى، سيد عبد الوهاب ندا. إدوار الضبع وهذا كان عملاً تنسيقياً مشتركاً بين النجم الأحمر وطليعة العمال فى هذا المجال وعهد إلى التنظيم قيادة أكبر حملة إثارة ضد البطالة ومظاهرات الجوع والأكل فى المطاعم الخاصة كان له أكبر الأثر فى الاهتمام بهذه المشكلة، وكان لى شرف الاشتراك وقيادة المؤتمرات العمالية مثل المؤتمر الوطنى لعمال النسيج وصدر بيان وزع نتائج أعمال المؤتمر.

الموقف من الاحتراف

أنا أعتقد وهذا كان موقفى أن كلمة محترف ثوري لا تفى بالغرض ولكن نستطيع أن نقول متفرغ للعمل الثورى فى قضية التنظيم فى انجاز عمل ما يدفع العمل الثورى للأمام نحو تحقيق أهدافه المرحلية، وفى التنظيمات التى تشرفت بعضويتها كان يوجد متفرغون للعمل الثورى حسب حجم العمل وضرورة إنجازه.

ومعظم الأشخاص الذى تحلوا بهذه الصفة أي محترفين ثوريين لم يكن ذلك على أسس موضوعية وأحب أن أوضح أن الولاء الشخصى للقيادة التى لم تنتخب هو المعيار الذى يختار به بعض المحترفين بصرف النظر عن الكفاءة والقدرة على اتخاذ القرار.

موقف التنظيم وموقفي من التنظيمات الاخرى ومستوى التنسيق معها والموقف من قضية تكوين الحزب

فيما يختص بالتنسيق والموقف من قضية الحزب الواحد، نحن العمال نشعر بضرورة الوحدة فى العمل التنظيمى وفى العمل السياسى وفى العمل الجماهيرى والوحدة حول اتخاذ القرار، القادة الميدانيون فى حركة النضال يفرض عليهم بالضرورة العمل الموحد وضرورة وجود القيادة.

ماذا نفعل أمام أوضاع ليست على درجة واحدة من الفهم النظري والسياسى فإذا كانت العصبة الماركسية ترى أن حدتو تدفع بكوادرها إلى مسرح الأحداث ووفقا لهذه النظرية يعتبر تنظيم حدتو يسلم كوادره للبوليس ومن ثم فهو تنظيم بوليسى، وطليعة العمال ترى الحدتويين شيوعيين ملحدين منحلين وتتبع مثل العصبة السرية المطلقة بحيث يصرح أحدهم أنه داخل التنظيم منذ عشر سنوات ولا يعرف أنه تنظيم شيوعى والكل يدرك ما كان عليه تنظيم منظمة شيوعية مصرية (م.ش.م) رغم أنها تضم كوادر لا يتطرق الشك من بعيد أو قريب فى مدى إخلاصهم وصلابتهم والتضحيات التى قاموا بها داخل السجون والمعتقلات وخارجها إلا أنهم كانوا أسرى أفكار عزلتهم كثيرا أهمها أن كل الشيوعيين خارج تنظيمهم جواسيس وخونة. وحزب الراية يعتبر أنه لا شيوعيين خارج حزبهم.

وأنا أقر واقع وحقيقة أن كوادر الحركة الديمقراطية كانوا أقرب إلى الواقع وحركته ومن ثم فهمه رغم الحملات التى صوبت ضدهم ولذا كانوا دائما محوراً تلتف حوله بقية المنظمات

وخاصة فى قضية الوحدة من الحركة الديمقراطية إلى الحزب الموحد إلى الحزب المتحد إلى حزب ٨ يناير وهو الحزب الشيوعى المصرى. إلى حل الحزب فى إبريل سنة ١٩٦٥.

السؤال حول التنسيق فى عام ١٩٥٧ كانت هناك انتخابات لمجلس الأمة ومطلوب موقف محدد إزاء هذه الانتخابات وخاصة فى شبرا الخيمة وهذه ثالث تجربة ١٩٤٥ لعمال شبرا حول فضالى عبد المجيد، وتجربة ثانية حول محمد يوسف المدرك ١٩٥٠، وقاد المعركتين تنظيم طليعة العمال وفى ٤٥ حصيلة التصويت لفضالى حوالى ٧٥٠ صوتاً والثاني سنة ١٩٥٠ حوالى ٣٠٠ صوت وكان علينا أن نبحث سبب هذه النتائج.

ودعيت إلى حضور اجتماع لجنة الوحدة بين الحزب الشيوعى المصرى وكان سعد زهران مندوبه فى لجنة وتنظيم طليعة العمال وكان فؤاد عبد المنعم شحتو مندوبها وشهدى عطية عن الحزب الموحد. واجتمعت اللجنة مرتين لنفس الغرض وحضرت الاجتماعين لعرض نظرى الحزب الموحد، عن الانتخابات باعتبارى القائد الميدانى لجماهير العمال فى شبرا الخيمة. والحزب الموحد كان يرى أن الموقف فى شبرا الخيمة تحوطه محاذير أولاً اعتراض الاتحاد القومى على بعض المرشحين. ثانياً أن العمال ليس لهم تذاكر انتخابية فنحن نمتلك الشارع ولكن لا نمتلك صناديق الانتخاب بمعنى نستطيع أن نسير مظاهرة من عشرة آلاف عامل أو أكثر ولكن بدون تذاكر انتخابية وكان رأى طليعة العمال أن المنطقة واعدة وممكن أن ينجح مرشح شيوعى وأن الطليعة قررت ترشيح فؤاد عبد المنعم وإحنا كان رأينا تفادياً للمحاذير أن نختار مرشحاً لا يعترض عليه وخاصة أن الاتحاد العام لنقابات العمال خاض المعركة بمرشحين عمال فى شبرا الخيمة أحمد فهيم مرشح الاتحاد، وعبد العزيز مصطفى فى العباسية، وانقسمنا فى البداية واعترض على فؤاد عبد المنعم، واستدعى طه سعد عثمان من بنى سويف وقدم أوراقه للترشيح فى شبرا الخيمة واعترض عليه أيضاً وقرروا فى النهاية الانضمام إلينا وتوحيد الصفوف وكانت قيادة المعركة أساساً تقع على كاهلى وعملت دراسة لطبيعة السكان فلاحين مهنيين، ملاك عقارات، أعيان الريف هذه الفئات هى التي تملك تذاكر الانتخاب أما العمال لا يملكون تذاكر بتدبير من الدولة حتى لا تكون شبرا دائرة سياسية عمالية وفى النهاية سجلنا أكثر من ثلاثة عشر الف صوت ولأول مره يسقط مرشح الشلقانية الذى كان يمثل هذه الدائرة منذ العشرينيات أما فى العباسية تنظيم الطليعة وقف خلف الدكتور عبد العظيم أنيس ووقف الحزب الموحد مع عبد العزيز مصطفى ونجح وكان مرشح الاتحاد العام لنقابات العمال.

موقف التنظيم من وحدة ٨ يناير سنة ١٩٥٨ والانقسامات التى أعقبتها

الوحدة تاج على رؤوس المناضلين، والانقسامات أوقعت هذا التاج فى الأرض ومن كلامى فيما يختص بأهمية وحدة المناضلين والقيادة الموحدة حتى لو كانت هذه القيادة أقل من مستوى العمل المطلوب، فإذا أخطأت فى موقف معين يصحح الخطأ أثناء الحركة وأثناء النضال. ومن خلال الديمقراطية الداخلية والمناقشات داخل الوحدات وأنا لم أخرج فى الانقسام وأى تبرير للانقسام على الحزب يعتبر جريمة.

يتساءل البعض عن موقف التنظيم من اليهود والأجانب ودورهم فى الحركة الشيوعية

وهو سؤال غريب بعض الشئ، هل كان هناك تنظيم ليس لليهود فيه مكان بدرجة أو بأخرى، اليهود مؤسسون وكانوا على الأقل نقطة بداية. السؤال نفسه فيه جانب عنصرى أو جانب نفاقى سواء كانت الحركة المصرية على رأسها هنرى كورييل وآخرون من اليهود وطليعة العمال على رأسها أيضًا يهود وكذلك الإسكرا وباختصار كانوا هم البداية لانستطيع القول إن تنظيمًا مستقلاً عن اليهود نشأ فى البداية، نحن اشتركنا فى التنظيمات التي أنشأها اليهود، فالسؤال هنا ليس له أى معنى وخاصة أنه أثير موضوع اليهود فى التنظيم حينما تمت الكوادر المصرية وطالبت بحقها فى القيادة وتنحية اليهود عن هذه المراكز وظل كوادر حدتو يدافعون عن حق هنرى كورييل فى عضوية اللجنة المركزية حتى آخر لجنة مركزية فى سنة ١٩٦٥.

المعارك الجماهيرية، والسياسية والنقابية وأنشطة التضامن القومي والأممى التى شارك فيها التنظيم

سبق الإشارة إلى دور التنظيم والتنظيمات الاخرى فى معارك تكوين النقابات فى القاهرة والأسكندرية فمثلاً الجمعية العمومية التي عقدها عمال سباهى فى اسكندرية استشهد فيها اكثر من عشره عمال من أجل تكوين نقابة، والنقابات العامة والنقابات المصنعية الاتحادات المهنية. الاتحاد العام، إسقاط معاهدة صدقى بيفن. إلغاء معاهدة ١٩٣٦، الاشتراك فى الكفاح المسلح قيادة التنظيمات الجماهيرية، ودعوة الشعب لحمل السلاح واشترك الشيوعيون فى معارك القنال فى ١٩٥١، ١٩٥٢ وكان للشيوعيين السبق فى دخول بورسعيد أثناء العدوان الثلاثى وتنظيم المقاومة الباسلة داخل بورسعيد أثناء الاحتلال عبد المنعم شتله

ومحمد فخري، أحمد الرفاعى وآخرين، وكان لنا موقف من إبرام اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤ بحيث نصت الاتفاقية على إمكانية عودة القوات البريطانية فى حالة وجود تهديد لتركيا أو إيران الشاه وقد سجلنا هذه التحفظات وقتها.

موقف التنظيم من القيادات والأحزاب قبل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢

إن التنظيم يدعو إلى وحدة القوى الوطنية مثل الطليعة الوفدية والعناصر الليبرالية مثل البندارى باشا وكان موقفنا من حركة أنصار السلام هو أن حركة أنصار السلام نفسها تحوى كثيراً من الأعضاء الشيوعيين. أما تنظيم طليعة العمال كان له رأى آخر وتحفظ على حركة أنصار السلام وأصدر كتيب باسم فؤاد عبد المنعم شحتو يدين فيه حركة أنصار السلام.

أما بخصوص أحداث مارس سنة ١٩٥٤ فالقضية ليست أبيض أو أسود بمعني مع عبد الناصر أو مع نجيب القضية هى أن هناك فقدانًا للجانب الديمقراطى فى ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ أفقدها الكثير، ورغم أن أحداث مارس كانت تطالب بتصحيح المسار نحو الديمقراطية فالمسألة ليست نجيب أو عبد الناصر. المطلب الأساسى هو انعطاف الثورة نفسها نحو الديمقراطية أى مقرطة الحكم وهنا كان رأينا فى هذا الوقت. وقد أثبتت الأحداث أنه بدون الديمقراطية انهار النظام. عندما حل السادات وتولى الحكم.

الموقف من الإخوان المسلمين : ماذا نفعل إزاء ميلشيات مسلحة تسير علنا فى الشوارع تهدد العمال فى شبرا الخيمة وخاصة أثناء الإضرابات والإضراب الكبير عام ١٩٤٦ تحديداً وحينما استولوا على النقابة ووضعوا شرطا لعضوية النقابة أن يكون العامل عضواً فى شعبة الإخوان وبمعنى أصح أصبحت النقابة فى قلعة النضال فى شبرا الخيمة تابعة لشعبة الإخوان أو جزءاً منها وتحت شعار الآية الكريمة (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر) ويعتبرون أصحاب المصانع وأغلبهم من اليهود بمثابة أولى الأمر ولذلك وجب على العمال الطاعة لهم وباختصار تحريم الإضراب. وظل الصراع بين العمال وميلشيات الاخوان المسلحة حتى تحولوا إلى مرشدين للبوليس السياسى. وبالرغم من كل هذا فنحن ضد أحكام الإعدام التى صدرت ضدهم وقد سجل الاستاذ نبيل الهلالى موقف الشيوعيين واعتراضهم على التصفية الجسدية فى قضايا الرأى.

الموقف من باندونج، بالرغم من اعتقالى وآخرين عقب سفر عبدالناصر إلى المؤتمر كان موقف تنظيم النجم الاحمر وقتها أن الاجتماع صحوة لدول العالم الثالث، وهذا ليس موقف كل الشيوعيين فقد أصدر الحزب الشيوعى المصرى (الراية) بيانًا بعنوان فاشى مصر المفلس يبحث عن المجد فى باندونج، أما نتائج المؤتمر شعار عدم الانحياز وصفقة الأسلحة وإعلان باندونج وحد موقف كل الشيوعيين تقريبًا وأصبح باندونج منعطفًا على طريق الكفاح ضد الاستعمار.

قرارات التاميم، أصابها العفن بتمكين عناصر معادية للقطاع العام وغير مقتنعه بالملكية العامة من السيطرة عليه وتفرغه من مضمونه الثورى.

أما التأميم من حيث المبدأ لاقى ترحيبا بين كل القوى التقدمية والشيوعيين على وجه التحديد يمكن كان لنا بعض الملاحظات هو حجم التعويضات التى التزمت الدولة يدفعها للرأسماليين السابقين وكان أبرز قرارات التأميم هو تأميم قنال السويس.

أما بين الشيوعيين كان هناك نقاش بالغ الأهمية حول هذا الموضوع ما بين مؤيد، ومتحفظ باعتبار أن ما حدث هو رأسمالية الدولة. من وجهة نظر المتحفظين، أما المؤيدون فيعتبرون أن الملكية العامة ملك للشعب وأن ماحدث للقطاع العام من تخريب وما أصاب النظام السياسى للثورة من تدهور والتحول من سياسة بناء الألف مصنع إلى وقف دور الدولة فى عملية الاستثمار هو انعدام الديمقراطية وحرمان الشعب صاحب المصلحة من ممارسة حقه فى الرقابة على السلطة التنفيذية وحقه فى أن يختار ممثليه.

الاتحاد السوفيتي والعالم الثالث

أنا شخصيا كنت أميل لموقف السياسة الخارجية للإتحاد السوفيتى فيما يختص بتأييد البورجوازية الوطنية الحاكمة فى العالم الثالث فكل حاكم وطنى يرفع يده فى وجه الاستعمار فى بلاده أيدته تلك الحكومة السوفيتية وشدت من أزره وقدمت له المساعدات اللازمة لتدعيم استقلاله، وأعتقد أن لينين أرسل لسعد زغلول برقية يعرض عليه المساعدة.. وهل كان من المفروض أن يتخلى السوفيت عن المؤازرة والتأييد والمساعدة حتى يتاح للاستعمار أن يقضى على حركة تحرير المستعمرات .. أحب أن أذكر بموقف الاتحاد السوفيتى وانسحابه من الجمعية

العامة للأمم المتحدة حين كانت تناقش مسألة النزاع بين الكوريتين واستطاعت أمريكا أن تدول الحرب واشتركت جيوش أكثر من خمس عشرة دولة تحت القيادة الأمريكية وحسم المواقف في النهاية جحافل المتطوعين الصينيين إلى جانب جيش التحرير لكوريا الشمالية.

المعارك التي خاضها الرفاق

السجون والمعتقلات وما كان يجرى داخلها بين الرفاق من صراعات سياسية وتنظيمية. وبرامج ثقافية ومعارك ضد السلطة فى تعسفها وفرضها علينا ظروفًا صعبة فمثلاً ١٤ عامًا ابتلعت معسكرات الاغتيال والسجون المصرية في أحشائها قيادات العمل السياسى، أعضاء التنظيمات الشيوعية والقادة النقابين من العمال وكافة القوى الديمقراطية فى المجتمع.

كانت هناك وجهات نظر مختلفة ومتضادة ذات طابع نظرى حول القوات الوطنية الديمقراطية وما أثير حوله وما ترتب على هذه المناقشات من انقسامات وتكوين تنظيمات أخرى غير الحركة الديمقراطية.

المجموعة الاشتراكية، مسألة الانكار بالنسبة لمجموعة ٨ يناير، مسألة البورجوازية الوطنية بين الحضور والإنكار كانت هناك وجهة نظر تنكر تمامًا أن فى مصر برجوازية وطنية وينعكس هذا على التحالفات واستكمال أهداف الثورة الوطنية الديمقراطية وأستطيع أن أقرر، لم يكن هنا دراسة عن الواقع المصري عن العمال والفلاحين. والبورجوازية الصغيرة والبورجوازية الوطنية دراسة منهجية يمكن الاستدلال من خلالها على حركة الوضع والصراع الاجتماعى بشكل عام.

أما عن المعارك ضد السلطة فقد حدث إضراب عن الطعام ١٩٤٨ استمر ٨ أيام اشترك فيه أكثر من ١٥٠ معتقلاً والمطالب الإفراج وإلى أن يتم يصرف كفالات لعائلات المعتقلين وأخذت الدولة بمبدأ صرف الكفاله بواقع ستة جنيهات لكل عائلة من عائلات العمال. الإضراب الثانى فى نفس الفترة ١٩٤٨ بعد إعلان الهدنة ووقف القتال اشترك فيه أكثر من ٢٠٠ معتقل واستمر ١٣ يومًا مطالبين بالإفراج والسماح بقراءة الصحف وسماع الإذاعة.

الإضراب الثالث فى ١٩٤٩ مكان الاعتقال جبل الطور واستمر ١٥ يومًا وكان المطلب الأساسى إلغاء الأحكام العرفية والإفراج عن المعتقلين.

في الفترة من يناير سنة ١٩٥٢ حتى ١٩٥٦ تمت سلسلة إضرابات أهمها إضراب كبير

اشترك فيه أكثر من ٧٥ معتقلاً وبعد عشرة أيام من بدء الإضراب فوجئ المعتقل وهو أوردى ليمان أبى زعبل وفى عام ١٩٥٥ وبعد باندونج بهجمة شرسة قادها اللواء اسماعيل همت وضربوا المضربين وجلدوهم وبلغ عدد المجلودين على العروسة بواقع كل واحد ٨ جلدات على غير شروط الجلد بالإضافة إلى كل واحد أخذ نصيبه من ضرب الشوم .. قوات تترية انطلقت فى حملة مسعورة وبعد الجلد والضرب حرقوا ملابسنا بالكامل ودفع بنا إلى زنازين التأديب داخل اللومان بواقع ١٠ أفراد فى كل زانزانة واستمر ذلك أكثر من ثلاثين يومًا بلا علاج من أثر الجلد. أذكر ما كان معى فى زنزانة واحدة عادل فهمى، وفوزى جرجس وفكرى تادرس وسيد عبد الوهاب ندا ومختار العطار، وبقية الزملاء.

فى الفترة من ١٩٥٩ حتى منتصف ١٩٦٤ دخل المعتقلون عدة معارك منها إضراب عن الطعام فى سجن الواحات الخارجة استمر أكثر من ٢٥ يومًا بقيادة الزميل فخرى لبيب، وذلك بالرغم من التعذيب المتواصل وتكسير البازلت فى أبى زعبل، ضرب يومى للمعتقلين مقاومة مستمره لمدة عام تقريبًا فى أبى زعبل، ٦ سنوات متواصلة، كل السجون والليمانات تحولت إلى معسكرات تعذيب ومن أقصى أنواع التعذيب الجسدى والنفسى والمقاومة الباسلة للرفاق لهذا العدوان فكل فترة يسقط شهيد، سيد أمين عامل، على الديب عامل، شعبان حافظ عامل وشهدى عطية الشافعى وكثير من الزملاء الذين قاوموا حتى الموت ولم ينهر أحد وأمام هذا الصمود يحتاج الأمر إلى دراسة لهذه المراحل وليس مجرد شهادة أو شهادتين أو ثلاثة. فهى تجربة غنية ومرحلة هامة فى تاريخ شعبنا.

أسباب حل التنظيمات والمبررات التى طرحت للحل

أنا أريد القول إن هناك نوعين من الرفاق داخل الأحزاب الشيوعية أو التنظيمات الشيوعية، هناك العمال والعناصر الفلاحية بحكم وضعهم فى عملية الإنتاج فهم فى معركة صراع ومحاولة دائمة لتحسين شروط العمل بما فيها الأجور والأجازات وحق العلاج .... الخ بصرف النظر عن وجود الحزب أو عدم وجوده صراع دائم ومستمر، أهمية وجود الحزب بالنسبة لهم ضرورة لايمكن الاستغناء عنها، أية كانت التضحيات المطلوبة لذلك. هذا نوع أما النوع الآخر هو أبناء الطبقات الاجتماعية والذين استهوتهم الفكرة الاشتراكية ودراسة الماركسية. أنا لا أنكر التضحيات التى قدمها هؤلاء، ولا الخدمة التى أدوها إلى الطبقة العاملة لنشر الفكر

الاشتراكى والمنهج الجدلى وبرؤية شاملة للأشياء. إلا أنه فى النهاء
الاشتراكية هى إعلان عن خروج هذه الشرائح من معترك النضال من ا
كان حل الحزب والانضمام للتنظيم الطليعى البورجوازى الذى ثبت فساده
احتكاك بسلطة السادات وتفرق الجميع وكل ذهب لحال سبيله، وترك العمال واد
تحت مطرقة الاستغلال الرأسمالى والملكيات الكبيرة زراعية أو عقارية والأحد
والقوانين التى تصدر تباعا تؤكد سيطرة نظام الاستغلال والشعار الآن مصر أرخص أيدى عاملة فى العالم.

أكثر من نصف قرن كفاح متواصل ومعارك وصمود وتحمل أقصى أنواع التعذيب البدنى والنفسى، إزهاق لأرواح الشهداء الذين سقطوا خلال هذه المدة بغض النظر عن صواب أو خطأ السياسة أو المواجهة إلا أن التنظيمات الشيوعية خلال هذه المدة خلفت تراثا لا يمكن تجاهله بل هو مما يفخر به الشعب المصرى وقوى التقدم العربية أذكر هذا بالمقارنة بتنظيم البورجوازية الطليعى عند أول احتكاك بين التنظيم وسلطة السادات انتهى كل شئ للذكرى.

من أسباب انقسام حركة الشيوعيين المصريين

تسطيح الفكر الماركسى وعدم دراسة الواقع، وعدم تحديد الأهداف، والتركيب العضوى للتنظيم ومن ثم القيادة فلا يوجد بالقدر الكافى من يكتوون بالصراع الطبقى الحاد يومياً خلال البحث عن لقمة العيش. وان وجد بعض العمال فهم لم يؤسسوا نظريا بالقدر الذى يمنعهم من الانحراف. وكانت الولائية تلعب دوراً فى شغل بعض العمال فى هذه المناصب.

وهناك نقطة هامة هى محاولة كل انقسام الحصول على اعتراف دولى من أى حزب أوربى أو من أى هيئة ترخص له بالعمل فى هذا المجال. النقطة الغائبة كان هناك اعتقاد أن الشيوعيين المصريين قاب قوسين أو أدنى من استلام السلطة وكل تنظيم أو تكتل يطمح فى الحصول على هذا الشرف العظيم (أحلام يقظة وتفكير ميتافيزيقى).

زملاء راحلون:

وفى النهاية أقول إن شهادتى لم تنشر قبل ذلك ولم أدل بها لأى جهة، وأنا أعترف بأن هذه الشهادة ليست دراسة بل هى مادعته الذاكرة وأرجو أن أتمكن من الاقتراب أكثر من الأحداث فهى مسيرة نصف قرن وصعب أن نوجزه فى بضع صفحات.

البيانات الشخصية

الاســــــــم : فخرى لبيب حنا

تاريخ وموطن الميلاد : ٧ فبراير ١٩٢٨، سنورس - الفيوم.

الحالة الاجتماعية : متزوج من السيدة امتثال محارب غبريال (قانونية) وأنجبت ابنتين توأمتين هالة وهيام.

المؤهلات الدراسية والمهن التى عملت بها

المؤهلات : بكالوريوس علوم فى الكيميـاء والجيولوجيا - مايو ١٩٥١- كلية العلوم جامعة فؤاد الأول - ماجستير فى الجيولوجيا ثم دكتوراه من ١٩٧٧- ١٩٨٧ على التوالى كلية العلوم - جامعة القاهرة.

المهن : مدرس من سبتمبر ١٩٥١ حتى مايو ١٩٥٤ (مدرس أشيا وصحة وحساب، ثم طبيعة بكفر الزيات ثم طنطا). جيولوجى من مارس ١٩٦٦ حتى فبراير ١٩٨٨ بالهيئة المصرية العامة للمساحة الجيولوجية والمشروعات التعدينية. من ١٩٨٦ حتى الآن مسئول الاعلام بمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية.

فترات الاحتجاز : ٢٩ مايو ١٩٥٤ إلى ٢٩ مايو ١٩٥٧ ثلاث سنوات أشغال شاقة وبعدها ستان، هروب من المراقبة. منذ الربع الأخير لعام ١٩٥٧ حتى يوليو ١٩٥٩ حيث أعتقلت حتى إغلاق المعتقل فى ١٩٦٤/٤/٤.

اعتقال فى سبتمبر ١٩٧٨ (كامب دافيد) مدة ثلاثة شهور

اعتقال فى اكتوبر ١٩٨١ (مقتل السادات) مدة تسعة أو عشرة شهور

اعتقال فى ١٩٨٩ (إضراب الحديد والصلب) مدة شهر.

أى بيانات شخصية أو عائلية أخرى تفيد فى التعرف على السيرة الذاتية :

والــدى : ناظر محطة بالسكة الحديدية (حاصل على الكفاءة ثم مدرسة التلغراف)

والدتي : متعلمة وإن لم تكمل تعليمها لزواجها المبكر.

الأخوة : سبعة ذكور تعلموا جميعاً فى الجامعة وكان ترتيبى الثانى بين أشقائى، وهناك

أخت ترتيبها الخامسة توفيت وعمرها تسعة شهور.

ارتباطاتى الفكرية : كان أبى معلمى وأستاذى الأول فى غرس الوطنية، كان وفديًا شديد الوطنية شارك فى ثورة ١٩١٩، يعادى الانجليز كمحتلين خاصة والأجانب عامة. أسمانى فخرى على اسم فخرى عبد النور النائب الوفدى لمديرية جرجا التى ننتمى إلى عاصمتها سوهاج. (ورغم وطنيته تلك إلا أنه سيفزع عندما أتحول إلى الفكر الاشتراكى خوفًا علىَّ مما سيحل بى، وما حل بالفعل).

نحن الآن فى عام ١٩٤٠ ووالدى معاون محطة جرجا وأنا فى السنة الرابعة الابتدائية ومنزلنا منزل حكومى قرب المحطة مباشرة - أقرأ الاهرام يوميًا، قوات الامبراطورية البريطانية هنود، موريشان، كنديين، استرالين، نيوزيلنديين، انجليز، كلها وبعداتها تعبر فى القطارات مرة إلى الشمال ومرة إلى الجنوب. ضحايا الغارات الجوية على القاهرة والاسكندرية والمهاجرين إلى منابعهم يتكدسون على المحطة وفى الحديقة الممتدة خلفها، وكذلك العمال الذين يساقون للعمل فى معسكرات الانجليز. ونحن نكره الانجليز ونشمت فى هزائمهم ونتبهر بألمانيا وهتلر، نؤمن بأن عدو عدونا صديقنا. ونحب فاروق الملك الشاب.

وقطار الركاب يحمل طبقات المجتمع جميعًا، بدءًا من عربات النوم (البولمان) والأكل حتى عربات الدرجة الثالثة : تتفرج دوما عليهم وهم يتفرجون علينا أحيانًا.

المحطة وإن كانت مكانا ثابتًا غير أن العالم يأتى إليها أو يصدر عنها. هى مكان ثابت يموج بالحركة. وكل ذلك نعيشه ونعايشه.

ومدرسو اللغة العربية الأزهريون عامى ٤١ , ١٩٤٢ (الأولى والثانية الثانوية) يهاجمون الانجليز والاستعمار فى الفصول الدراسيةفى مدرسة رزق الله مشرقى الثانوية بجرجا ويشحنوننا بالعداء لهم.

وفى أسوان الثانوية عام ١٩٤٤، ينتصب ميرابو (وهو الاسم الذى أطلقناه على مدرس التاريخ) شامخًا يحدثنا عن الثورة الفرنسية، وينهى ما يقول بضرورة أن تقوم فى مصر ثورة مثل الثورة الفرنسية وتعلن الجمهورية، ولأول مرة تنكسر صورة الملك وهتلر لينضافا إلى صفوف الأعداء.

ويجئ عام ١٩٤٥ أحد المفتشين (أ.اسماعيل مظهر على ما أتذكر) وأنا فى التوجيهية فى مدرسة أسوان الثانوية ويخطب فينا قائلا : لابد أن يخرج منكم عرابى آخر، مصطفى كامل آخر، سعد زغلول آخر.

المنزل والمدرسة وموقع عمل أبى كانت المنابع الأولى للمعرفة الوطنية وتهاويم طبقية أو اجتماعية بصورة أدق.

لكنني أود التوقف هنا عند أحداث أربعة

(١) كنا نقضى الأجازات الصيفية فى بيت أخوالى بالقاهرة. وكان خالى الأصغر وهو يكبرنى بأربع سنوات صديقا لى وطالبًا بكلية العلوم. وكنت أسمعه يتحدث مع أصدقائه وزملائه عن العدالة الاجتماعية والمساواة والعمال والفلاحين والكادحين والاشتراكية والامبريالية. غير أن تلك الاشياء كانت تبدو لى، فى تلك الفترة، مثل دردشات أصدقاء فى أمور تخصهم ولا تخصنى.

(٢) اجتاحت الملاريا عام ١٩٤٤ مديرية أسوان، وقيل إنها جاءت مع قوات «الحليفة». كان الناس يتساقطون فى أفواج متتالية. وأرسلت الحكومة معونات من الزيت والبطاطين للمنكوبين. غير أن المشرفين على التوزيع قاموا بنهبها وإلقاء الفتات إلى الفلاحين (فى المحاميد) فقاتلوا بعضهم البعض للفوز بأى شئ ثم هاجموا المشرفين المحميين بالعسكر فأطلقوا الرصاص على الفلاحين وقتل من قتل وجرح من جرح وكنت شاهد عيان لما جرى، فصدمت صدمة عنيفة، إذ لأول مرة أرى العسكر المصريين يقتلون الفلاحين المصريين المرضى الجوعى حماية للموظفين اللصوص. ولم تعد القضية التى تشغلنى هى الأجنبى أو الانجليزى المحتل فقط. إذ برزت أمامى، وربما بدون وعى كامل حينئذاك، قضايا الداخل، قضايا الشعب والحكومة. وكانت تلك نقطة حاسمة فى مسار حياتى.

(٣) بدأت أنتبه لأشياء أسمعها، ربما كانت فى البداية تثير دهشتى أكثر من قلقى، أن قرية المحاميد إلى جوار أدفو والتى كان والدى ناظرا لمحطتها، يبلغ زمام أرضها ثلاثمائة فدان تمتلكها كلها سيدة واحدة، لا تأتى لترى أرضها أو الفلاحين الذين يعملون بها أحياء أم أمواتا، وأنها تترك لأحد الرجال الفتوات مهمة جمع الإيجار أو المحصول مقابل استفادته بعائد

عدد من أفدنتها.

وأن نجع حمادى بما فيها محطة السكة الحديدية ملك لأحد الأمراء ويدعى على ما أتذكر يوسف كمال. وأن وادى كوم أمبو المزروع قصبا ومصنع السكر ملك لعبود باشا. وأن هذا الرجل يملك فى يديه مصير آلاف الفلاحين والعمال العاملين فى أرضه أو مصنعه.

(٤) وبدأت أكتب لصديقى عبد الله محمود كامل والذى تعرفت عليه فى العدوة - فيوم، عام ١٩٤٣، عن الظلم الذى أراه وعن بشاعة حياة العمال والفلاحين، وأن هنالك سادة من المصريين لا يقلون هولاً عن الأجنبى والانجليزى، وبدأ يظهر، وربما بشكل هلامى فى البداية، للقضية الوطنية المرتبطة بالانجليز والأجانب، بعد اجتماعى هو العدالة الاجتماعية، ووقف القهر والاستبداد المصرى - المصرى.

(٥) تهاوى الانبهار بهتلر عدو عدوى، عندما رأيت بعينى، وكنت فى القاهرة فى الإجازة الصيفية، ضحايا الغارات الجوية الالمانية على الأحياء الشعبية وكلهم من المصريين، وليس فيهم انجليزى واحد، وقعقعة مدافع ستالينجراد وبداية هزيمة النازية. تهاوى الحب الذى كنت أكنه للملك الشاب فاروق، فهو رأس الدولة التى تقتل الفلاحين وتحمى السادة وبدأت تتجمع فى رأسى دروس مدرس التاريخ عن الثورة الفرنسية ضد الملكية والاقطاع وضرورة حدوث ثورة مثلها فى مصر. كما بدأت تستيقظ فى أعماقى الأفكار التى كنت اسمعها عن الاشتراكية والكادحين والعمال والفلاحين من أصدقاء أصغر أخوالى، وتناقشت مع بعض الاصدقاء المقربين ومنهم ألفونس عزيز فى تلك الأحوال وكونا مجموعة أسميناها «بالاشتراكيين» وكان عدونا المباشر الذى نثير معه جدلا مستمراً هو مدرس اللغة الانجليز وهو انجليزى، يقال إنه كان يعمل فى المخابرات الانجليزية، ويعيش على ربع رئة، إذ أفسدت باقى رئتيه الغازات السامة من الحرب العالمية الأولى.

وكانت توزع علينا فى المدارس حينذاك صور قادة الحلفاء. تشرشل والعلم الانجليزى، روزفلت والعلم الأمريكى، تشاى كاى شيك والعلم الصينى، وستالين والعلم السوفيتى. وعلقت على باب الغرفة التى أسكنها وأخوتى فى أسوان صورة ستالين والعلم السوفيتى، وكنا حينذاك فى أسوان فى التوجيهية (الثانوية العامة) عام ٤٤-١٩٤٥.

ارتباطاتي الايديولوجية والتنظيمية

عام ١٩٤٥، التحقت بقسم الجيولوجيا بكلية العلوم. جامعة فؤاد الأول ، والتحق ألفونس عزيز بكلية التجارة، ولحق بنا عبد الله محمود كامل بعد عام ليلتحق بكلية التجارة أيضًا.

كانت شوارع القاهرة مليئة بالجنود الانجليز، ودفعنى منظرهم الاستفزازى وسلوكهم المستهتر، وكونهم جنود احتلال إلي التفكير فى ضرورة البحث عن طريقة لقتل ما أمكن من هؤلاء الجنود والضباط.

وعندما لاحظ أحد زملائى بالكلية حماسي واندفاعى فى التحركات الوطنية حينذاك، دعانى لحضور أحد الاجتماعات السرية، وكنت أتوقع وأنا ذاهب معه أن محور النقاش سوف يكون حول التدريب على الأسلحة وقتل جنود الاحتلال. لكن الأمر كان شديد المفاجأة لى إذ تأخر أحد الزملاء عن موعد الحضور خمس دقائق فجرى نقاش ممل طويل حول أهمية عدم التأخير. تم أخذ أحدهم يقرأ من كتاب صغير ويشرح أشياء لم أفهم منها شيئا (عرفت فيما بعد بزمان أن هذا الكتاب هو كتاب الأسس اللينينية) وأحسست بإحباط شديد. وحضرت اجتماعًا آخر وآخر. وأنا لا أفهم شيئا، فقد كان ما يشغل بالى هو متى ينتهى هؤلاء من قراءة هذا الكتاب «العسير» ويبدأون فى تدريبى على قتل الإنجليز. وكان ذلك فى أواخر ١٩٤٥.

فى تلك الأثناء بدأ أصدقاء خالى الأصغر فى الحديث معى للانضمام إليهم. وكنت قد برزت فى المظاهرات أخطب وأهتف. لم أكن أعرف أن هنالك أكثر من شئ، لكنهم شرحوا الأمر لى. وبدأت أفهم : إننى الآن فى منظمة الحركة المصرية للتحرر الوطنى (حمتو) وهم منظمة «اسكرا» أى «الشرارة». وأخبرتهم أننى لا أستطيع أن أترك الآخرين هكذا. فتركوا لى مهلة أختار خلالها. لكنهم كانوا الأكثر وجودا ونفوذا فى الكلية. مما شدنى إليهم لنشاطاتهم، فحسمت أمرى بالانضمام إليهم. كان منهم فى تلك الأيام جمال غالى، فاطمة زكى، سعد زهران وغيرهم وغيرهم، وكان من المعيدين عبد المعبود الجبيلى وعبد الرحمن الناصر وغيرهما. وكان معى فى السنة الأولى فتحى خليل وميشيل سعد.

عندما أبديت موافقتى على الانضمام لاسكرا وضعونى فى تجربة. أعطونى منشوراً وطلبوا منى توزيعه دون إعطائى فكرة عن الكيفية التى أوزعه بها. يبدو أن المطلوب كان اختبار قدرتى على التصرف. وضعت خطة للتوزيع، كان المدرج يفتح مبكرًا لتنظيفه. وكان الطلبة

يدخلون لحجز أماكن لهم فى المدرج ويغادرونه. وكانت تلك فرصتى، فوضعت نسخة من المنشور على كل مقعد وغادرت أيضاً. وعندما دخل كل الطلبة المحاضرة كان فى يد كل طالب منشور. وثارت ضجة شديدة حول الموضوع. واستدعانى حرس الكلية للتحقيق، لكن شيئا لم يثبت علىّ ، وانضمت إلى «اسكرا» بعد أن اعتذرت لصديقى فى (ح.م)، وأخبرته بما حدث.

عندما طرحت عليهم فكرة قتل الانجليز ناقشونى فى الإرهاب الفردى وعدم جدواه، وأن قتل جندى أو ضابط انجليزى لن يجلى قوات الاحتلال، إنما الجلاء يتم بمعركة تشارك فيها كل القوى المعادية للاستعمار. إننا نشكل جبهة من المناضلين للتحرر ضد الاستعمار وأعوانه من الاقطاعيين والرأسماليين المرتبطين به. ومن هنا يجب الاهتمام كل الاهتمام بتنظيم الشعب وتعبئته، فالمعركة طويلة وقاسية.

اهتم الزملاء اهتماما كبيراً بعملية التثقيف إلى جوار العمل الجماهيرى والذى يكاد يكون يوميا. وكان التثقيف يبدأ بالابسط إلى الأكثر تعقيداً. وكنا نكلف نحن أعضاء الخلية (بعد فترة) بتلخيص كتاب وعرضه، وأتذكر أننى كلفت بتلخيص البيان الشيوعى، وأقبلت على تنفيذ هذا التكليف بهمة، غير أنى اكتشفت، أنه من شدة خوفى أن أفقد شيئا وأنا ألخص أننى كتبت تقريبًا نسخة أخرى من الكتاب. (غير أن ذلك أفاد كثيراً فيما بعد، حتى أصبح الواحد منا يعرض ما كلف به دون عناء).

وسوف أتناول فيما يلي بعض المعارك والنشاطات الجماهيرية :

الشهيد محمد على

عندما بدأت المظاهرات فى جامعة فؤاد الأول ابتداء من ٩ فبراير ١٩٤٦، وبعد أحداث كوبرى عباس، كنا نقطع الطريق على السيارات المحملة بالحصى أو الأحجار والعابرة أمام الجامعة، لتدخل حرم الجامعة وتفرغ ما فيها كى نستخدمه فى مهاجمة البوليس أو رده، وأوقفت إحدى السيارات وتعلق «محمد على» ببابها إلى جوار السائق كى يقوده إلي داخل الجامعة، فدفع به السائق ليسقط تحت العجلات، واندفع هارباً.

وحُملت جثته إلى كلية طب القصر العينى وتم إخفاؤها بمعرفة طلبة الكلية، كى يتم تشييع جنازته بمظاهرة ضخمة فى اليوم التالى. وبدأنا نغادر حرم الجامعة إلى القصر العينى استعدادا

لحشد الغد ولحراسة جثمان الشهيد، وحاصر البوليس المصرى برئاسة الضابط الانجليزى فيتز باتريك القصر العينى وبدأت معركة بيننا وبين القوات المحاصرة لنا. وكان سطح القصر العينى مليئا بصناديق قديمة وأقطان فأشعلناها وألقينا بها عليهم ففروا هاربين فخرجنا إلى الشارع وقلبنا عربة ترام. وكسرت أعمدة مصابيح غاز الاستصباح فاندفع الغاز منها مشتعلا كالنافورة. ودامت المعركة حتى منتصف الليل. فطلب أحد كبار الضباط المصريين التفاوض. وتمسك بتسليم الجثة وانصراف الطلاب. فرد الطلاب عليه باحتجازه وإعلان هذا الاحتجاز. وقرابة الفجر اقتحم البوليس القصر العينى وانتزع جثمان الشهيد وألقى القبض على بعض الطلاب.

٢١ فبراير ١٩٤٦

كان يوما يؤكد بحق المواجهة بالحشد الشعبى الجبهوى للمناضلين من أجل التحرر فى مواجهة الاستعمار وأعوانه. وكنت مكلفًا بالهتاف. وكان اشتراكى فى هذا اليوم هو الذى رسخ فى أعماقى المواجهة الجماعية بديلاً عن المواجهة الفردية وعمليات اغتيال الجنود والضباط البريطانيين. كانت نقطة تحول من الثقة فى الذات فقط، إلى الثقة بالذات من خلال الثقة بالمجموع والارتباط بها.

توزيع مجلة الجماهير وصوت الطالب

كان توزيع المجلة الخاصة بالمنظمة باليد هاما للغاية. إذ كان يوفر وسيلة طبيعية لإجراء حوارات حول محتوياتها وهو عمل دعائى ممتاز كما كان يوفر علاقات تقوم على الاقتناع، وقد خلقت تلك العلاقات مراكز ثابتة للتوزيع عند بقال أو حلاق أو حرفى أو صاحب مقهى، وغدت تلك المراكز شبكة من المتعاطفين والأصدقاء الذين يجمعون التبرعات عند بيعها، وربما جُند البعض منهم.

كما كنا نقوم بتوزيع مجلة صوت الطالب فى الجامعة.

لجان مقاومة الكوليرا

شاركت رابطة الطلبة المصريين وهي في الأصل تنظيم ديمقراطي لاسكرا في معركة مقاومة

وباء الكوليرا، كنا نشكل لجانًا في الأحياء الموبوءة. وقد شكلت أنا ومحمد محمود عثمان لجنة لمقاومة الكوليرا في جزيرة بدران. وقد بلغ عدد المتطوعين فيها حوالى سبعين عضواً، كنت ومحمد عثمان فقط الشبرعيين فى هذه اللجنة. وقد نجحت اللجنة إلى أقصى حد ممكن. إذ كنا نقوم بأعمال الوقاية فى البيوت التى لا يوجد بها مصابون، وأعمال الإنقاذ السريع للمصابين والتطهير لمنازلهم.

وأتذكر أنه جاءت تبرعات دوائية للرابطة من الخارج، فاحتجزتها وزارة الصحة، ودعت الرابطة إلى حشد يتوجه إلى وزارة الصحة. وقد اعتصمنا على سلالم الوزارة مطالبين بالإفراج عن تلك المعونات الطبية.

النادي المصرى السوداني

كنت وفتحى خليل وميشيل سعد من سكان شبرا. ولذا كان يجمعنا نشاط الحى إلى جوار نشاط الكلية. وأنشأنا ومعنا فريد رمزي ورشدى خليل وكان صبيا فى ذلك الوقت ناديًا، فى مبنى من دور واحد تحيط به أرض واسعة أشبه بالفيلا. وأطلقنا عليه اسم النادى المصرى السوداني. وكان ناديا ثقافيا رياضيا. وقد افتتحه اسماعيل الأزهرى المناضل السودانى، والذى أصبح أول رئيس وزراء للسودان بعد الاستقلال. كان تفكيرنا منصبا على ضرورة وجود شكل علنى يربط شباب الحى بنا، وقد نجح النادي بالفعل، لكنه أغلق فى حملة صدقى عام ١٩٤٦. وأصبح النادى على ما أتذكر مركزاً لجماعة الإخوان المسلمين.

حرق الكنائس

حرقت كنيسة فى إحدى المديريات ربما فى الزقازيق، واجتمع الشباب المسيحى فى كنيسة فى شارع جزيرة بدران. كان الغضب عنيفا، والشعار المرفوع «حرق جامع مقابل حرق كنيسة». ودخلنا فى نقاش حاد للغاية، باعتبار أن تلك مؤامرة انجليزية لبتطاحن أبناء الوطن وحرف المعركة، إذ بدلا من أن تصبح ضد الانجليز، تصبح فيما بين المصريين وبعضهم البعض، تطبيقًا لشعار «فرق تسد»، وأننا يجب ألا تستكمل لهم مؤامراتهم. ونجحنا فى تحويل الغالبية العظمى إلى صفنا، ووأد فكرة العين بالعين، فى هذا المجال فى مهدها.

انتخابات الكلية

كان هنالك اتحاد الطلاب ويجيئ من خلال انتخابات عامة لكل طلبة السنة الدراسية. كنا كما قلت سابقا، وفى حدود ما كنت أعرف، ثلاثة بالسنة الأولى : فتحى خليل، ميشيل سعد وأنا، وكان هنالك حوالى ٢٥ إخوانيا. ولم يكن هؤلاء الإخوان يحصلون على غير أصواتهم، أما مرشحونا فكانوا يحصلون على غالبية الأصوات غير الإخوانية، وكان عدد طلاب السنة الأولى حوالى ١٥٠ طالباً.

وكان هنالك أيضًا الاتحاد العلمى، ويجيئ من خلال انتخابات فى أقسام الكلية المختلفة : الكيميا،، الطبيعة، الجيولوجيا، النبات، الحيوان ، الرياضة البحتة .. الخ.. من السنوات المختلفة. وكنت أنجح دائما فى الاتحاد العلمى بالتزكية عن قسم الجيولوجيا للسنة الدراسية التى أكون بها.

أتذكر أن فاطمة زكى، وكانت فى البكالوريوس، خاضت معركة الاتحاد العلمى فى مواجهة زعيم الإخوان المسلمين بالكلية، وكان شعارة «لا تنتخبوا امرأة». غير أنها نجحت نجاحا ساحقًا وبا، هو وشعاره بالهزيمة.

وبعد أن تخرجت فاطمة زكى أنشئ قسم للكيمياء الصناعية بكلية الهندسة جامعة فؤاد الأول، وكان معنى ذلك مزيداً من إغلاق الابواب أمام خريجى الكلية والغالبية منهم كيميائيون. وعقدنا الاجتماعات الاحتجاجية وجاءت فاطمة زكى لتخطب فينا فى أحد المدرجات، شارحة حال الخريجين السيئ للغاية الآن. فما الحال لو دخل المهندسون الكيمائيون المنافسة التى هى بالنسبة للعلميين خاسرة. إذ أن نفوذ المهندسين فى المجال الصناعى هو النفوذ السائد، ونفوذ العلميين ضئيل إلى حد كبير. واشتعلت الكلية، فأغلقت، لكننا كنا نحضر ونعقد الاجتماعات فى الحدائق القريبة من الكلية (كما كان يحدث أثناء الثورة الفرنسية)، غير أن المعركة انتهت فى غير صالحنا.

كانت كلية العلوم جامعة فؤاد الأول فى هذه الفترة معروفة بالكلية الحمرا.. فقد كان النفوذ الطاغى فيها للشيوعيين.

وأود هنا أن أذكر واقعة تصور عقلية الطلاب حينذاك بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية

أو الفكرية. كان عددنا محدوداً فى قسم الجيوليوجيا فى السنة الأولى، وكانت بيننا علاقات حميمة. كنا ندرس الجيولوجيا - الكيمياء - الحيوان - النبات - وتنتهى دراسة النبات فى السنة الأولى ولا نتواصل معًا. كنا فى حصة عملية وجاء مدرس النبات فوجد أحد زملائنا يسير جيئة وذهابا فى المعمل. سأله فى غضب، لماذا تفعل هذا؟ قال فى هدوء لقد أنهيت المطلوب منا فى هذه الحصة. زعق المدرس : اقعد بلاش مرقعة. وغادر . ودوت كلمة «مرقعة» فى آذاننا كالفرقعة. وللحال قمنا قومة رجل واحد، وخلعنا معاطفنا المعملية البيضاء، وتوجهنا إلى مكتبة الكلية حيث كتبنا احتجاجًا شديد اللهجة إذ أننا لم نكن نتوقع صدور مثل تلك «الكلمات» من أستاذ بالجامعة، كما أننا كطلاب فى الجامعة لا نقبل البتة أن توجه إلينا مثل تلك «الألفاظ» ودخل أضخم ثلاثة فينا علي الاستاذ، فخرج إلينا يعتذر بشدة، وينفى أيضًا بشدة أنه قصد إهانتنا. وفى نهاية العام اسقط هذا الاستاذ «الجامعى» كل من كان موجوداً ووقع على عريضة الاحتجاج، دور أول، ودور ثانى. وأصبح يباهى بعد ذلك بما فعله فى دفعة ١٩٤٥، ويهدد به كعبرة لمن لا يأبه من قسم الجيولوجيا بعلم النبات، وبالتالى به، ولا أتذكر أننا ندمنا على ما فعلنا، فقد كان اعتزازنا بكرامتنا يفوق كل شئ. وقد غدا من أبناء هذه الدفعة أساتذة بالجامعات ورؤساء مجالس إدارة شركات وأعضاء بالبرلمان.

تلك صورة أو لمحة لما كان عليه أبناء هذا الجيل.

الوحدة والانقسام

تمت وحدة أسكرا والحركة المصرية للتحرر الوطنى، وأعلن عن تكوين الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى «حدتو» لا أتذكر شيئا عن هذه الوحدة، وهل كنا نخبر بما يجرى أم لا، والأقرب لما حدث أننا لم نعرف شيئا عن الوحدة قبل إتمامها. كنت وقتها عضوا قاعديا أو عضو لجنة قسم شبرا على أكثر تقدير. لكننا فرحنا بالوحدة فرحا شديداً واحتفلنا بها. قيل وقتها أن أعضاء المنظمة الجديدة حدتو حوالى أربعة آلاف عضو. وأن البعض ، ممن كانوا يزمعون الزواج، تبرعوا بتحويشة العمر دعما للتنظيم الوليد، واحسسنا فعلا بأننا قوة حقيقية، وأننا «على مشارف تحقيق الاشتراكية».

لم أحس بجديد بعد الوحدة من الناحية التنظيمية، فمن كنت أعمل معهم فى الكلية أو فى الحى ظلوا كما هم على وجه التقريب. غير أنه بدأت نغمة تذمر ترتفع بعد فترة حول نفوذ الأجانب فى المنظمة، وخط يونس للقوات الوطنية الديمقراطية، والعمل فى صفوف العمال، وأن ناتج الوحدة كان يجب أن يكون الحزب الشيوعى لا الحركة الديمقراطية.

ويظهر من ذلك أن الصراع حول مقومات الوحدة السياسية والتنظيمية والجماهيرية بدأ بعد الوحدة لاقبلها. ومشاركة المستويات دون القيادية بدأت بعد الوحدة لا قبلها. وقد حدث كل ذلك عبر ما يسمى بالاتصالات الجانبية والاجتماعات غير التنظيمية، والشحن الفكرى عبرأهل الثقة، وهم بالنسبة لى من أعضاء اسكرا سابقا. كنت متلقيا أكثر منى فاعلا، فقد كان ما يجرى أشبه بالدوامة لا أعى ما يحدث بالضبط، حتى أنه عندما حدث انقسام التكتل الثورى بقيادة سليمان وسيف (شهدى عطية وأنور عبد الملك) وجدت نفسى جزءا من هذا التكتل.

أتذكر لقاء حضره سعد زهران وربما داود عزيز ليشرحا لنا ما جرى - وظهر التكتل الثورى بعدها باعتباره المنقذ للحركة الشيوعية وأداتها لتحقيق أهدافها.

وكلفت أنا وعبد الله محمود كامل وعبد المجيد أبو زيد بإعداد المكتبات والأجهزة الفنية للتنظيم الجديد. كنت أسكن فى حجرة فوق السطح فى شبرا. وكان على أعضاء التكتل أن يقدموا ما فى حوزتهم من كتب نظرية وأجهزة فنية إلى حجرتى حيث اكتظت بما احتوت. واضطررنا إلى نقل كل ذلك إلى دكان ترزى فى الدقى بسيارة محمد سيد أحمد. وكدنا نسقط فى يد البوليس ونحن نقسم الكتب إلى مجموعات. كتب عليها اسم المنطقة التى سترسل إليها. فقد كان الدكان فى دور أرضى على الشارع مباشرة، ونحن نعمل ليل نهار. وكانت قد ألقيت متفجرات على بيت النحاس باشا بالقرب منا. غيرأننا أفلتنا بأعجوبة ونقلت كل تلك الأشياء إلى مكان ما فى الهرم.

الهام هنا، هو أن عبد الله كامل، انتقى مجموعة من الكتب النظرية ملأ بها حقيبة أخفاها فى مسكنه، باعتبار أنه يتوجب أن نعرف نحن بأنفسنا الفكر النظرى لما نؤمن به سياسيا. (وقد شكلت تلك المجموعة جوهر التثقيف الذاتى الأساسى لنا. كان علينا أن نتعرف على الماركسية اللينينية من منابعها فى أعمال ماركس وانجليز ولينين).

التكتل الثورى ينهار

توالت الضربات البوليسية على التكتل الثورى، وبدأ ينهار.

كُلفت بأن التقى بعدد من الأعضاء والعضوات الأجانب. وتم اللقاء فى منزل د. فريد حداد فى شبرا. كانوا قرابة العشرين، من جنسيات مختلفة، ولم تكن غالبيتهم الساحقة تعرف العربية. ووجدت نفسى أرفض الحديث بغير العربية وأصر على ذلك. فقام أحدهم بالترجمة للآخرين. وبعد نقاش طويل من جانبهم حول ضرورة أن يلعبوا دوراً جماهيراً وخاصة بين العمال، أنهيت النقاش بأنهم أولا لا يجيدون العربية فكيف بهم يتعاملون مع عمال لا يعرفون غيرها. وثانيًا أن لهم دوراً، ولكن فى غير العمل الجماهيرى. ويتلخص هذا الدور فى مهام ثلاث. المساعدات المالية، وإخفاء الهاربين وتأمين الاجهزة الفنية وتشغيلها. غير أن فكرة ١٠٠٪ عمال كانت سائدة كالاعصار دون تبصر أو روية. فتركوا التكتل وذهبوا إلى «القاعدة المشتركة» محتجين وهى شكل تنظيمى فضفاض ينضم إليه من يشاء لإدارة صراع نظرى وسياسى وجماهيرى. وقد انتهت أعمال القاعدة المشتركة بإعلان المنظمة الشيوعية المصرية (م.ش.م)

انقطع الاتصال بنا (وقد عرفت فيما بعد أن فتحى خليل وفريد رمزى وفريد حداد وعبد المجيد أبو زيد قد انضموا إلى منظمة «طليعة العمال»، وأن سعد زهران وداود عزيز قد بدأوا مع زملاء آخرين الإعداد لإعلان «الحزب الشيوعى المصرى»).

كان التكتل الثورى قد تحول من الانهيار إلى التصفية التامة.

ما بعد التكتل الثورى

كان علىَّ أنا وعبد الله كامل أن نركز على تثقيف أنفسنا، فقد بدأت حرب النصوص والاقتباسات. وقد ظهرت منظمات جديدة على الساحة كلها خارجة من حدتو أو التكتل الثورى. لم يحتل فهم الواقع المصرى حيزاً كبيراً فى هذا الصراع. كان هذا التنظيم يتخندق وراء «ما العمل» وذلك وراء «خطوة للأمام وخطوتين للخلف»، وهكذا. وكانت حياتنا الخاصة والعامة تثير فى نفوسنا أسئلة اجتهدنا أن نجد لها حلاً من خلال الفهم النظرى.

وقررنا أن نبدأ مستقلين بتحسس طريقنا وأفكارنا.

لقد قررنا عدم دخول «القاعدة المشتركة»، فقد نظرنا إليها كسوق عكاظ ومباراة نصوصية، وساحة للاختراق البوليسي. كما قررنا عدم دخول م.ش.م لأنها يسارية، وأن نظرية ١٠٠٪ عمال تتنافى وأعمال سبق وشاركنا فيها أو قمنا بها، وهى أعمال جمعت بين عمال ومثقفين ومواطنين عاديين. وإن كنا نؤمن وبعمق بالدور القيادى للطبقة العاملة. كما لم يكن هنالك مكان للعودة إلى حدتو وخط القوات الوطنية الديمقراطية سياسيا والتنظيم الفئوى تنظيمياً. وكانت لنا تجربة كالصدمة مع عمال منظمة «طليعة العمال» (ولم نكن نعرف عنها شيئا) فامتلأنا بالنفور منها.

كنا لا نؤمن بنظرية ١٠٠٪ عمال، لكننا كما قلت كنا نؤمن وبعمق بدور الطبقة العاملة القائد، ولهذا بدأنا النزول إلى أماكن تجمع العمال فى المقاهى فى شبرا الخيمة وإمبابة. كنت ما أن أعود من الكلية عصراً أو مساءً حتى أرتدى ملابس قديمة ونتوجه أنا وعبد الله كامل إلى تلك المقاهى سعيا لتجنيد العمال. وأصبحت معروفا لمن ألتقى بهم فى امبابة باسم الأسطى عفيفى ومن ألتقى بهم فى شبرا باسم الاسطى مختار. كنا نقول بأننا عمال عاطلون نبحث عن عمل. ورغم أن هذه الفترة عرّفتنى جيداً بصناعة النسيج وعمال النسيج ومشاكلهم ومطالبهم غير أن حصيلة التجنيد لم تكن تعادل الجهد المبذول. كانت تجربة فاشلة.

التقينا أثناء تلك المحاولة بعمال يُطلق عليهم اسم العسكريين (نسبة لمحمود العسكرى- طليعة العمال)، وكما قلت لم نكن نعرف عنهم شيئا، غير أن النقاش معهم كان غريبا وكان صدمة. إذ عندما عرفوا أننا كنا فى «حدتو» هاجمونا بضراوة بل وهددونا بالضرب. لم يناقشوا معنا مسائل سياسية أو نضالية أو عملاً جماهيريًا، أو حتى حاولوا ضمنا إلى تنظيمهم. لقد اعتبرونا شيئا ملوثًا يجب القضاء عليه. لقد كانت «حدتو» فى رأيهم أشبه بكلوت بك (مكان الدعارة الرسمى) والتى عندما أغلقته الحكومة تناثر سكانه في دعارة سرية لبلوثوا القاهرة كلها. هكذا كان موقفهم ورؤيتهم للآخرين. (وأعتقد أنهم بما فعلوا قد أهدروا فرصة ثمينة ربما كانت تحد من الانقسامية).

كما التقينا بإبراهيم عرفة (حوتر وهى اسم فرعونى كما قال لنا). وأعتقد أنه أصلا كان من الحركة المصرية للتحرر الوطنى من ميكانيكى الطيران - وكان قد شكل تنظيما أطلق عليه اسم «اتجاه النضال الثورى»، وإن كنا لم نلتق بأحد غيره. وكان مهتما للغاية بكتابة

استراتيجية ثورية للنضال فى مصر، مليئة بعبارات مثل «نحن ديناميت الثورة». «نحن مفرقعات النضال»، ولم نكن نقبل بمثل هذه التعبيرات الضخمة، وربما كنا نسخر منها مما يثير غضبه وحنقه (الرفيق حوتر تقدم عام ١٩٥٧ بتقرير إلى أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى الموحد بالواحات الخارجة بمنفى جناح يطالب فيه بحل الحزب الشيوعى، باعتباره قد استنفذ اغراضه بانتصار عبد الناصر على العدوان الثلاثى. ودعا أعضاء اللجنة المركزية هنالك إلى كونفرنس ناقش التقرير وفنده ورفضه بالإجماع).

كما التقينا أيضًا بأعضاء من «العصبة الماركسية»، وجاء هنا اللقاء عن طريق عبد الله كامل. وناقشت مجموعتنا هذه القضية على أساس إجراء وحدة بيننا والعصبة الماركسية واتجاه النضال الثورى. غير أننا رفضنا أن تكون الوحدة تحت اسم العصبة الماركسية. فقد كان من الشائع عنها وقتها أنها رفعت شعار «فلنحنى رؤوسنا للعاصفة» أثناء حملة صدقى عام ١٩٤٦. لكننا رأينا فى هذا الشعار صورة من صور الخوف التى لا تليق بالمناضلين وليس هنالك ما يلزمنا بأن نتحمل «عار» مثل هذا الشعار. واقترحنا أن يسمى التنظيم الجديد بنواة الحزب الشيوعى، أولا لأن ما يتشكل الآن تنظيم جديد، ربما تكون العصبة الماركسية هى مكونه الأساسى لكن هنالك مكونات أخرى أضيفت إليه، وثانيًا كى يكون الاسم معبراً عن إحدى المهام الرئيسية لهذا التنظيم ألا وهو تكوين الحزب الشيوعى المصرى. إذ نحن بداءة لسنا الحزب لكننا نواة هذا الحزب. وقُبل الاسم الجديد بعد جهد مع العصبة وأعلن تكوين منظمة نواة الحزب الشيوعى المصرى، وأصبح عبد الله كامل عضوا بلجنتها المركزية وكذلك إبراهيم عرفه.

وقمنا بتسليم المكتبة التى لدينا وآلة كاتبة كان قد استولى عليها أحد زملاء مجموعتنا من مقر عمله، ورونيو بدائى (عزيزة).

لكننا فوجئنا بعد فترة قصيرة بفصلنا، بعد الاستيلاء على إمكاناتنا وربما كان ذلك بسبب ما كان بيننا وبين إبراهيم عرفه من احتكاكات حول أفكاره، وما كان بسبب إصرارنا على تغيير اسم العصبة. (وأقول ربما لأننا لم نعرف الأسباب مطلقا). وكان هذا السلوك صدمة عنيفة لنا. كان ذلك فى أواخر الأربعينيات (١٩٤٩). وقررنا تشكيل تنظيم جديد. أحسسنا أن الشيوعيين الذين يقولون بأنهم طليعة الطبقة العاملة، هم أنفسهم فى حاجة إلى طليعة.

«ونحن هذه الطليعة» وأسمينا أنفسنا «طليعة الشيوعيين المصريين» (وكما هو واضح فإن الاسم هنا يحمل بوضوح تحديا بورجوازيًا صغيراً).

طليعة الشيوعيين المصريين (ط.ش.م)

أسس منظمة الطليعة خمسة هم : فخرى لبيب، عبد الله كامل، محمد درويش مصطفى وحسن حسنى (المعروف باسم فوزى أبو شنب) ومنصور زكى وكان على المؤسسين أن يصيغوا رؤيتهم فى : استراتيجية وتكتيك وبرنامج ولائحة (كانت تلك الوثائق ضرورة للإعلام عن أى منظمة جديدة).

لا يمكن القول بشكل عام أنه كانت لدينا معرفة عميقة بالواقع المصرى. كانت هنالك معرفة عامة وتجارب معاشة ومناقشات متصلة منذ عام ١٩٤٦ : فهنالك حكم ملكى تسانده قوة رجعية من الإقطاعيين وكبار الرأسماليين المرتبطين بالاحتكارات الاجنبية، وهنالك الاستعمار البريطانى الذى يحتل بلادنا ويحمى هذه القوى حماية لمصالحه كما تدعمه تلك القوى حماية لمصالحها ولوجودها. وأن هنالك استغلالاً رأسماليًا للعمال فى الأجور وساعات العمل وحق العمل ذاته والبطالة. وهنالك استغلال بشع للفلاحين وسطوة بلا حدود للاقطاعيين أى أننا بصدد معركة ضد الاستعمار والاستغلال تتجسد فى خندق يضم الاستعمار البريطانى أساسًا والاستعمار الأمريكى الوافد والملكية والاقطاع وكبار الرأسماليين المرتبطين برأسمال الاجنبى. وكانت المعارك التى خضناها منذ عام ١٩٤٦ بمثابة دروس عملية عن من يجسد داخليا هذه القوى المعادية وهى أحزاب الدستوريين والسعديين ومصر الفتاة والحزب الوطنى (باستثناء جناح فتحى رضوان) والإخوان المسلمين، ورجال السراى مثل على ماهر ورجل الرأسمالية بقبضته الحديدية اسماعيل صدقى - والخندق المقابل هو الخندق الذى تحصن فيه الوفد بتراثه الوطنى الليبرالى وخاصة شباب الطليعة الوفدية (الرأسمالية المتوسطة) والكتلة أحيانا (الرأسمالية المتوسطة) والشيوعيين وغالبية النقابات والمثقفين الثوريين، والبورجوازية الصغيرة (والفلاحين).

هكذا امكننا من خلال الواقع الذى كنا نعيشه أن نحدد جبهتى الأعداء والحلفاء. هنالك حليف جوهرى للطبقة العاملة هو الفلاحون والذى بشكل حلفهما معًا، المحور الأساسى للجبهة

الوطنية فى مواجهة جبهة الأعداء. إلا أننى لا أزعم أننا كنا قد شاركنا فى نضالات فلاحية، حتى يكون ذكرنا للحلف العمالى - الفلاحى باعتباره محور الجبهة ذكرا يقوم على المعايشة والخبرة لقد عايشنا وشاركنا فى المحور الطلابى - العمالى، ولذا كان الحديث عن التحالف العمالي مع المثقفين الثوريين والبورجوازية الصغيرة والبورجوازية المتوسطة مسألة أفرزها الواقع والعمل النضالى ضد الاستعمار وحكومات الاقلية الرجعية. كانت فكرة الحلف العمالى الفلاحى. فكرة نظرية فى الأساس. وهذه الجبهة تقودها الطبقة العاملة وحزبها الشيوعى.

وتسعى هذه الجبهة إلى تحقيق التحرر الوطنى من الاستعمار عسكريًا واقتصاديًا وإقامة حكم ديمقراطى شعبى (ديكتاتورية الشعب الديمقراطية) يقضى على جبهة الأعداء. ويصادر ممتلكات الرأسماليين المرتبطين بالغرب ويقضى على الاستغلال ويصادر أراضى الإقطاعيين ليوزعها على الفلاحين المعدمين، وتعمل من أجل السلام العالمى.

كنا نؤمن بأن هنالك ثورة على مرحلتين. مرحلة استكمال الثورة الوطنية الديمقراطية ووضع أسس الانتقال إلى الاشتراكية، ثم المرحلة الاشتراكية. وفى ذلك كنا نختلف (كما كنا نعتقد) مع خط الحركة الديمقراطية للتحرير الوطني (حدتو) إذ نراه يقف عن حد الثورة الوطنية الديمقراطية، كما كنا نختلف أيضًا عن خط المنظمة الشيوعية المصرية (م.ش.م) الذى يهدف إلى تحقيق الاشتراكية مباشرة.

أما اللائحة فقد قامت على أساس المركزية الديمقراطية، وتنظيميًا رفض الشكل الفئوى فى التنظيم.

ووضعنا لنا قواعد خاصة بالتجنيد

(١) التوجة أساسًا للعمال والفلاحين

(٢) لا تجنيد من المثقفين إلا للخيرة الثورية منهم.

(٣) عدم تجنيد الأجانب

(٤) عدم تجنيد الأقارب.

وأود بالنسبة للنقطة الرابعة، والتى قصد بها محاولة منع الشللية العائلية أن أذكر واقعة فقد تقدم لى نبيل صبحى (وهو ابن عمى) يطلب دخول التنظيم معنا، ورغم ثقتى فى نضاليته

وصلابته، إلا أننى اعتذرت له تطبيقاً لهذا البند، وإن ظلت علاقتنا متصلة. وقد فوجئت، يوم اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى ٨ يناير ١٩٩٨، بنبيل صبحى عضوا فى اللجنة المركزية عن حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى وهنا يعنى أن ذلك البند كان متشدداً ضاراً بالنمو التنظيمى).

كما تقرر إصدار مجلة داخلية (الطليعة) ومجلة خارجية (الصراع).

أما فيما يختص بقضية وحدة الشيوعيين، فقد شغلت حيزاً كبيراً من تفكيرنا. فقد كانت تجربة الانقسام مريرة، وكانت «حدتو» معمل تفريخ لا يكف عن الانفجار. ومن هنا كان تفكيرنا فى الوحدة يستبعد الاقتراب من حدتو (للخلافات السياسية والتنظيمية ووجود الإجانب) ومن م.ش.م لذات الأسباب أيضًا. كنا نؤمن بأنه من أجل أن نتحد لابد وأن تكون نقاط الاتفاق والاختلاف واضحة.

وكانت خطوط الوحدة لدينا محددة فى

(١) تبادل الوثائق (٢) تبادل المطبوعات

(٣) التنسيق فى مجالات العمل المختلفة، وخاصة العمالية، حيث إن إيماننا العميق بالوحدة كان مصدره الخشية الشديدة من انقسام الطبقة العاملة بسبب انقسام الحركة الشيوعية.

(٤) تشكيل لجنة وحدة تصدر مجلة تدير صراعا ايديولوجيا حول الوثائق والمواقف

(٥) عند نضوج الصراع يُدعى إلى مؤتمر عام ممثل للمنظمات المشاركة فى الوحدة لاعلان الحزب الشيوعى المصرى.

(٦) أننا لسنا بمفردنا أو غيرنا بمفرده هو الذى سيكّون الحزب الشيوعى المصرى.

وقد بدأنا العمل التوحيدى والتنسيقى مع نواة الحزب الشيوعى المصرى رغم ما حدث منهم معنا. فقد اعتبرنا أن الوقوف عند تلك المسألة دعم للانقسام واستمراره.

بعد تكوين طليعة الشيوعيين المصريين انضم الينا عمر مكاوى، كان طالبا فى كلية الطب شديد التدين. فما أن بدأت حرب فلسطين حتى ذهب هو ومجموعة من أصدقائه كمتطوعين إلى فلسطين للمشاركة فى قتال الصهيونية.

وهنالك اكتشفوا خديعة الأنظمة والدور الاستعماري، وقد لعب الشيوعيون الشوام دوراً هاماً في ذلك، ففكر عمر ومجموعته في الذهاب إلى فيتنام لمحاربة الاستعمار غير أنهم قرروا العودة إلى مصر لمواجهة النظام المصرى على أرضه. وانضم عمر مكاوى ومجموعته إلينا.

كان انضمام عمر مكاوى دفعة كبيرة، بحماسه ونشاطه وتضحياته وبإمكانياته المالية. إذ كان له دخل شهرى (ربما عن ميراث) قدره ١٥ جنيهاً شهرياً. وكان هذا الدخل مقارنة بدخولنا كطلاب (٢,٥ إلى ٣,٠ جنيهاً) وموظفين صغار مبلغاً كبيراً. وقد مكنتنا مساهماته من النشاط على محورين هامين : الجهاز الفنى والتثقيف.

كان معنا منصور زكى وهو عامل طباعة، وكلف بإعداد مطبعة حروف على أن يتم شراء مكوناتها على أجزاء، وعلى مراحل، ومن مناطق مختلفة، حتى لا يلفت الانتباه. ونجح منصور زكى نجاحاً كبيراً في ذلك، وأعدت المطبعة على شكل مكتب، بحيث لا تثير أى انتباه في وضعها العادى.

أما التثقيف ومتابعة الأفكار الماركسية (وكانت النظرية تسمى حينذاك بالنظرية «الماركسية اللينينية الستالينية وأفكار ماوتسى تونغ»، وبعد موت ستالين سوف يصبح المسمى «النظرية الماركسية اللينينية». فقد كانت تلقى منا اهتماماً كبيراً. وبدأنا بإرسال قائمة. بالكتب التى نريدها، أرسلناها إلى مكتبة معروفة بتقدميتها فى لندن، ومعها عشرة جنيهات إنجليزية. وارسلت المكتبة لنا ما طلبنا من كتب، ومعها عدد من الكتابات الصينية لماوتسى تونغ ولى شاوشى وتينج هسياوبنج وغيرهم مثل «عن التناقض» «التناقضات فى صفوف الشعب»، «الصراع الداخلى فى الحزب»، «كيف تكون شيوعياً جيداً»، «الجبهة الوطنية» الخ، وإفادة بأن ثمن الكتب عشرون جنيهاً، أى أننا مدينون لهم بعشرة جنيهات. كان معنى ذلك أنهم قد فهموا من نحن فأمدونا بكتابات هامة لم تخطر على بالنا، وأننا محل ثقة. وبالفعل أرسلنا لهم بقية نقودهم وطلب بموالاتنا بما يستجد لديهم من مطبوعات.

وكانت تلك الكتابات بالنسبة لنا كنزاً ثميناً، فقررنا ألا نستأثر به وحدنا وأن نقوم بترجمة ما يمكن وطبعه على مطبعتنا وتوزيعه. احسسنا بعمق أن تلك الأفكار أقرب إلينا وإلى واقعنا وتجربتنا. وبالطبع كان أول من أعطيناهم هذه الترجمات هم نواة الحزب الشيوعى، فأطلقوا علينا اسم «الانتهازية الصفراء»، نسبة إلى الصينيين أو الصُفر.

كذلك كانت تطبع «الطليعة» و«الصراع» على المطبعة.واتسع نشاط المنظمة ما بين عمال النسيج وعمال النقل (الترام) وأصبح لدينا لجنة منطقة فى شبرا الخيمة ولجنة منطقة فى امبابة وكان صلاح هلال من أبرز عناصرنا بين عمال النسيج، ومحمود فرغلى سكرتير نقابة عمال الترام من أبرز عناصرنا بين عمال النقل حيث كان لنا ارتكازان قويان بين هؤلاء العمال فى مخزنى الجيزة والعباسية. كما بدأت تتواجد من خلال العناصر العمالية أو المثقفين (من أصول ريفية أو عاملين فى الريف) علاقات فلاحية فى بهتيم وأرياف طنطا وكفر الزيات.

وبعد انهيار م.ش.م انضمت إلينا عناصر قليلة منهم جنفيف سيداروس وقد خاضت المنظمة بالاضافة إلى المعارك السياسية والمطلبية اليومية معركتين اساسيتين.

معركة عمال مصنع الشرق بإمبابة. كان لنا وجود لا بأس به بمصنعى الشرق والشوربجى ومحدود فى المكوك الذهبى. وكان حسن حسنى هو مسئول منطقة امبابة التابعة لطليعة الشيوعيين المصريين. وهى معركة شارك فيها كل الشيوعيين الموجودين فى المصنع والمصانع المجاورة وكان لها دويها وآثارها على عمال النسيج.

معركة المليم لعمال الترام بالقاهرة. وكان عبد الله كامل هو مسئول هذا القطاع العمالى فى المنظمة. والجديد فى هذه المعركة بل والهام للغاية ايضاً، هو تقديم شكل جديد للاضراب. إذ لم يتوقف العمال عن العمل، ولكنهم سيروا مركبات الترام ببطء، ينقلون الركاب إلى أماكن عملهم أو حاجياتهم فلا يضار أحد بسبب هذا الاضراب، وهم لا يأخذون ثمن التذاكر إنما يقوم كمسارى كل عربة بشرح المشكلة للركاب. إن للعمال فى أجر التذكرة مليماً كحافز، وقد تجمعت آلاف الجنيهات حصيلة هذا المليم لكن الشركة ترفض صرفها للعمال. وقد أدى ذلك إلى تعاطف جماهيرى واسع مع الإضراب : شكل ضغطا شديدا على الشركة.

بعد معركة مصنع الشرق بإمبابة، بدأت تثور بعض المشاكل مع حسن حسنى ثم تفاقمت بسبب عدم متابعته للوضع التنظيمى الذى كان يفترض نموه بعد هذه المعركة لا خلخلته، وانتهى الأمر بتخفيضه من اللجنة المركزية وتصعيد عمر مكاوي (ليس صحيحًا أن عمر مكاوى قد وضع فى القيادة فور انضمامه كما جاء فى ص ٢١٥ من كتاب منظمات اليسار المصري ١٩٥٠ - ١٩٥٧ للدكتور رفعت السعيد).

ملحوظة : أود هنا قبل الاستطراد إلي المواقف السياسية وخاصة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أن أبرز ملاحظة : أن كل التنظيمات التى ظهرت فى نشأة الجولة الثانية للحركة الشيوعية فى مصر، لم تكن اسماؤها تحتوى كلمة الشيوعية : الحركة المصرية للتحرر الوطنى - أسكرا - الديمقراطية الشعبية (طليعة العمال) القلعة - تحرير الشعب - الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى وأن كلمة الماركسية ظهرت لأول مرة فى اسم العصبة الماركسية الخارجة على حمتو. تميجيئ التكتل الثورى، وكأنما هو رفض لما كان قائما وغير ثورى(حدتو). ثم الانفجارات المتتالية وسوف نجد غالبيتها الساحقة تحمل كلمة الشيوعية والحزب الشيوعى، وكأنما ذلك إعلان عن رفض ما سبق باعتباره لم يكن شيوعية ولم يكن حزبا شيوعياً.

٢٣ يوليو ١٩٥٢

فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ جاءت حركة الجيش واستولت على السلطة وأفرج الضباط عن المعتقلين باستثناء المعتقلين الشيوعيين، وكان ذلك إعلاناً عن موقف معادٍ للشيوعية. وعين على ماهر رجل السراى ذو الميول الألمانية رئيساً للوزراء. ومنح الضباط الإخوان المسلمين اكبر فرص للعمل فظهروا كأقوى قوة سياسية فى الساحة.

وكان السفير الامريكى هو الشخصية البارزة الاجنبية فى صدر الصورة مع قادة الضباط. واعلنوا أنهم حماة الدستور ثم ألغوه وحلوا الأحزاب وأبطلوا الحياة السياسية بفرض تنظيم هيئة التحرير. واقتحموا مصنع كفر الدوار بالدبابات ليخمدوا حركة العمال وأعدموا خميس والبقرى. وأعلن عن منح رأس المال الأجنبى ٥١٪ فى أى مشروع يشارك معه، وهى مسألة لم تجرؤ عليها أشد القوى رجعية.

لقد بدأت حركة الجيش بالعداء للشيوعية وللطبقة العاملة وللحياة الحزبية وكل أشكال الممارسة الديمقراطية. بل وانحياز لرأس المال الأجنبى. والقوى الظاهرة على الساحة السياسة هى قوى خندق الأعداء، رجل السراى على ماهر والإخوان المسلمون والسفير الأمريكى. وتتصاعد الحملات ضد الشيوعيين وتتفاقم الامور حتى هبة مارس ١٩٥٤ ليدفع النظام بمظاهرات تهتف بسقوط الديمقراطية. وقد يقول البعض ماذا عن إسقاط الملكية؟ وماذا عن الاصلاح الزراعى؟ والاجابة هل كنا نناضل من أجل جمهورية، أى جمهورية؟ أم أننا كنا

نناضل من أجل جمهورية ديمقراطية شعبية أو ديمقراطية وطنية؟ الجمهورية التى جاءت كانت نقيض ماناضلنا من أجله، جمهورية الديكتاتورية العسكرية المعادية للطبقات الشعبية، وأما عن الاصلاح الزراعى فقد أعلن يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٢، وهو ذات اليوم الذى أعدم فيه خميس والبقرى. ألم يكن لذلك أى دلالة حينذاك؟ وأبطال التأييد (حدتو يساقون إلى السجون زرافات وفرادى، قيادة وقاعدة).

إن نزع الموقف من ملابساته والظروف التى أحاطت به لا علاقة له بالمنهج العلمى. كيف يمكن لمنظمة شيوعية أن تؤيد نظاما اتسم بكل تلك الصفات. كنا أمام انقلاب عسكرى، تجسد فى ديكتاتورية عسكرية أقرب للديكتاتوريات العسكرية الانقلابية فى أمريكا اللاتينية والتى تقف وراءها المصالح الأمريكية، وهنا فى الشرق الأوسط بدت المسألة وكأنها انقلاب عسكرى لإزاحة النفوذ الانجليزى وإحلال النفوذ الأمريكى محله.

ومن هنا كان موقفنا إزاء ٢٣ يوليو هو إسقاط الديكتاتورية العسكرية.

ضربة ١٤ ديسمبر ١٩٥٢

اتسع نشاط المنظمة بصورة لفتت إليها أنظار الأجهزة الأمنية حتى أن البكباشى حسن المصيلحى بإدارة مباحث القاهرة يكتب كما جاء فى كتاب منظمات اليسار المصرى ١٩٥٠ –١٩٥٧ للدكتور رفعت السعيد ص ٢١٧ «أن منظمة طليعة الشيوعيين المصريين قد نشطت فى غضون عام ١٩٥٢ وقامت وتقوم بنشاط واسع المدى فى نشر المبادئ الشيوعية. وكانت تصدر منشورات شيوعية فى المناسبات السياسية ونشرة دورية باسم الصراع».

ووجهت ضربة إلى اللجنة المركزية للمنظمة فى ديسمبر ١٩٥٢ قبض فيها على كل من عبدالله كامل ومحمد درويش مصطفى ومنصور زكي وعمر مكاوى. وأفلت من تلك الضربة إذ كنت أعمل حينئذ مدرساً فى طنطا (عندما تخرجت عام ١٩٥١، عينت مدرسا فى كفر الزيات للعامين الدراسيين ٥١–٥٢ ، ٥٢–١٩٥٣، ثم نقلت إلى طنطا وظللت هناك العام الدراسى ٥٣ –١٩٥٤).

وقد سقطت المطبعة فى هذه الضربة، وأصيبت المنظمة لفترة بحالة من الارتباك، إذ كان علينا تحمل مسئوليات كل من سقطوا فى الضربة. وتم تصعيد محمد محمود عثمان (لم

تنقطع صلتى بمحمد عثمان منذ لجان الكوليرا، وكان من أوائل من انضموا إلى طليعة الشيوعيين المصريين عند تأسيسها)، وزميل يعمل فى الوجه البحرى.

وتواصل نشاط المنظمة حتى جاءت ضربة ٢٩ مايو ١٩٥٤، وفى تقديرى أنها كانت بسبب النشاط الذى تزايد أثناء هبة مارس ١٩٥٤.

ضربة ٢٩ مايو ١٩٥٤

أوقعت هذه الضربة بى وبمحمد محمود عثمان وصلاح هلال، وكان صلاح حينذاك عاملا يافعا مناضلا نقابيا وسياسيا ممتازاً فى شبرا الخيمة قبض علىّ البكباشى حسن المصيلحى واليوزباشى محمود مراد، فى كمين خارج مسكنى فى طنطا وكنت فى طريقى إلى مدرسة الاقباط التى أعمل بها مدرساً للطبيعة واقتادونى إلى مسكنى مما يدل على أنهم كانوا على معرفة به لتفتيشه ثم إلى المدرسة لتفتيش مكتبى والمعمل.

وحملتنى سيارة بها حسن المصيلحى ومحمود مراد إلى القاهرة وأثناء الطريق قال حسن المصيلحى موجها الحديث لى: «احنا كنا عارفين كل حاجة بتعملوها، حتى آخر رسالة بعتّها للسجن، وقايل فيها أن المنظمة تعمل وتنتشر ولها نشاطات موجودة عندى وسأريك إياها عندما نصل إلى القاهرة».

وتجاهلته تماما وكأنى ماسمعته. إلا أن ما قاله تفصيلا حينذاك كان صحيحاً وكان واردا فى آخر رسالة أرسلتها للزملاء فى سجن مصر. كانت الرسالة تتحدث عن توسع نشاطاتنا فى المجالات المختلفة دون أن نذكر ما يمس الأمان. وفكرت سريعًا فى أنه يستهدف إضعاف معنوياتى باعتبار أن الإنكار غير مجد لأنهم يعرفون كل شئ، كما يستهدف أيضاً إثارة الشك فيما بينى وبين الزملاء داخل السجن، وكذا الزملاء فى الخارج: فأنا لم أكن أدرى من الذى قبض عليه بعد، مما يستهدف هزى واضعاف إرادتى. وقررت استبعاد هذه المسألة تماما من حساباتى. إلا أننا عندما وصلنا القاهرة لم يرنى الرسالة ولم اسأله أنا عنها. وعندما وصلت سجن مصر (قرة ميدان) سألت الزملاء عن هذه الرسالة ووجدتها لديهم. وكان معنى ذلك أنها قد مرت عليه قبل تسليمها إلى الزملاء. كان مسئول الاتصال بالسجن زميل عامل من شبرا الخيمة، وقد أبلغنا ذلك إلى حسن عثمان (شقيق محمد عثمان)، الذى أبلغنا فيما بعد أن هذا

العامل قد تم فضحه واستدراجه إلى مكان خلاء حيث قام الزملاء بتأديبه.

القضية الأولى عام ١٩٥٢ لم يحاكم فيها عمر مكاوي وكان في طريقه للإفراج عندما قبض علينا، والقضية الثانية عام ١٩٥٤ لم يقدم فيها صلاح هلال للمحاكمة وأفرج عنه بعد إعلان قرار الاتهام.

المحاكمة

قدمت أنا ومحمد عثمان للمحاكمة وكانت التهمة الموجهة إليَّ «تأسيس وإدارة» ورحلنا إلى سجن الاستئناف، وكان معنا قضية فوزي حبشي (النجم الأحمر)، وقضية نسيم يوسف وشوقي مجاهد (طليعة العمال) أي أننا كنا ثلاث قضايا أمن دولة وكان رئيس المحكمة عبد اللطيف .... وكنا قد أعددنا أنفسنا لمواجهة المحكمة ولم يكن هنالك اعتراف بالعضوية أو الوضع التنظيمي، ولكن كان بمثابة دفاع سياسي عن خط المنظمة. وقد قسم الدفاع بيني وبين محمد عثمان إلى السياسة الداخلية والسياسة الخارجية. وكان على كل منا أن يعلن تبنيه لما يقوله الآخر.

امتلأت قاعة المحاكمة بأهالينا والأهالي حتى اكتظت وجرت المحاكمة في غرفة المداولة أي لم تكن علنية. عند بدأ المحامي المنتدب الدفاع عني وكان يبدو كالنائم، طلب منه رئيس الجلسة الإيجاز. كان إذا قال إن المضبوطات لا تخصني، أكمل رئيس الجلسة : وليست بخط يده. وكانوا قد وجدوا عندي إطار الرونيو الخشبي (عزيزة). فعندما بدأ المحامي تناول هذه النقطة، قاطعه رئيس الجلسة : وليس هذا برونيو، وعاد المحامي إلى غفوته. إلا أنه استيقظ تمامًا عندما بدأنا تقديم دفاعاتنا السياسية. كنا قد طلبنا في بداية الجلسة أن تسمح لنا المحكمة بالدفاع السياسي عن أنفسنا، ورحب رئيس الجلسة بذلك. وكنا قد طلبنا ممن انتدبا للدفاع عنا أن يقتصر دفاعهما على الجانب القانوني فقط وحذرناهما من التعرض للجانب السياسي. وطلب محاميّ من المحكمة أن توقفني عن الاستمرار فيما أقول. فرد عليه رئيس الجلسة بأن هذا حقه، وإن أردت إيقافه فعليك أن تسد فمه. وخرج المحامي ليقول لأهلنا «إننا قد ضيعنا أنفسنا ورحنا في داهية».

انتهت محاكمتنا وخرجنا إلى القفص، كانت معنوياتنا عالية، وكنا نتوقع أحكامًا تتراوح

ما بين خمس أو سبع سنوات.

انتهت محاكمة القضايا الثلاث. وكنا قد اتفقنا مع بعضنا علي ضرورة الهتاف بعد صدور الاحكام. وكان ذلك مخاطرة كبرى. إذ أن إحدى المحاكم أصدرت أحكاما إضافية بعد اعلانها الأحكام الأساسية بتهمة جديدة مبتكرة هى «الهمهمة». إذ يبدو أن بعضًا ممن صدرت ضدهم الأحكام «همهم» محتجًا فصدرت ضدهم تلك الاحكام بثلاث سنوات. ولذا قررنا أن من يأخذ منا أشد حكم يبدأ الهتاف ويرد الباقون. وقد أخبرنا الأهالى بذلك وطلبنا منهم عدم الهتاف معنا، حتى لا يتعرضوا للمساءلة القانونية.

وصدرت الأحكام على الجميع بالسجن ثلاث سنوات، ما عداي ثلاث سنوات اشغال شاقة. وما أن انتهى رئيس الجلسة من اعلان الأحكام حتى بدأت الهتاف. فقد كان الحكم الصادر ضدى هو أشد الأحكام فيما بيننا : تسقط الديكتاتورية العسكرية، عاش كفاح الشعب المصرى، عاش كفاح الطبقة العاملة، عاش كفاح الشيوعيين، عاش الحزب الشيوعى المصرى. وفوجئنا بالأهل جميعا يرددون الشعارت وراءنا وجلجلت قاعة المحكمة بالهتاف، وانسحبت هيئة المحكمة فى الحال . وارتفعت الزغاريد فقد كان الحكم غير متوقع على الاطلاق، كان أقرب إلى الإفراج، إذ كنا جميعا، على وجه التقريب قد قضينا قرابة نصف المدة أو يزيد. ووزع الأهل الشربات والحلوى. كان الأهل قد اتفقوا معًا أيضًا على أن يرددوا هتافاتنا من بعدنا، على عكس ما طلبنا منهم، حماية لنا.

كان القاضى رائعا وكانت المحاكمة رائعة وكان الأهل قمة فى الروعة كانت مظاهرة أكثر منها محاكمة.

وانتظرت فى سجن القناطر حتى تم التصديق علي الحكم. وتم ترحيلى ومحمد المنشاوى والمغاورى إلى ليمان طرة فى طريقنا إلى سجن جناح بالواحات الخارجة، وكان ذلك فى فبراير ١٩٥٦.

معركة الوحدة وتكوين الحزب الشيوعى المصرى الموحد

بدأت محاولات الوحدة بتلك التي جرت بين طليعة الشيوعيين المصريين ونواة الحزب الشيوعى المصرى من جانب وبين نواة الحزب والنجم الأحمر من جانب آخر. وكانت تلك

المحاولات تستبعد حدتو كما سبق وقلت. غير أن هذه المحاولات أجهضتها الضربات البوليسية التى وجهت إلى تلك المنظمات.

وكان اللقاء فى سجن مصر، حيث كانت غالبية القيادات هنالك وكان اللقاء بكادرات حدتو وقيادتها وكذا اللقاء بخروج جديد على حدتو هو التيار الثورى حدتو (ت.ث.حدتو)، وكذا منظمة وحدة الشيوعيين ممثلة فى محمد المستجير.

كانت طليعة العمال موجودة أيضًا بمسئولية لمعي المطيعى ولكن فى أعداد قليلة، مع عدم وجود عناصر قيادية. وكانت هنالك أيضًا منظمة الحزب الشيوعي المصرى بعدد لا بأس به وبعناصر قيادية.

بدأت المعركة فى تقديرى باتفاق منظمات : نواة الحزب الشيوعى، طليعة الشيوعيين المصريين، النجم الأحمر، ت.ث. حدتو، وحدة الشيوعيين، على أهمية الوحدة وتكون الحزب الشيوعى على أساس صراع مفتوح من خلال ندوات ولقاءات مفتوحة للكافة. وكان الجزء الأكبر من الكادر الاساسى فى سجن مصر.

وكان موقف حدتو السياسى قد تغير من التأييد إلى المعارضة لحركة الجيش وكان اللقاء بكادرات حدتو هامًا للغاية إذ كانت الغالبية منهم تسعى بحق إلى الوحدة ولا تكاد تختلف سياسيا فى فكرها عن أفكار المنظمات الخمس الأخرى. كما كانت كادرات حدتو مثلها مثل الآخرين لها نضاليتها ومواقفها أمام المحاكم، مما غير صورة حدتو فى رؤيانا.

أما قيادة حدتو فكانت تناقش بأن المنظمات الخمس إنما هى انقسامات على حدتو وعليها أن تدين وتنقذ نفسها وتعود إلى حدتو الأم. وكان الرد على ذلك أنه ربما توجد أعداد ضئيلة من قيادات هذه المنظمات تراجدت بمنظمة حدتو إثر وحدة اسكرا - ح.م. إلا أن هنالك عضوية جديدة هى الغالبة ولا علاقة لها بحدتو أو غيرها، وعلى قيادة حدتو أن تعالج الوضع كما هو لا كما تريد (نظرية النمو الذاتى).

ونجح ضغط كادرات حدتو فى قبول حدتو الجلوس مع الآخرين فى لجنة وحدة تناقش السبيل إلى تكوين حزب شيوعى.

أما ممثلو منظمة طليعة العمال فقد هاجموا الوحدة باعتبارها وحدة المتمركسين الانتهازيين،

وهاجم ممثلو منظمة الحزب الشيوعى المصرى الوحدة باعتبار أنهم هم الحزب الشيوعى المصرى ولا شيوعية خارج الحزب (حزبهم) وأن ما يجرى إنما هو وحدة عملاء البورجوازية.

وكان بالسجن أيضًا بقايا منظمة م.ش.م متمثلة فى سعد الطويل ونيقولا غازيس اليونانى وبرير محمد حامد السودانى، وكان الثلاثة مقاطعين لكل الشيوعيين حولهم على أساس بوليسية من هم غيرهم.

هكذا بدأت اللجنة أعمالها وكان رفعت السعيد هو سكرتير اللجنة.

دعم الموقف التوحيدى ما جاء على لسان بالم دات سكرتير الحزب الشيوعى الانجليزى فى مؤتمر الأحزاب الشيوعية في المستعمرات البريطانية، فى لندن، حيث قال ما معناه إن الشيوعيين المصريين يتصارعون فيما بينهم بأكثر مما يصارعون السلطة .. وأنه لا ينقصهم غير الوحدة. فقد اعتبر هذا القول قولا أمميًا يدين الانقسام ويدعو إلي الوحدة.

كما لعب الحزب الشيوعى الفلسطينى برئاسة فخرى مكى حينذاك دوراً دافعًا فى المعركة.

كانت نقاط الاتفاق والاختلاف تطرح على مجموع المسجونين الشيوعيين، ويدار حولها نقاشات يشارك فيها الجميع. وكانت التنظيمات، بما فى ذلك التنظيمات المضادة للوحدة، تذيع بعد تمام السجن بيانات تلقى فى شراعات أبواب الزنازين ليسمعها الكافة. كانت معركة حقيقية مفتوحة على مصراعيها. وهنا يجب أن اسجل ملاحظة هامة وهى أن مندوب حدتو كان يرى فى الوثائق مجرد أوراق (ورق، ورق)، وأن «الواقع» سوف يغير كل شئ. كانت الوثائق السياسية والبرنامجية واللائحية بالنسبة للجميع بما فيهم غالبية كوادر حدتو هى ميثاق الوحدة وميثاق القيادة مع القاعدة وميثاق الحزب مع الشعب.

واستمرت المعركة حتى نضجت تماما. فقد تم الاتفاق على كل الوثائق وعدد اعضاء اللجنة المركزية والتى أصرت المنظمات غير حدتو، ألا تكون لحدتو فيها الأغلبية، ولم تكن تلك مسألة تنظيمية بقدر ما هى سياسية، حتى لا تتعرض الأسس السياسية التى تم الاتفاق عليها للتغيير بتصويت حدتو منفردة وما كان لمثل هذا الشرط أن يتحقق إلا بضغط شديد من كادر حدتو وموجة الوحدة العارمة.

ولم يعد باق غير إعلان الحزب.

غير أن جديداً بدأ يطرأ على المعركة. بدا وكأن قيادة حدتو تسعى للانسحاب منها. كانت غالبية القيادة ترى فى معركة الوحدة هزيمة سياسية وتنظيمية لها. وبدا نوع من الخلخلة في موقف النواة. أما وحدة الشيوعيين فقد أعلنت أنها ليست موجودة فى لجنة الوحدة وأن محمد المستجير لا يمثلها ولا يمثل غير نفسه.

وأحسسنا أنه لابد من خطوة حاسمة تشل تردد النواة وتسد الطريق أمام قيادة حدتو وماتتجه إليه. وكان أن قررنا إعلان الحزب. الشيوعى المصرى الموحد فى ٥ فبراير ١٩٥٥، من منظمات طليعة الشيوعية المصرية والنجم الأحمر والتيار الثورى حدتو، ونواة الحزب الشيوعى مع إعلان مبدأين أساسيين :

١ - أننا ملتزمون، فيما يخص حدتو، بكل ما تم الاتفاق عليه سياسيا وتنظيميا.

٢ - أن الحزب الشيوعى المصرى الموحد خطوة هامة على طريق توحيد كل الحركة الشيوعية (منظمة الحزب الشيوعى المصرى ومنظمة طليعة العمال)

واقيمت الافراح احتفالا بإعلان الحزب. وانحسر التراجع وبدأت معركة عاتية مع غالبية قادة حدتو من داخل القيادة، ومن القيادة المؤقتة فى الخارج، ومن كادر حدتو.

إن حدتو لم تكن من المنظمات التى شاركت فى إعلان الحزب الشيوعى المصرى الموحد فى ١٩٥٥/٢/٥.

وانضم محمد المستجير للحزب فور إعلانه بصفة فردية وكذلك نيقولا غازيس والزميل السودانى من م.ش.م وطالب زملاء، لهم أهميتهم من حدتو بدخول الحزب، غير أننا لم نقبل بهذا، مع تقديرنا لموقف هؤلاء الزملاء.. أن وجودهم داخل حدتو كان أجدى وأنفع لمعركة الوحدة وفرض دخول قيادة حدتو فيها. إذ كان انتصار هذه الجولة من الوحدة يتحقق عندما لا تظل بعدها. أى من التنظيمات التى دخلتهاوخاصة حدتو، وإلا كان ذلك فشلا. على نحو ما للمعركة. واعلنت قيادة حدتو بعد حوالى شهر، وأمام ضغوط كادت أن تؤدى إلى انفجارات، قبولها دخول الحزب الشيوعى الموحد. وبذا اكتمل «الموحد».

كانت وحدة الموحد خطوة هامة وتاريخية وناضجة فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية. وكان اشتراك غالبية قيادة حدتو فى المعركة حتى إنجاز الوحدة هو دخول إكراه لا قناعة.

تعليقات على شهادات

أولاً : يقول مبارك عبده فضل فى شهادته الواردة فى كتاب «هكذا تكلم الشيوعيون» للدكتور رفعت السعيد ص ٣٦٩ :«وتكونت اللجنة المركزية للموحد من ممثلين لكل منظمة من المنظمات الصغيرة .. طليعة الشيوعيين : وممثلها فخرى لبيب – عبد الله كامل – محمد عثمان (والثلاثة داخل السجن) » والصحيح أنهم كانوا: فخرى لبيب – عبد الله كامل – وعمر مكاوى. وتجئ مداخلة رفعت السعيد فى كتابه «منظمات اليسار المصرى ١٩٥٠ – ١٩٥٧ ص ٢٥٣ أن الثلاثة من ط.ش.م كانوا : فخرى لبيب – عبد الله كامل – عمر مكاوى وهذا صحيح، غير أن تعقيبه الذى يلى ذلك والذى يقول :«ونلاحظ أن كلا من حدتو ت.ث، ط.ش.م قدمت كل قياديها من داخل السجن بما يوحى بحقيقة وضعيتهم فى الخارج». (الخط من عندى) فغير صحيح. أولاً : لأن عمر مكاوى كان من خارج السجن، حيث لم يقدم للمحاكمة مع قضية عبد الله (١٩٥٢) وخرج فى منتصف ١٩٥٤. وكذلك خرج صلاح هلال بعد قرار الاتهام الذى وجه إلىّ ومحمد عثمان (قضية ١٩٥٤)، وكان بالخارج أيضاً الزميل المركزى الذى صعد بعد ضربة ١٩٥٢ كما أن أحدا من أعضاء المنظمة العادين لم يقبض عليه.

ولذا فإن تعليق رفعت السعيد لا يستند البتة إلى أى أساس واقعى أو تاريخى، إنما هو وجهة نظر مقدمة باعتبارها تاريخا.

وإذا كان تقديم كل المركزيين من داخل السجن يوحى (كقاعدة) بحقيقة وضعية هذا التنظيم أو ذاك فى الخارج، فلماذا لم تطبق نفس القاعدة على حدتو التى قدمت كل قياديها من داخل السجن. باستثناء هنرى كوريل الموقوف العضوية ومحمد الجندى الذى كان يعيش خارج مصر «ويوشك أن يعود سرا إلى الوطن»؟ (الخط من عندى) أم هل القواعد انتقائية تطبق هنا ولا تطبق هناك بما يسقطها فى أى دراسة تاريخية منهجية!!

ونأتى إلى الشهادة الثانية والخاصة بأعضاء حدتو فى اللجنة المركزية للموحد يقول مبارك عبده فضل فى كتاب «هكذا تكلم الشيوعيون» للدكتور رفعت السعيد ص ٣٦٩، «أما حدتو فقد مثلها ١١ عضوا فى حين مثلت كل المنظمات الأخرى مجتمعة بـ ١٢ عضوا فى اللجنة المركزية.....

«وكان ممثلو حدتو فى اللجنة المركزية : زكى مراد - محمد شطا - مبارك عبده فضل - أحمد الرفاعى - محمد على عامر - طاهر البدرى - محمد يوسف الجندى - شهدى عطية - هنرى كورييل (يونس وقد اتفق على أن تظل عضويته معلقة لحين بحث مشكلته) - ابراهيم عبد الحليم - فؤاد حبشى . وتقرر تحت ضغط الآخرين استبعاد كمال عبد الحليم من القيادة».

الملاحظة الأولى أن الرقم صحيح عددياً (١١ عضوا) لكن الملاحظة الثانية والهامة بحق هى أن مبارك عبده فضل لم يذكر اسم سعد رحمى ضمن الـ ١١ فى حين أنه ليس من السهل سقوط اسمه سهوا أو بسبب الذاكرة فقد كان سعد رحمى عضوا باللجنة المركزية لحدتو، ثم عضوا باللجنة المركزية للموحد، فاللجنة المركزية بالمتحد ثم اللجنة المركزية للحزب الواحد فى ٨ يناير ١٩٥٨، واستمر به منفردا دون كل قياديّ حدتو الذين خرجوا فى الانقسام، بل استمر به حتى حل الحزب. وسعد رحمى لم يكن عضوا عادياً بالحركة الشيوعية كان مناضلا قدم أغلى التضحيات وله دوره المشهود فى معرفة المقاومة ببورسعيد وله مواقفه البارزة فى محاكمات الشيوعيين.

كيف سقط اسم سعد رحمى؟ ياترى من الذى حل محله فى قائمة مبارك، الصحيحة عدديا وغير الدقيقة فى الاسماء والاشخاص؟

يقول رفعت السعيد فى كتابه «منظمات اليسار المصرى ١٩٥٠ - ١٩٥٧» ص ٢٥٣ « وكان الاتفاق قد تم على أن تشكل ل.م. من :

«عشرة أعضاء من حدتو تعلق عضوية أحدهم هو يونس.

، أى أنه من الناحية العملية كان هنالك ٩ أعضاء من حدتو، خاصة المنظمات الأخرى. ويبقى أن نذكر الأسماء ..

- حدتو : زكى مراد - فؤاد حبشى - مبارك عبده فضل - محمد شطا - أحمد الرفاعى - محمد على عامر - سعد رحمى - محمد الجندى (وكان يوشك أن يعود سرا إلى الوطن بعد أن غادره سرا عقب هربه من السجن).»

الملاحظة الأولــى : أن الرقم لم يكن عشرة ولكن أحد عشر .

الملاحظة الثانـيـة : أن العدد المذكورة أسماؤهم ثمانية وليس تسعة حسب قوله باعتبار أن العاشر هو يونس موقوف العضوية باللجنة المركزية.

إذن فالعدد ينقص واحدا (عشرة بدلا من أحد عشر) والاسماء المذكورة تنقص واحدا (تسعة بما فيهم يونس بدلا من عشرة).

فيكون النقص الاجمالى اثنين، واحد فى العدد وواحد في الأسماء.

الملاحظة الثالثة : هى أن قائمة رفعت السعيد أضافت سعد رحمى (وهذا صحيح) واسقطت ثلاثة اسماء من قائمة مبارك عبده فضل هم : طاهر البدرى - شهدى عطية - ابراهيم عبد الحليم.

فأى القائمتين هى الصحيحة، خاصة وهما صادرتان عن مبارك عبده فضل ممثل حدتو فى لجنة الوحدة ورفعت السعيد سكرتير لجنة الوحدة ومن حدتو أيضًا؟

ومن هما الاسمان الحقيقيان اللذان سقطا من القائمتين؟

فى تقديرى، وهذا استنتاج شخصى، أن القائمتين صحيحتان باعتبارها قائمتين مركزيتين. ولكن كل قائمة منهما تعبر عن شئ مختلف. قائمة رفعت السعيد هى القائمة التى قدمت إلى الموحد وعليه أن يستكملها بالاسماء الصحيحة. والقائمة الثانية قائمة مبارك عبده فضل هى قائمة اللجنة المركزية لحدتو، والموازية للجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى الموحد. أى أن حدتو لم تحل نفسها عندما دخلت الموحد وتندمج فيه كجزء من مكوناته، لكنها دخلت فى شراكة مع الآخرين فيما يسمى بالحزب الموحد، مع الابقاء على قيادة حدتو كما ذكرها مبارك عبده فضل. ودليلى على هذا الاستنتاج هو غياب اسم سعد رحمى من قائمة مبارك عبده فضل حيث كان ينظر إليه باعتباره فى الأساس «مشمشيًا» (من المنظمة الشيوعية المصرية) وليس «حدتاويا» أصيلاً يحافظ على نقاء «التيار التاريخى».

ودليلى الثانى على هذا الاستنتاج ما جاء فى شهادة مبارك عبده فضل فى كتاب «هكذا تكلم الشيوعيون» للدكتور رفعت السعيد ص ٣٧ : «وبعد فترة بدأت المواقف تتحدد بشكل أوضح .. ومن جديد عاد التألق إلى تاريخ ومواقف وكوادر حدتو : **والحقيقة أنه بعد خروج المعتقلين** بدأ رفاق حدتو فى حملة نشاط جماهيرى واسعة أذهلت شركاءنا فى الموحد. وبدأت حملة احتضان لهم ودفعهم إلى أحضان الجماهير، فتغيرت مواقف كثيرة، وأصبح الكثيرون منتمين إلينا فكريا وسياسيا وتنظيمياً، بعد أن كانوا خصوما أشداء، ومن هؤلاء، **أحمد خضر - فخرى لبيب - حسين غنيم - بهيج نصار - محمود العالم... الخ.**

إن هذه الفقرة فى الحقيقة تبين بجلاء، لا غموض فيه أن قيادة حدتو (كما ذكرها مبارك عبده فضل باعتبارها جزءاً من قيادة الموحد) لم تحل حدتو ولم تندمج البتة فى الحزب الموحد لتصبح جزءاً منه. الكلام هنا عن تاريخ ومواقف وكوادر حدتو، وعن الكثيرين من شركائهم فى الموحد (شركة لا وحدة)، قد انتموا إلى حدتو فكريا وسياسيا وتنظيمياً، وأن ذلك قد جرى باحتضان حدتو لهم، ودفعهم إلى أحضان الجماهير (صورة غريبة عن أحضان حدتو وأحضان الجماهير)، مما يعنى التجنيد من الآخرين الشركاء إلى حدتو، حيث يتحقق الانتماء السياسى والفكرى والتنظيمى، والانتماء الأخير يجزم بمعنى التجنيد لحساب حدتو (كما تخيلوا).

يبدو أن غالبية قيادة حدتو التاريخية، وقائمة مبارك عبده فضل، التى كانت تعتبر الموحد هزيمة سياسية وتنظيمية لها، قد عالجت هذه الهزيمة بدخول الموحد باعتباره تجمعا لشيوعيين من أبنائها السابقين، وعليها استعادتهم بإعادة تجنيدهم من داخل هذا الشكل استمراراً لنظرية النمو الذاتى، حتى «تغير المناخ واتجهت الرياح لصالح حدتو» (المرجع السابق ص ٣٧٠).

أما فيما يختص بالانتماء الفكرى والسياسى والتنظيمى لأحمد خضر وفخرى لبيب .. الخ لحدتو، فإننى أود توضيح أنه بعد إعلان الموحد، وحتى حل الحزب الشيوعى (٨ يناير ١٩٥٨)، لم يكن لى انتماء تنظيمى أو فكرى لا لحدتو ولا لغيرها، لقد كنت عضوا أنتمى سياسيا وفكريا وتنظيمياً لطليعة الشيوعيين المصريين، وبحل هذا التنظيم واندماجه فى الموحد لم يعد لى انتماء تنظيمى لغير الحزب الذى أنا فيه، أى أننى لم أكن ألتزم بغير قرارت الحزب الذى أنا فيه، ولا علاقة لى البتة بأى التزامات موازية فى قيادات موازية مازالت تعمل بفكرها الانقسامى. إنما حددت مواقفى عن اقتناعى بما أراه فى مصلحة الشعب المصرى ووحدة الشيوعيين المصريين. إن ما أسماه مبارك عبده فضل بانتمائى السياسى لحدتو، فهو مسألة غير واردة، إذ أن تصورى حينذاك أنه لم تعد هناك حدتو ولا غيرها، ولكن هنالك الحزب الشيوعى المصرى الموحد، ونحن جميعًا أعضاء فيه، وموقعنا فى اللجنة المركزية كأعضاء قياديين يحتم علينا تناول أى متغيرات سياسية أو اقتصادية واجتماعية واتخاذ موقف منها يتفق ومصلحة الشعب. فإن حدث لقاء على موقف معين في اللجنة المركزية فهذا لا يعنى انتماءً سياسيًا لتنظيم سابق، إنما هو لقاء أو اتفاق سياسى من خلال أغلبية وأقلية داخل هذا الحزب الجديد. أما بالنسبة للأرضية الفكرية لحدتو والتى انتهت إلى المجموعة الاشتراكية أو

أرضيات فكرية أخرى انتهت إلى طريق التطور اللارأسمالى، فإننى لم أكن على تلك الأرضيات الفكرية على الاطلاق.

ودليلى الأخير على هذا الاستنتاج هو أنه رغم الموحد/ والمتحد / والحزب الواحد فى ٨ يناير ١٩٥٨، إلا أن الانقسام الذى خرج من الحزب فى منتصف عام ١٩٥٨ عاد إلى اسم حدتو، أو على الأصح أعلن حدتو التى لم تحل ولم تندمج فى أية وحدة.

الحزب الشيوعى المصرى المتحد ٢٨ يونيو ١٩٥٧

أفرج عنى قبل إعلان الحزب المتحد بحوالى شهر (٢٩ مايو ١٩٥٧). وكنا فى سجن جناح بالواحات بعيدين إلى حد كبير عن تفصيلات الوحدة. ويمكننى أن أقول ملخصاً إننى لم أحس بهذه الوحدة. كما أحسست بوحدة الموحد من قبل أو بوحدة ٨ يناير ١٩٥٨ فيما بعد.

إن أهم حدث وقع لى بعد خروجى من السجن هو عرض اللجنة المركزية للحزب الموحد علىَّ، أن اتفرغ سياسيا وأن أكون محترفًا ثوريًا. وكان أمامى عرضان بالعمل أحدهما فنى جيولوجى والآخر إدارى ومرتب كل منهما أضعاف أضعاف مرتب المحترف. لكننى اعتبرت التكليف بالاحتراف ميلاداً جديداً وثقة من الحزب يعتز بها المناضل ويرى فيها صورة من صور التقدير الثورى العميق.

وكان عملى باللجنة المركزية للموحد ثم المتحد، هو متابعة الظروف الحياتية للزملاء المسجونين وأسرهم. كان مثل هذا النوع من العمل جديدا علىَّ، فقد اعتدت العمل التنظيمى والجماهيرى والفكرى. وربما كنت أنا من أوحى بفكرة هذه المسئولية، حيث إن الرفاق فى الداخل، هؤلاء الذين فى قبضة السلطة، والذين يشكلون خط صدام أمامى معها، مع الأجهزة الأمنية وأجهزة التحقيق وأجهزة الإدانة، يواجهون كل ذلك بشجاعة وبسالة، ليست فى الموقف والمواجهة فقط، ولكن فى تبعات ما يصدر من أحكام طويلة ضدهم. أحكام تمتد إلى عشر سنوات أشغال شاقة، فيفقدون وظائفهم ومصدر رزقهم، ويتركون فى الخارج أسرهم عرضة للضغط والاضطهاد والمطاردة. وبدلا من أن يكونوا عونا لأسرهم يصبحون عبئا عليها، فللسجين احتياجات.

إن أقل ما يجب أن يقدمه الحزب إلى ابنائه الذين سجنوا هو رعايتهم فى السجن ورعاية

أسرهم فى الخارج. إن هذا الواجب ليس واجبا أخلاقيا وإنما هو واجب والتزام سياسى.

ولذا كان لابد من الارتفاع بالمسئولية، والتى كانت تمارس بصور مختلفة من قبل، إلى مستوى المهام المركزية والمسئوليات المركزية.

ومن هنا فإننى عندما بدأت المسئولية لم أبدأ من فراغ، وإنما بدأتها وهنالك قنوات لها وقواعد أيضاً، ربما متناثرة هنا أو هناك، تتحرك بعفوية مرة وبطريقة منظمة مرة أخرى، لكنها موجودة وتعمل. كان لابد من تحديد الاحتياجات ومن ثم المهام :

هنالك فى الداخل احتياجات للعائلات، احتياجات معيشية فى الأساس، أو صحية، غير أن كل ذلك كانت تحكمه الإمكانيات المتاحة. والامكانيات الحزبية محدودة. ومن هنا كان لابد أن يكون الاعتماد الأساسى على تبرعات الزملاء والأصدقاء.

كنا نحصل على الأدوية للداخل والخارج، من الزملاء الصيادلة وكان أبرزهم محمد الخفيف وسعد بهجت. والكتب من دور النشر وخاصة دار الفكر (ابراهيم عبد الحليم). دار الديمقراطية (محمد سيد أحمد) ودار النديم (لطف الله سليمان).

أما المواد الغذائية. فقد كنا نجمع بعضها كتبرعات عينية (معلبات أو نقود)، وأذكر أننا كنا فى سوق روض الفرج نشترى أقفاص فاكهة لإرسالها للزملاء، فى الواحات. وعندما علم التاجر الذى نشترى منه بذلك رفض بشدة أخذ أى نقود واعتبر هذه الفاكهة مساهمة منه أو هدية منه إلى الزملاء.

وكنا أيضاً نلجأ إلى جهود خاصة منا تستهدف تحقيق دخل، مثل تنظيم رحلات إلى القناطر الخيرية واستئجار بوفيه الباخرة لإدارته لحسابنا، لتقديم الساندوتشات والمشروبات، وكانت زوجات الزملاء، أو أمهاتهم والزميلات يقمن بتلك المهمة على أفضل وجه.

وكان هنالك عدد من الأطباء الزملاء والأصدقاء نلجأ لهم عند الحاجة لمتابعة طبية لأى من أفراد أسر الزملاء المسجونين.

وإلى جانب تلك النشاطات المعيشية فى الأساس، هنالك النشاط السياسى المتواصل المطالب بالإفراج عن المسجونين السياسيين ووقف سياسة العداء للشيوعية التى تمزق الجبهة الداخلية ولا تخدم غير الاستعمار والقوى الرجعية.

كذلك هنالك الجانب القانونى فى توفير محامين زملاء وأصدقاء للدفاع عن الرفاق الذين

يقدمون إلى المحاكم.

كذلك كان على لجنة المسجونين السياسيين المركزية، أن تدعم الأعمال النضالية داخل السجون دفاعا عن الظروف الحياتية والمعيشية للرفاق وحشد العائلات وتحريكهم فى وفود النقابات والاتحادات وللضغط على مصحة السجون والمباحث العامة، مما كان يحقق الكثير والكثير للغاية حماية للرفاق المسجونين.

إن تشكيل هذه اللجنة كان يقوم على عناصر أساسية سواء كانت أعضاء، أو غير أعضاء بالحزب مثل فتحية الطوخى، عايدة إبراهيم، عفت الشال، ليلى عبد الحكيم.

وأيضًا على تعاون عناصر ثابتة من زوجات الزملاء، وامهاتهم مثل زوجة محمد شطا، وزوجة أحمد طه وزوجة سيد ندا، ووالدة محمد عثمان، ونسيم يوسف، والعطارين، والشعراوية.

وزوجات وأمهات أخريات عديدات طبقًا لظروف وأوضاع المسجونين.

وهذا العمل يحتاج فى الحقيقة إلى دراسة خاصة مستفيضة.

شهادة

فرنسيس كيرلس

البيانات الشخصية

الاســــــــم : فرنسيس لبيب كيرلس

تاريخ وموطن الميلاد : ٥/١٠/١٩٣٥ - القاهرة - جزيرة بدران

المؤهلات الدراسية : ليسانس اجتماع وعلوم نفسية

المــــهـــن : مدير عام في الهيئة القومية للتأمينات الاجتماعية (آخر درجة وظيفية قبل الإحالة إلى المعاش)

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ١٧ سنة

فترات السجن والاعتقال : أكثر من عشر سنوات كما يلي :

١ - من ٢٨/٢/١٩٥٣ إلى ١٤/١/١٩٥٤.

ثم فترة هروب من ١٩٥٤ حتى بداية العدوان الثلاثي

٢ - سجن من ٢٢/٨/١٩٥٨ إلى أغسطس ١٩٦١ ثم اعتقال من ١٩٦١ إلى ٤/٤/١٩٦٤.

٣ - إعتقال من ٢٢/٦/١٩٦٩ إلى ١/١١/١٩٧٠

أهم المستويات التنظيمية التي اشتركت فيها : كنت عضو منطقة ثم مرشح لجنة مركزية بالحزب الشيوعي المصرى (الراية) ثم عضو منطقة بالحزب الشيوعي(حزب ٨ يناير ١٩٥٨).

بيانات عن النشأة وكيفية التعرف على الفكر الماركسي

نشأت في جزيرة بدران في حارة توفيق لطفي، بعد أن نزحت الأسرة (الجد وعائلته) من الصعيد من درونكة، واستقروا في تلك الحارة في منازل متلاصقة مما أدى إلى تكوين عصبية داخل الحي.

أما والدي فقد كان عاملاً بسيطًا (سائق تاكسي) ثم أصبح سائقًا في شركة المطاحن المصرية.

وكنا عشرة أخوة؛ ست بنات وأربعة أولاد، وأنا كنت أكبرهم وكنا نملك شقة مستقلة في

منزل جدي، ولدينا إرث حوالى فدانين وبضعة قراريط مما ساعد فى مصاريف مدارسنا، وبالرغم من أن والدى كان عاملاً، إلا أنه أصر على أن يعلمنا، وبالفعل تعلمنا جميعاً.

وارتبطنا مثل أبناء الحى بمدارس جمعية الإيمان، وكان لها دور أساسى فى هذا الحى، كانت تابعة لكنيسة مارى جرجس التابعة للكنيسة الأرثوذكسية للكنيسة.

وقد أقامت الكنيسة مدارس مستقلة لمساعدة الفقراء، والمحتاجين فى هذا الحى، مما ساعدنى أنا وأخوتى جميعًا. حيث ارتبطت منذ الصغر بمدارس الأحد وقد كان يدرس لنا فيها أستاذ متفتح جداً اسمه فرج، وقد تعلمنا الكثير منه حول مساعدة الفقراء، والمحتاجين، مما ساعدنا منذ الصغر على التنشئة السليمة رغم الأوضاع الاجتماعية السيئة التى كانت موجودة، فقد كان كثير الحديث عن الفقر والجنة والخلود وتعاليم الدين المسيحى الذى يدافع عن الفقراء، وسرد بعض الحكايات عن المسيح عندما قام بتوزيع السمك والعيش على الناس بالتساوى ما يؤكد على فكرة المساواة.

كما كان الأستاذ فرج يتكلم كثيراً عن العداء للأغنياء، وكان يستشهد فى ذلك بجملة المسيح «من السهل جداً على جمل أن يدخل من ثقب إبرة على أن يدخل غنى ملكوت السماوات» كما كان يتكلم عن السلام ويستشهد بنص «طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون»

كما كان يدرس لنا أيضًا الأستاذ / سليمان نسيم الاستاذ بكلية التربية بجامعة عين شمس (توفى قريباً)

كل ذلك شكل بالنسبة لى أبعاداً هامة جداً جعلتنى أستشف الأوضاع من حولى، حيث كان الوضع السياسى متفاقمًا جداً فى البلد، وكان لى عم وهو المرحوم طوسن كيرلس وهو أحد مؤسسى الحزب الشيوعى المصرى «الراية»، ومنذ صغرى كنت أحب أن أسمعه وكان يأخذنى معه للحضور فى بعض سرادقات الحزب الاشتراكى لأحمد حسين.

وقد بدأت بالارتباط بالحركة فى الخمسينيات (١٩٥١) فى الحزب الشيوعى المصرى(الراية) وقد قدمت الأسرة للحركة ثلاثة أفراد منهم عمى الذى قضى أكثر من عشر سنوات فى قضية يونيه ١٩٥٤ وأخى فؤاد الذى أعتقل فى ١٩٥٩/٣/١٢ وأفرج عنه فى ٦٤/٤/٤ وأنا وقد عجل بدخولى التنظيم المناضل سعد باسيلى.

وقد ساعدنا فى التقارب والانتشار بين الناس أننا كنا عزوة كبيرة داخل الحى، كما كان أغلب الحى طبقات شعبية.

ومنذ دخولى الحركة الشيوعية كنت مندفعًا جداً ومتحمساً، وسميت باسم (أربعة وعشرون) لأننى نجحت فى تجنيد ٢٤ عضواً فى الحزب منهم غنيم مصطفى غنيم، أمين شرف، محمد خليفة، فؤاد شفيق .... الخ، وأغلبهم من جزيرة بدران.

المواقف السياسية السابقة على الانضمام للحركة الشيوعية

لم يكن لى مواقف سياسية سابقة أكثر من حضور بعض اجتماعات الحزب الاشتراكى لأحمدحسين - كما ذكرت - وأتذكر أن الحزب الشيوعى المصرى نجح فى أن يفرض عليه أن يذكر فى برنامجه فكرة الخمسين فدان، وقد كانت إحدى النقاط الأساسية فى برنامج الحزب الشيوعى المصرى (الراية)، وأيامها تعرفت على محمد خليفة وكان عضواً فيه وقد انضم إلى الحزب المصرى (الراية) وقبض عليه فى ١٩٥٣/٢/٢٨، وحكم عليه بالسجن عشر سنوات.

ما أعرفه عن نشأة الحزب الشيوعى المصرى (الراية)

تكون الحزب فى ١٩٤٩/١٠/١، حيث كان هناك مد ثورى، سقوط حكومة حسين سرى، وحكومة النحاس، كل ذلك أعطى للحزب فرصة فى أن ينطلق بأبعاد غير عادية، خصوصًا وأنه كان يتكون من مجموعة شبابية أتت بعد دراستها فى فرنسا متحمسة للغاية مثل الرفيق خالد (فؤاد مرسى)، وإسماعيل صبرى عبد الله، وطرحوا قضايا أساسية خاصة بالواقع المصرى وقاموا بوضع مقومات التنظيم الأساسية ممثلة فى الصراع الطبقى وتحديد الطبقات الأساسية وتحديد طبقات الأعدا.. وتحديد الضربة الرئيسية وتحديد البرنامج وطبيعة ثورتنا المقبلة كما هو واضح فى وثيقة تطور الرأسمالية وصراع الطبقات فى مصر. إن المجتمع المصرى مجتمع شبه إقطاعى شبه مستعمر، ولابد من إسقاطه بسلطة شعبية والتى سميت بثورتنا المقبلة (ثورة وطنية ديمقراطية تتم على مرحلتين الأولى : بإسقاط النظام الإقطاعى الاستعمارى، والإتيان بحكم وطنى ديمقراطى شعبى (كنموذج الصين) ثم الثانية تستكمل بثورة جديدة وهى الثورة الاشتراكية.

ومن أهم مجلات الحزب حينذاك «راية الشعب» وهى الجريدة الجماهيرية للحزب وهى اسبوعية وكان رئيس تحريرها وداد عزيز وكان اسمه الحركى الرفيق غالب وهو سكرتير الدعاية المركزى.

و«الحقيقة» وهى جريدة داخلية للكادر، وكانت جريدة هامة جداً تعطى دراسات معمقة للنظرية. مما أدى إلى أن أغلب عناصر الحزب المصرى (بدون تحيز) كانوا على قدر كبير جداً من الوعى النظرى بالقياس بالتنظيمات الأخرى. وشهادة للتاريخ. كان لفؤاد مرسى دور أساسى فى ذلك، حيث كان فى الحزب الشيوعى الفرنسى ثم جاء واستطاع أن يعمق هذه المسائل، وكتب كتاباً هامًا جداً بعنوان «من هم الشيوعيون المصريون، وماذا يريدون» ما هى أهدافهم، برنامجهم، وقد كان لهذا الكتاب صدى كبير فى القواعد الشعبية.

إلا أنه بالرغم من أن الحزب المصرى (الراية) قام بعمل برنامج ولائحة وحدد أسس التنظيم الحزبى حيث حدد الحزب أربعة أو خمسة عناصر منها :

١ - الحزب السرى ٢ - المركزية الديمقراطية

٣ - النقد والنقد الذاتى ٤ - الحزب الجماهيرى

إلا أنه من الغريب أننا كنا أحسن ناس كتبنا عن هذه الأسس ولكن للأسف لم تطبق حرفًا واحداً منها، حيث لم يتم فى حياتنا إطلاقًا كونفرنس أو مؤتمر.

وأتذكر أن أيام حريق القاهرة كتب رفيق اسمه الحركى (عامر) مقالة ذكر فيها (أن الحزب الشيوعى المصرى خان الثورة، وأنه كان يجب أن يستخدم حريق القاهرة فى انطلاقه كاملة لإسقاط النظام» وقد رد عليه الرفيق خالد رداً فظيعًا جداً استخدم فيه الكلمات الكلاسيكية مثل (المرتد) الأمر الذى يظهر مدى اليسار، والجمود الذى كانا يكبلان عملا، لم يكن الرأى الآخر له مكان فى صفوفنا.

وكانت الجلسات تتم شبه عائلية أكثر منها تنظيمية، وهذا إن دل على شئ، إنما يدل على عبادة الفرد، والبعد عن الجماهير بالإضافة لنوعية العناصر داخل الحزب حيث تغلبت عليه نوعية العناصر ذات الأصل البرجوازى بعيداً عن الطبقة العاملة والفلاحين. وخاصة بعد ضربة مارس ١٩٥٤.

وقبل الدخول فى الكلام عن أهم المعارك الجماهيرية التى قام بها الحزب أرى طرح نقطة أساسية أتعجب لها وهي لماذا المجتمع المصرى وبالذات الطبقة العاملة المصرية حرمت من كلمة الحزب؟!، لماذا سميت كافة التنظيمات، بكافة الحروف الأبجدية ماعدا كلمة حزب؟! والغريب أنه كان يوجد حزب سنة ١٩٢٤. فهذه نقطة هامة يجب أن نفكر فيها، فهل يا ترى للعناصر اليهودية فى الحركة الشيوعية دور فى ذلك، أم كان للصهيونية والرأسمالية والاستعمار مصلحة فى تبعثر وانقسام الطبقة العاملة وحرمانها من وجود حزب خاصة وأننا نعلم تماماً أن الحزب يعني طليعة، يعنى أركان حرب الطبقة العاملة.

وإذا كان الحزب الشيوعى المصرى (الراية) لم ينجح رغم محاولته الجادة فى أن يكون حزب الطبقة العاملة المصرية، فإن ذلك يرجع فى اعتقادي إلى عدة أسباب منها :

١ - كثرة التنظيمات داخل الحركة الماركسية

٢ - أن الحزب لم يأخذ دوره كاملاً لأنه بدأ يتحرك من سنة ١٩٥٠ - إلى ١٩٥٢ ثم تمت أول قضية اعتقال للحزب (قضية مصطفى طيبة و١٨ عضواً معه (أيام الملك) ثم حكم عليهم بالسجن عشر سنوات فى عهد الثورة.

٣ - الفهم الخاطئ لطبيعة مفهوم البرجوازية الوطنية حيث سادت فكرة ستالين عن خيانة البرجوازية القومية في المستعمرات (بعد أن ألقت البرجوازية علم الكفاح فى الوحل)

* أهم المعارك الجماهيرية التى خاضها الحزب المصرى (الراية)

- أتذكر جيداً فى نوفمبر ١٩٥١ عندما عملت حكومة الوفد المظاهرة الصامتة قام الحزب الشيوعى المصرى بحشد كل قواته وخاصة من منطقة شبرا الخيمة وخرج بالمظاهرة أيامها المرحوم محمد السيد زلط من شبرا الخيمة وغنيم مصطفى من عنابر بولاق وجاء طوسون مع عمال حلوان، وخرجنا نحن من جامعة عين شمس واجتمعنا فعلاً أمام قصر عابدين، ورفع وليم إسحق لافتة «تحيا الجبهة الوطنية ويسقط النظام الملكى وتحيا الجمهورية».

وقد انقلبت المظاهرة بعدها إلى مظاهرة متحركة ناطقة.

برغم أن ذلك كان عملاً كبيراً فى أيامها إلا أننى الآن عندما كبرت بدأت أتفهم مسائل كثيرة مثل أدوات النضال وبعض المواقف التى أرى أننا كنا مخطئين فيها. ففى رأيى الآن أنه

كان من الممكن المشاركة فى المظاهرة الصامتة دون تحويلها ، وأنه كان يمكن أن تكون لها رد فعل أقوى وتشترك فيها كل الجماهير.

كما اشترك الحزب فى معارك كثيرة وفى مناطق كثيرة على سبيل المثال : ما حدث فى شبرا الخيمة بالنسبة للمعركة الانتخابية لمجلس الأمة والتى لعب فيها دوراً محمد السيد زلط ونجيب سيدراك وشاركنا فى معارك شركة الشرق للنسيج حيث كان هناك تواجد لعدة تنظيمات ويشهد على ذلك نجاتي عبد المجيد باعتباره عاش فى هذه المرحلة، وكان الحزب يكاد يكون مهيمناً على العمل الثورى فى شبرا وجزيرة بدران، كما كان له دور فى عنابر بولاق، جامعة عين شمس، الاسكندرية حيث كانت تمثل المركز الثانى فى الثقل بعد القاهرة، وفى ملوى وأبو قرقاص، أسيوط، درونكة، وعلى حد تعبير الزميل نجاتي عبد المجيد فقد كان لاسم الحزب الشيوعى المصرى صدى طيب فى الجماهيرية العمالية، .

- وبالنسبة لنشاطى الخاص فقد كان لى دورى فى جامعة عين شمس بالاشتراك فى المظاهرات والاضرابات خاصة وأن كلية الآداب كانت تقع فى شبرا التى كان يتركز فيها نشاطى الأساسى وخاصة فى حى جزيرة بدران.

* دور الحزب فى الكفاح المسلح فى القنال

لقد تم القبض عليّ ومصطفى النحاس جبر، ورفعت صالح فى ١١ نوفمبر ١٩٥١ عندما كنا نلصق المنشورات على حوائط نفق شبرا نطالب فيها بالكفاح المسلح ضد الاستعمار. وقد نشر الخبر فى جريدة «المصرى» بعنوان (القبض على طالب يوزع منشوراً يطالب فيه بالكفاح المسلح ضد الاستعمار ١٩٥١).

* كما عارضنا اتفاقية الجلاء، وقد ألف داود عزيز كتاباً جميلاً جداً اسمه «الجلاء المزيف»، وقلنا إنه لايمكن أبداً التفاوض مع الانجليز بدون الكفاح المسلح والثورة الشعبية، وقد ساعد على تبنى هذا الموقف انتصار الاتحاد السوفيتى والحلفاء، وتدمير الفاشية على النطاق العالمى والمد الثورى وانتشار الفكر الاشتراكى العالمى، ونظراً لتوزيع كتيب «الجلاء المزيف علي نطاق واسع فى السبتية وعنابر بولاق فقد قامت السلطة بتزوير عدد من راية الشعب تدعى فيه تأييد الحزب لاتفاقية الجلاء. (جمال - هيد)

كما انطلق الحزب الشيوعى المصرى (الراية) بعد المعتقلات فى عام ١٩٥٦ والعدوان الثلاثى بشكل إيجابى.

وقامت مجموعة بالسفر إلى معسكر طوبحر وحمل السلاح مثل عبد الملك بواقيم، لطفى فطيم، فيليب جلاب وفاروق عبد القادر، بالإضافة إلى تكوين لجان للمقاومة الشعبيـة فى كل مكان.

أما بورسعيد فكان فيها ثلاثة فقط هم عبد المنعم شتلة وسعد رحمى وأحمد الرفاعى.

كما استطاع الحزب إقامة مراكز تدريب للمقاومة الشعبية فى شبرا الخيمة وجامعة عين شمس، وعنابر بولاق وجزيرة بدران واستخدمنا الأحياء التى توجد فيها مقاهٍ كمراكز للتجمع كما عملنا مجلات الحائط، واستخدمنا المدارس كلها، وكان المرحوم مراد القليوبى، وعايدة إبراهيم زوجة داوود عزيز التى كانت أيامها مُدرسة فى مدرسة الإمام الثانوية قد لعبا دوراً هامًا جداً فى ذلك، ثم جاءت بعد ذلك ليلى الشال حتى قبل الوحدة مع الموحد وقامت بدورها بامتياز فى المقاومة الشعبية. كل ذلك كان يؤكد دور الحزب سواء فى الميدان أو فى الجبهة الداخلية، وقد شهد د. رفعت السعيد فى كتابه الخامس عن الحركة بالنص بأن «الحزب كان له تواجد فى جزيرة بدران إلى حد كبير» وقد ساعد ذلك على انتشار - العمل الجماهيرى إلا أننى أتذكر أن هناك خطأ حدث، حيث نزل الحزب بشعار مخالف تمامًا للشارع المصرى، فالشارع المصرى كله كان يقول بمقاومة شعبية، وفجئت بأن اللجنة المركزية والمكتب السياسى تقول بشعار تكوين لجان الدفاع الوطنى، وفعلاً طبق فى منطقة واحدة وهى جزيرة بدران وكان التفسير النظرى أن المعركة وطنية، وبالتالى كل القوى يمكن أن تدخلها، أما المقاومة الشعبية فتكون قاصرة على طبقات معينة ليس بينها البرجوازية الوطنية.

ومن أهم معارك الحزب معركة الانتخابات عام ١٩٥٧ ففى معركة شبرا الخيمة كان مسئول الحزب الممثل فيها نجيب سيدراك، وقد شارك الحزب المصرى بثقله فيها

ونظراً لأننا استطعنا أن نخلق فى جزيرة بدران قواعد أساسية ثابتة، وكان هناك العديد من الشخصيات منها المرحوم مصطفى طيبة، المرحوم سامى فهمى، المرحوم صبحى وهبه، المرحوم فوزى وهبه، غنيم مصطفى أمين شرف، داود عزيز، طوسن كيرلس فقد خلق كل ذلك تواجداً إيجابياً وثقلاً أساسياً فى انتخابات ١٩٥٧ وعندما تم ترشيح الزميل محمود أمين العالم رغم

أنه لم يكن في الحزب إلا أننا لعبنا دوراً أساسياً لكي ينجح، وعندما رشح سعد زهران ثم قام عبد الناصر بإغلاق جزيرة بدران في هذا الوقت على مرشح قبطي كان أمامنا أن نختار إما د. فايق فريد أو د. ميلاد حنا، وباعتبار أنني كنت مسئول معركة الانتخابات في الحي أصريت على د. فايق فريد لما يربطني به من علاقات أساسية فهو ابن بلد، وكان والده عضو في لجنة مدارس الأحد ومدرسة الإيمان. وقد ساعدت هذه المدارس في إنجاحه، بالاضافة إلى أنه كان المهندس المصري الوحيد الذي قام بإصلاح الإذاعة المصرية (المحطة الرئيسية) التي كانت بجوار بطن الجبل في أبو زعبل عندما تم ضربها في ١٩٥٦ في أقل من ٢٤ ساعة.

وفي هذه الانتخابات أخذت موقف الرفض لأي مساعدة من خارج الدائرة، وفعلاً احترمت بقية التنظيمات ذلك سواء الموحد أو ع.ف إلا أن عزت زكي هو الذي ساعدنا لصلتي القوية به ولقدرته العالية جداً على الإلقاء والخطابة.

ولأول مرة ينجح الحزب الشيوعي المصري وفي أن يدخل عضواً إلى مجلس الأمة، وهذه كانت نقطة هامة جداً، لدرجة أن النظام إهتز لها، وكان لابد من استبعاده من أول جلسة لمجلس الشعب، كما انتقلت مجموعة جزيرة بدران إلى الوايلي وشاركت عبد العظيم أنيس في انتخاباته ضد عبد العزيز مصطفى، وهذه كانت معركة كاملة بين حدتو والتنظيمات الأخرى.

وقد تبنى الحزب الشيوعي المصري موقفاً خاطئاً، وقريباً من الانتهازية حيث تم تجنيد عبد العظيم أنيس في معركة الوايلي. ودخل كعضو لجنة مركزية، وهذه من ضمن الأخطاء التي اعترضت عليها.

دور التنظيم وسط الفلاحين

بالرغم من كل ما ذكر من أدوار قام بها الحزب إلا أن العناصر الفلاحية كانت قليلة جداً، وقد كان الحزب يعتمد في عمله وسط الفلاحين على المنشور والجريدة أكثر، بدليل أنه أصدر عدة مجلات للفلاحين، والعمال، والضباط الأحرار بكوادر ليست عمالية أو فلاحية أو من الضباط الأحرار، وقد كان ذلك شكلاً من أشكال الدعاية التي تعطي صدى أكبر من الحجم الحقيقي وبالتالي لم ينجح في تكوين تنظيمات جماهيرية.

لذلك لم يكن كلام لينين في الهواء عندما قال «الشيوعية اليسارية عبث أطفال» بالفعل كنا قريبين جداً من هذا العبث، وكان هذا فكراً عالمياً بشكل عام.

بالنسبة لدور المحترفين في التنظيم

أنا كنت محترفًا ثوريًا وكان هناك عدد من المحترفين داخل الحزب إلا أنه طالما دخلنا في مناقشة مفهوم الاحتراف، فإنني أري أنه لا يوجد تنظيم ثوري بلا محترفين، فالمحترفون هم عصب التنظيم، لكن كان هناك سوء استخدام للفظ، حيث أصبح الإحتراف مهنة للرزق أكثر منها للنضال، وقد أدى ذلك إلى إفساد المحترفين. فالمفهوم الشيوعي للمحترف هو الذى يأتي بدخل من الجماهير، هو المناضل الذى يخلق قواعد تغذية وتغذى الحزب وليس العكس، وأنا كنت كذلك لم أحصل على فلوس من التنظيم، وقد هربت أكثر من ٢٢ شهراً من ١٩٥٤ - ١٩٥٦. ولم آخذ من الحزب أى شئ.

الموقف من سلطة يوليو وتنظيماتها في المراحل المختلفة

بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو صدر عدد من جريدة الشعب وكان رئيس تحريرها في تلك الأيام داوود عزيز وقد ذكر في مقاله أننا قبل أن نؤيد هذه الحركة لابد من وضع عشر نقاط للضباط الأحرار إذا تم تنفيذها سوف نؤيدهم، ومن هذه النقاط ما يلى :

١ - المطالبة برجوع الجيش إلى ثكناته، وعمل انتخابات وجمعية تأسيسة.

٢ - الإفراج عن المسجونين السياسيين.
٣ - تكوين الاحزاب السياسية

٤- الكفاح المسلح وطرد الاستعمار الانجليزى
٥ - إسقاط الملكية وإعلان الجمهورية

٦ - مسألة توزيع الأرض
٧- تكوين النقابات العمالية بمعزل عن السلطة.

إلا أننا فوجئنا بمذبحة خميس والبقرى في أغسطس ١٩٥٢ مما أكد موقف السلطة العدائى للحركة الجماهيرية منذ اللحظة الأولى، فكان رد الفعل من التنظيم أن هذه المجموعة لا يمكن إلا أن تكون عصابة فاشية، فحينما تقتل عاملاً بهذا الشكل، ويتم عمل محكمة داخل الشركة، فإنه لابد من إسقاط هذا النظام، وبالتالى مقاطعة كل تنظيماتها من هيئة التحرير إلى الاتحاد الاشتراكى ورفض كامل للدخول فيها.

فالثورة معناها الانتفاضات الشعبية، وكانت فكرة الانقلاب مرفوضة تمامًا وقد ساعدنا على ذلك موقف الحركة الشيوعية العالمية كلها. فتقرير بلمادت كان هو الأساسى بالنسبة لنا.

ومع بداية مؤتمر باندونج وكان أغلب اللجنة المركزية قد تم ضربها صدرت جريدة. «راية الشعب» وبها مقالة بعنوان «فاشى مصر المفلس يذهب إلى باندونج لطلب المجد». إلا أنه بعد

باندونج مباشرة. بدأ يتم الإفراج عن المعتقلين وأيامها أنا كنت هارباً ورجعت فى فبراير ١٩٥٦، وفوجئت بأن موقفنا أصبح التأييد لعبد الناصر، وأتذكر مقالا كان يقول «لعلنا يجب أن نفكر بعقلية حزب حكومى وليس بعقلية حزب معارضة».

الموقف من قرارات تأميم الشركات والبنوك ١٩٦١

فقد كانت هناك ثلاث أفكار أساسية فى المعتقلات أو السجون.

المجموعة الأولى : مجموعة ع.ف وهى كانت قائدة فكرة أن السلطة القائمة هى سلطة احتكارية ولابد من إسقاطها.

المجموعة الثانية : مجموعة حدتو، وكانت ترى أن فى السلطة مجموعة اشتراكية قادرة على بناء الاشتراكية.

المجموعة الثالثة : أغلبها من الراية وكانت ترى أن السلطة سلطة وطنية تمثل البرجوازية المتوسطة، وكانت مؤيدة لقرارات التمصير والتأميم، وقد قام الرفيق داود عزيز بالتركيز على مفهوم التطور المستقل ورفض تماماً طريق النمو غير الرأسمالى، وقال إن هذا الكلام غير ماركسى وخارج عن الماركسية.

وقد كانت فكرة المجموعة الاشتراكية فى السلطة فكرة يمينية تسود على النطاق المحلى والعالمى، وأعتقد أن المسئول عن كل هذه الأفكار هو خروشوف فى المؤتمر العشرين حيث وضع نقاطاً أساسية معادية للماركسية مثل حزب كل الشعب، وهذه فكرة معادية للماركسية حيث إنه لايمكن أن يوجد حزب لكل الشعب بمختلف طبقاته، وإنما الحزب الشيوعى هو حزب الطبقة العاملة.

وأعتقد كذلك أن مسألة العداء للمركزية الديمقراطية والنقد الذاتى، ومفهوم الكونفرسات والمؤتمرات، مسألة ليست محلية فحسب وإنما هى عالمية، بدليل بسيط وهو لماذا سقط الاتحاد السوفيتى، لماذا سقطت أنظمة شرق أوروبا، أكيد كانت بعيدة تماماً عن مفهوم الديمقراطية، وبعيدة عن الرأى والرأى الآخر.

ونحن فى الحزب المصرى دفعنا ثمناً غالياً جداً فمن كان يختلف معنا كنا نتهمه بالبوليسية والانتهازية أو الارتداد. وهذا كان مفهوم عالمى خاطئ فى مسألة قيادة الفرد والرأى الواحد.

رأى التنظيم ورأى فى الوحدة مع التنظيمات المختلفة

فى أواخر ١٩٥٦ بدأت تدخل أفكار غريبة جداً مثل مفهوم الوحدة، برغم تناقض هذا الكلام مع موقف الحزب الذى كان يقول : «إنه لا شيوعية خارج الحزب»

وقد تمت وحدة مع المنظمة الشيوعية المصرية(مشمش) وفى رأيى أنها شكلية، نتيجة علاقات عائلية أكثر منها علاقات ماركسية نضالية فهى وحدة اندماجية فقط.

ثم بعد ذلك دخلنا فى المتحد ولكن عمليًا لم يكن متحداً، كان حزبين وكان واضحاً دائماً فى اللجنة المركزية وبداخلنا مفاهيمنا الحلقية التى تربينا عليها وأثرت فينا فدائما يقال لك إنك الثورى وغيرك هو الانتهازى .... الخ. فكان من الصعب جداً التخلى عن هذه الحلقية، وبالنسبة لحزب ٨ يناير ١٩٥٨ فقد بدأ الحزب يأخذ دوراً إيجابيًا أقرب إلى الخط السليم وأقرب إلى الطبقة العاملة، ومن ضمن الشعارات التى رفعت حينذاك «إذا كان الاتحاد القومى حزب الحكومة، فأين أحزاب الشعب» وقد مُلئت جزيرة بدران وشبرا وكل المناطق بهذا الشعار، وفى الاتحاد القومى تم توزيع منشور باسم الحزب الشيوعى المصرى(٨ يناير). وفى ٨/٢٢ تم القبض على ٧ أفراد منهم الرفيق اسماعيل عبد الحكم، محمد حسن، فتحى رفاعى، شفيق اسماعيل، غنيم مصطفى وأنا، وكانت هذه هى بداية الاحتكاك الذى أدى إلى الضربة الكبرى فى يناير ١٩٥٩، وما أعقبها من مواقف إرهابية من قبل سلطة يولية ٢٣ يوليو حتى ١٩٦٤/٤/٤، وللتاريخ لم تصف المعتقلات فى يوم من الأيام بدليل اعتقالى مرة أخرى ٢٢ شهراً من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٠/١١/١ بتهمة غريبة جداً هى «التلسين ضد النظام».

الموقف من القضية الفلسطينية

طبعًا، كنا نؤيد الشعب الفلسطينى، ضد العصابات الصهيونية، وضد الاستعمار العالمى، وهذا واضح فى كتاب «صراع الطبقات فى مصر» لـ د. فؤاد مرسى، وبرنامج ولائحة التنظيم ويمكن الرجوع إلى النسخة الموجودة بمركز البحوث العربية.

الموقف من حركة أنصار السلام

كان للتنظيم دور فى حركة أنصار السلام، وكان يمثلنا فيها الزميل سعد حماد (المحامى) الذى كان موجوداً بالاسكندرية. كما كان لنا دورنا فى نشاط الحركة بالاسكندرية.

الموقف من «الأفق» داخل سجن الواحات

- أنا كنت متعاطفًا مع الرفاق الذين كونوا (الأفق) لثلاثة أسباب :

١ - كان أغلب أعضاء الأفق من «مجموعة الحزب الشيوعى المصرى»

٢ - كانت تمثل الفكر الأقرب للصحة.

٣ - أنه كان يوجد انهيار تنظيمى كامل للشيوعيين داخل الواحات. فلم يكن الحزب حزبًا حقيقيًا من الناحية التنظيمية.

وكان لابد من تنشيط الفكر، لذا كان الأفق فى هذا الوقت نبراسًا هامًا وديمقراطيًا ولعب دوراً أساسيًا، وعمل على حماية الناس من الانهيارات.

موقف التنظيم وموقفى من سياسات الاتحاد السوفيتي، وقرارات المؤتمر العشرين .... الخ

لا جدال فى أن الحركة الشيوعية العالمية كلها كانت خاضعة للاتحاد السوفيتى تمامًا فالحزب السوفيتى هو القائد وعند إتهامه لماوتسى تونج بالتحريفينية كنت أنا واحداً من هؤلاء الناس الذين رددوا هذا الكلام، وكنا نهاجم المرحوم محمد عباس فهمى عندما كان يدافع عن ماو ثم انتقل بالتالى هذا السلوك فى تأليه قادة حزبنا من منطلق عبادة الفرد. حيث كنا نقول «عاش الرفيق خالد ألف عام» وكانت الديمقراطية المركزية غائبة فقد كان الذي يقود الحزب بالفعل هو السكرتارية المركزية فقط التى تتكون من (فؤاد مرسى) اسماعيل صبرى، داوود عزيز. وليس المكتب السياسى أو اللجنة المركزية.

الموقف من حل التنظيمات

كنت معترضًا تمامًا على الحل من منطلق فكرة أساسية وهى أنه لايجب حل الحزب، وإنما الحزب يضمحل مع تطور المجتمع، وقد شبه بعض الرفاق ذوو الفكر اليمينى الوضع فى كوبا بوضع حكم عبد الناصر فى مصر، وهذه فكرة خاطئة وغير صحيحة. فالذى انتقل ليس الحزب الشيوعى الكوبى إلى سلطة كاسترو وإنما كاسترو هو الذى انتقل للماركسية، للحزب الشيوعى الكوبى.

أما ما حدث لدينا أننا انتقلنا لعبد الناصر. وهذه كانت فكرة خاطئة أهدرت كل شئ ونحن المسئولون مسئولية كاملة عما حدث للمجتمع المصرى بعد ١٩٦٥، بل للحركة الشيوعية المصرية من تخريب وتمزيق.لأن الحزب لو كان متواجداً لما حدثت كل هذه الإنقسامات. فأخطاؤنا كانت فظيعة جداً، ولكنها كانت نتيجة عزلتنا عن الجماهير، وبعدنا عن العمل الجماهيرى، وقد كان الحصول على لقمة العيش قاسيا جداً بعد الإفراج عنا عام ١٩٦٤، وقد انتهز عبد الناصر هذه الفرصة، كما لعبت القيادة جميعًا بدون استثناء، دوراً أساسيًا فى هذا الحل.

ولا أنسى موقفنا فى مبنى مجلس قيادة الثورة للحاق بوظائف وقد تم تعيينى بـ ١٥ جنيها وقد اخترت التأمينات، كانت المسألة مساومة وكانت السلطة الناصرية واضحة المعالم بدليل بسيط أنها لم تعين عاملاً واحداً من العمال المصريين من خلال اللجنة التى شكلتها حينذاك، وإنما كل الذين عينوا كانوا من المثقفين المصريين، أما عمال شبرا الخيمة .. وخلافهم فقد طردوا جميعًا، ولم يعين أحد علي الإطلاق منهم.

وقد كان هناك مواقف خاطئة من الرفاق الذين تولوا مواقع قيادية مثل إسماعيل صبرى وفؤاد مرسى، فرغم اعتزازى بالدكتور فؤاد مرسى لماله من فضل كبير فى تكوين فكرى، ولآخر لحظة كنت أكن له كل الاحترام إلا أننى أخذت عليه عندما أخذ مراكز فى شركة نصر للسيارات، وفى وزارة التموين، ولم يعين أحداً معه إلا داود عزيز فقط، ووضعه فى السكرتارية. مما يؤكد على أنهم أصبحوا هم والسلطة شئ واحد.

وفى المقابل كان للمرحوم حسن صدقى، ومحمود المستكاوى مواقف مشرفة فى تعيينات الزملاء، وقد استبعدت تمامًا من أى كونفرنسات حول موضوع الحل وذلك لمعرفتهم رأيى فى هذا الموضوع، وفى حوار فى إحدى المقابلات مع الدكتور فؤاد مرسى وعمى طوسن قلت للدكتور فؤاد إنك علمتنا أن حزب الطبقة العاملة هو الأساس، وأن الحزب لايجب أن يصفى » فقال « إننى موافق وقلبى يتقطع » وقد قلت له إن هذا الكلام غير ماركسى وأنت من اليوم غير ماركسى.

لذا لم يكن من المستغرب ألا أدعى إلى أى كونفرنس، بل وأن أعتقل كما ذكرت فى ١٩٦٩، بعد أن تم الإفراج عن كل الناس بل وفصلت من عملى، وعندما عدت إليه كان ذلك بتعيين جديد ومرتب جديد.

أسباب الانقسامية فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - وأسباب أزمة الحركة الشيوعية قبل ١٩٦٥

لا جدال فى أن مصر تمثل ركيزة أساسية للأمة العربية وبالتالى كلما تم إضعاف الطبقة العاملة المصرية كلما أدى ذلك إلى إضعاف الطبقة العاملة العربية، بدليل أنه عندما انطلق عبد الناصر فى الوحدة كان المد الثورى فى الوطن العربى غير عادي، وبالمناسبة نحن الذين ساعدنا فى فردية عبد الناصر عندما كانت شعاراتنا ناصر فى الوحدة، ناصر فى الأمة العربية ... الخ، كما ساعدنا فى الزعامة الفردية داخل الحركة الشيوعية.

فالانقسامية ليست معزولة عن الفكر الصهيونى أو الاستعمارى بمعنى أنه يوجد تآمر لتخريب الحركة الشيوعية من خلال الانقسامات كما ساعد فى ذلك التركيبة الطبقية للحركة، حيث اعتمدت على المثقفين وخصوصاً الطلبة، ولم يكن لدينا الكوادر العمالية الكافية، ولم يكن لدينا جيش الفلاحين، فقد نجحت الثورة فى الصين لأنها اعتمدت على الكتيبة الأساسية للمجتمع الريفى، ونحن مجتمع زراعى، لذا كان يجب أن يكون كل جهدنا وسط الفلاحين، وأن يتم إنشاء مراكز فى الريف، ويتم عمل مناطق مستقلة. الخ.

أما ما حدث فقد تم الاعتماد على البرجوازية الصغيرة وكنا بعيدين تماماً عن الطبقة العاملة الصناعية، كما كنا نصفى أنفسنا ببعدنا عن المركزية الديمقراطية والنقد الذاتى والكونفرسات والمؤتمرات.

وكان لابد أن تتم تصفية تنظيماتنا كما تم بالنسبة للحركة الشيوعية العالمية.

وفى النهاية لا يسعنى إلا أن أذكر أنه كان يوجد رفاق أعزاء راحلون أدوا أدواراً متميزة منهم: غنيم مصطفى، وأمين شرف فى عنابر بولاق، وحتى الآن يتغنى الناس بأمجادهما حيث قدما كل جهدهما، وعملا ركائز أساسية داخل المنطقة.

شهادة

متولي محمد بحر

البيانات الشخصية

الاســـــــــــم : متولى محمد بحر أحمد

تاريخ وموطن الميلاد : من مواليد ١٩٣٠/١/٨ النوبة - أسوان

السن عند الانضمام للحركة : عشرون عاماً

المــــؤهــــلات : الثقافة العامة ١٩٥١.

المـــهـنـــــة : عامل بشركة الملح والصودا بالاسكندرية

سكرتير مدرسة الضهرية (الضهرية - بحيرة)

فترة السجن والاعتقال : عشر سنوات متصلة من ١٩٥٤/٢/٢٨ حتى أبريل ١٩٦٤.

التحقت فى عام ٤٨، ١٩٤٩ بمعهد ليلى بالاسكندرية (مدرسة التربية الاستقلالية لاستكمال دراستى الثانوية - كنت حينذاك أعمل عاملاً بشركة الملح والصودا وأكمل دراستى الثانوية فى المساء - فى هذا المعهد كان يقوم بتدريس مادة اللغة العربية مدرس مسن (كبير السن إلى حد ما) هو الشيخ صفوان أبو الفتح (عرفت فيما بعد أثناء وجودى فى الواحات أنه كان من قيادات الحزب الشيوعى المصرى ١٩٢٤).

لم يتناول الشيخ صفوان أبو الفتح معى شيئا عن الفكر الماركسى بشكل صريح إلا أنه كان كثير الحديث عن الشاعر العربى (أبو العلاء المعرى) ووقوفه ضد الظلم وضد الأمراء ومع المظلومين والضعفاء، واستطاع بذلك أن يغرس اللبنة الأولى عن فكرة الصراع الطبقى - ثم كان حديث الشيخ صفوان عن المجتمع المصرى بشكل محدد وعن الملك وعن فساده وفساد النظام بأكمله - أثناء ذلك ظهر شخص كان يدرس معى فى المعهد وعندما لاحظ وشعر بميولى لأحاديث الشيخ صفوان أبو الفتح قدم لى جريدة «راية الشعب» وواصل تقديمه الجريدة لى بانتظام حتى اقتناعى بالانضمام إلى التنظيم إلا أن هذا الشخص انقطعت صلاته بالتنظيم فيما بعد والتنظيم هو الحزب الشيوعى المصرى (الراية) وتم الانضمام إلى هذا التنظيم.

وقبل الانضمام للتنظيم وبالتحديد فى أعوام ٤٧-٤٨-١٩٤٩. كانت حركة الأخوان المسلمين تتعرض لحملات اعتقالات واسعة خاصة أثناء وزارتى إبراهيم عبد الهادى والنقراشى - فى هذه الفترة حدث نوع من التعاطف مع هذه الحركة على أساس أنها ضحية لاضطهاد

النظام الملكى - لكن كان ذلك لفترة وجيزة ودون الانضمام لهذه الحركة.

فى فترة وجودى القصيرة نسبياً (قبل السجن والاعتقال) فى هذا التنظيم من ١٩٥١ إلى أوائل ١٩٥٤ ثم لظروف عملى السرى جداً فى التنظيم فى هذه الفترة بعيداً عن العمل الجماهيرى وبعيداً عن الانغماس فى عراك التنظيمات الشيوعية - حيث كان عملى فى الأجهزة الفنية وفى قرية نائية (الضهرية - بحيرة) لظروف الأمان، لم أعرف سوى هذا التنظيم على أنه التنظيم الشيوعى الوحيد وكل ما عداه تنظيمات إما انتهازية يمينية أو انتهازية يسارية وذلك من خلال التعرف على مطبوعات هذا التنظيم الداخلية والتى كنت أشارك فى طباعتها.

وكان هناك ارتباط بالطبقة العاملة إلى حد ما وأذكر على سبيل المثال فى الفترة الأولى من ارتباطى بالتنظيم وقبل تخصصى فى الأجهزة الفنية وفى منطقة نائية بعيدة وهذه الفترة لا تتعدى عدة أشهر، كنت أعمل عاملاً فى شركة الملح والصودا بالاسكندرية، قسم السيارات وكان لنا نشاط ملحوظ فى الدفاع عن حقوق العمال وضد الشركة وضد القيادات النقابية الصفراء- وظهر تجاوب من العمال إلى حد ما لشعاراتنا - لكن هذا التجاوب ظل محدوداً لأن النشاط أصلا ظل محدوداً، وفى تقديرى أن ذلك يرجع لخط يسارى فى العمل الجماهيرى لهذا التنظيم تمثل فى رفع شعار (بل وتنفيذ) بتكوين النقابات السرية مما جعل من العمل الجماهيرى النقابى الواسع محدوداً جداً وأعطى القيادات النقابية الصفراء فرصة ذهبية لمطاردة العناصر النشطة النقابية ووصفها بأنها عناصر شيوعية تعمل فى الخفاء ضد الشركة والعناصر النقابية. قامت هذه العناصر النقابية الصفراء بالبحث والتحرى عن العناصر النشطة لإرشاد البوليس السياسى وقتذاك عن هذه العناصر وكان ذلك من أهم الأسباب التى دعتنى إلى ترك العمل بهذه الشركة.

كما كنت ألاحظ ارتباط التنظيم بالحركة النقابية إلى حد ما من خلال ماينشر من رسائل عمالية من أماكن مختلفة فى مطبوعات التنظيم ومن خلال تنوع المشاكل العمالية وتنوع أماكنها، لكن السرية الشديدة والخوف من تسرب العناصر البوليسية إلى التنظيم ورفع بعض الشعارات اليسارية مثل تكوين النقابات السرية عاق إلى حد كبير جداً من نشاط التنظيم

وسط الجماهير، خاصة وسط الطبقة العاملة.

كان للتنظيم جريدة دورية (راية الشعب) كما كان للتنظيم مجلة داخلية (الحقيقة) وأصدر التنظيم دراسة شاملة عن المجتمع المصرى منذ محمد على باشا إلى العصر الحالى (آنذاك ١٩٥١) بعنوان (تطور الرأسمالية فى مصر) كما أذكر أنه كان للتنظيم نشرات دورية بل على الأصح جرائد دورية عن الحركة العمالية والحركة الفلاحية - كما أعتقد أن التنظيم كان يحاول بجدية نشر الثقافة الماركسية بين أعضائه وتوعيتهم من خلال مجلته الداخلية (الحقيقة) ومن خلال بعض الدراسات عن التنظيمات الأخرى وذلك بغض النظر عن الاتهامات التى كانت توجه إليها بالانتهازية اليمينية والانتهازية اليسارية - إلا أنه كانت هناك عناية خاصة بالتربية الفكرية لأعضاء التنظيم وربما كان لهذا الجهد أثره الكبير فى وحدة الفكر داخل التنظيم وفى مرحلة محددة بالذات من أعوام ١٩٥١ إلى أعوام ١٩٥٥ بغض النظر عن الفكر اليسارى الذى ساد التنظيم، وأضرب مثلاً واحداً عن وحدة الفكر داخل التنظيم فى عام ١٩٥٥ وبعد باندونج وصلت إلى السجن جريدة راية الشعب - وكان هناك - على ما أذكر -عنوان باسم «فاشى مصر يبحث عن المجد في باندونج»، وعنوان آخر عن اليمن «الإمام أحمد يصون استقلال اليمن» - ورغم ثبوت خطأ العنوان الأول وصواب العنوان الثانى فيما بعد - أذكر أن جميع أعضاء التنظيم داخل السجن وافقوا على العنوان الأول واعترضوا على العنوان الثانى من منطلق أن الإمام أحمد إقطاعى متخلف فكيف يصون استقلال بلاده. وفى هذه الفترة بالذات وقف الإمام أحمد ضد أطماع الانجليز والسعودية فى اليمن.

كان للتنظيم استراتيجية واضحة على أساس أن مصر بلد شبه مستعمرة، شبه إقطاعية وأن هناك ثورتين لا ثورة واحدة ثورة برجوازية ديمقراطية وثورة اشتراكية وأن الثورة الأولى لابد وأن تتم تحت قيادة الطبقة العاملة حيث أن البرجوازية (حسب فكر التنظيم وحسب مقولة لستالين كما كان يذكر التنظيم) قد ألقت بعلم الوطنية فى الوحل وأن الضربة الأساسية في هذه الثورة هى عزل الفلاحين والبرجوازية الصغيرة عن نفوذ البرجوازية وفكرها وجرهما إلى التحالف مع الطبقة العاملة والسير تحت قيادتها (نموذج الثورة الصينية)

وعلى أساس هذا الفكر كان موقف التنظيم من سلطة يوليو أنها انقلاب عسكرى فاشى

وكان ذلك نتيجة لتفكير ميكانيكي- فما دامت الثورة لابد وأن تقودها البروليتاريا وهذا لم يحدث فإن ما حدث لابد وأن يكون شيئا آخر غير الثورة وهو الانقلاب العسكري الفاشي.

وكان لذلك أساس نظري حيث كان يذكر التنظيم مقولة لستالين «أنه في حالة عدم استطاعة البروليتاريا الاستيلاء على السلطة وعدم مقدرة البرجوازية الاستمرار في سلطتها بالطرق التقليدية فإن المخرج من هذا الوضع هو الانقلاب الفاشي».

تمت الوحدة في يناير ١٩٥٨ - بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي - وقد أعقب هذا المؤتمر لغط كبير عن الجمود والعقائدية وعدم تجديد الفكر والقيادات المترسخة في مكانها لسنوات طويلة وعن تسلط هذه القيادات وعدم مشاركة الكادر والأعضاء في الأحزاب الشيوعية بالفعالية في أعمال هذه الأحزاب من خلال المؤتمرات المتوالية.

هذا إلى جانب أن الوضع الداخلي في مصر قد تميز في هذه الفترة بقدرة عبد الناصر بعد باندونج وتأميم قناة السويس ثم الوحدة مع سوريا إلى جذب أعداد غفيرة من الجماهير وراء شعاراته.

في هذه الفترة بالذات واجهت القيادات، وفي كل التنظيمات بلا استثناء، وبدرجات متفاوتة، عزلة كبيرة عن كادرها وأعضائها. هذا ما كنت أعتقده وكان يعتقده الكثيرون، خاصة الذين كانوا يمضون فترة السجن الطويلة في الواحات. وظهر في صفوف الكادر رأي بأنه قد حان الوقت لتغيير هذه القيادات المترسخة لفترة طويلة في مواقعها بحجة السرية وحماية التنظيم من الضربات البوليسية إلا أنه بعد تأميم القناة عام ١٩٥٦ والانفراجية المؤقتة بعدها والتقارب بين عبد الناصر والاتحاد السوفيتي ظهرت في الصورة بعض هذه القيادات وأصبحت شعارات السرية الشديدة غير مقبولة في صفوف الكادر وهنا ظهر مطلب واحد يكاد يكون صوتاً واحداً بين الكادر وفي جميع التنظيمات وإن كان بصور مختلفة خاصة في الواحات وكان هذا المطلب هو عقد مؤتمرات في كل هذه التنظيمات لمحاسبة القيادات المترسخة لمدة طويلة في مكانها وإجراء التغييرات اللازمة لتجديد الحركة.

لذلك وهنا هو المهم في الأمر أن نظر الكادر خاصة في الواحات إلى ما كان يتم من إجراءات للوحدة بين مختلف القيادات ما هو إلا هروب لهذه القيادات من مواجهة الكادر في

كل تنظيم وصرف أنظار هذا الكادر عن محاسبة قيادته فى تنظيمه إلى تعبئة الكادر فى معركة وهمية (كل تيار ضد تيار، أو تحالف تيارين ضد تيار مؤقتا، ثم تصفية تيار لتيار).

وهذا ما حدث بالفعل.

الموقف من الاحتلال الانجليزى حتى اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤

كان الموقف واضحا من الاحتلال الانجليزى بشكل لا غموض فيه حيث تناولت كل مطبوعات التنظيم سواء ما كان يتعلق بالموقف الاستراتيجى أو المواقف التكتيكية على أن الاستعمار الانجليزى هو العدو الرئيسى للطبقة العاملة المصرية وللشعب وأن الهدف الأساسى من الثورة الوطنية الديمقراطية (الثورة الأولى - قبل الاشتراكية) هو الإطاحة بالاحتلال الانجليزى وتطهير البلاد منه.

كما أن مطبوعات التنظيم كانت كل أنواع المقاومة للاحتلال الانجليزى من المظاهرات إلي الكفاح المسلح فى قناة السويس.

أما الموقف من اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤ فقد كان مبنيا على أساس أن سلطة الضباط ما هى إلا ناتج عن انقلاب عسكرى فاشى متحالف مع الاستعمار الانجليزى وفى خدمته ولذلك تم النظر إلي هذه الاتفاقية على أنها اتفاقية تسليم للمحتل الانجليزى لا اتفاقية نحو تحرير البلاد من الاحتلال والعار). وللحقيقة والتاريخ كنت مقتنعاً فى ذلك الوقت بكل شعارات هذا التنظيم.

الموقف من القيادات والأحزاب الأخرى قبل ثورة ١٩٥٢

الأحزاب الأساسية كانت فى ذلك الوقت.

حزب الوفد - حزب السعديين - الاخوان المسلمون - الحزب الاشتراكى (حزب مصر الاشتراكى - أحمد حسين)

كان الموقف من حزب السعديين هو العداء على أساس أن هذا الحزب هو حزب القصر (السراى) والانجليز.

كذلك الموقف من حزب الوفد على أساس أنه حزب البرجوازية التى (ألقت بعلم الوطنية فى

الوحل) وإن اعترف التنظيم بأن هناك قواعد من الشباب الوطنى يجب عزلها عن هذا الحزب وضمها إلى الصفوف الوطنية ونظر التنظيم إلى حزب (الإخوان المسلمين) كحزب فاشى وإن ضم عناصر مضللة من الشباب يجب توعيتها وضمها إلى صفوف الوطنية.

أما الحزب الاشتراكى فهو حزب البرجوازية الصغيرة يمكن التحالف معه فى مرحلة الثورة البرجوازية الوطنية والتى يجب أن تتم تحت قيادة البروليتاريا وحزبها الشيوعى.

كان الموقف واضحًا وضوحًا تامًا مع العمال وضد السلطة إذ كان التنظيم ينظر إلى هذا الحدث على أنه مقاومة من العمال ضد الانقلاب الفاشى (سلطة يوليو) وأن العمال ضحايا هذا الانقلاب ولذلك وقف التنظيم بقوته مع العمال وندد بما حدث لهم وكان ذلك واضحًا فى الجريدة الدورية (راية الشعب) وكذلك فى النشرة العمالية التى كان يصدرها. وأدان التنظيم كل الذين كانوا يقفون ضد الأحداث واعتبرهم كأذناب للفاشية وأعوان لها.

شهادة

محمد فخري

البيانات الشخصية

الاســـــــم : محمد على فهمى فخرى

محل وتاريخ الميلاد :١٩٣٢/٥/٢ - بالإسكندرية

المـــؤهـــلات : دبلوم فنون وصناعات عام ١٩٥١.

ثم عملت بشركة الغزل الاهلية بالاسكندرية، ثم شركة الحرير الصناعى، ثم الإدارة الهندسية لمجلس مدينة بورسعيد ثم مجلس مدينة قوص ثم مجلس مدينة بنى سويف ثم مديراً عاماً بمكتب بيع الأسمنت المصرى بوزارة الإسكان والتعمير .. ثم بالمعاش من ١٩٩٢/٥/٢

وانضممت للحركة الشيوعية المصرية فى يوليو ١٩٤٧ وكان عمرى ١٥ عاماً.

أما عن فترات السجن والاعتقال فهى :-

١ - من ٢٦ يناير ١٩٥٢ إلى يـوليـو ١٩٥٢ : معتقل النزهة البحرى بالاسكندرية

٢ - من ١٥ ديسمبر ١٩٥٢ إلى ١٤ يناير ١٩٥٣ : بالسجن الحربى بالقاهرة

٣ - من سبتمبر ١٩٥٤ إلى مـايـو ١٩٥٦ : حجز بورسعيد ثم مباحث أمن الدولة بالقاهرة وحجز الخليفة ومعتقل القلعة ثم أسيوط ثم أبو زعبل.

٤ - من مايو ١٩٥٩ إلى يونيه ١٩٦٤ فى حملة مارس ١٩٥٩ : الفيوم من القلعة، ثم أودعت ليمان أبو زعبل ثم الواحات الخارجة، ثم السجن الحربى.

* تعرفت على الفكر الماركسى من خلال معارك النضال الوطنى فى مظاهرات عام ١٩٤٦ ومن خلال لجنة الطلبة والعمال فى مواجهة حكومة صدقى والنقراشى والملك فى مدينة الاسكندرية، وقراءات لكتاب شهدى عطية الشافعى عن تطور الحركة الوطنية في مصر ثم المجموعة الخضراء، عن فكر ماركس - لينين .. ثم كتابات خالد محمد خالد «من هنا نبدأ»، و«هذا أو الطوفان»، و«ولكى لا تحرثوا فى البحر» ثم مدرسة كادر فى منظمة «نحو حزب شيوعى مصرى» التى كانت عمالية ثورية.

بالنسبة للمواقف السياسية السابقة للانضمام للحركة الشيوعية فتمثلت في المشاركة فى المظاهرات الوطنية التى شملت مصر كلها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية حتى تطورت هذه الحركة الوطنية تحت قيادة لجنة الطلبة والعمال بمدينة الإسكندرية مع قيادات الطليعة الوفدية

والقيادات العمالية بالمدينة .. حتى التقيت بالحركة الشيوعية عام ١٩٤٧ فى بداياته.

لقد ارتبطت بعدة تنظيمات هى «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى» فى بدايات عام ١٩٤٧، ثم «نحو حزب شيوعى مصرى» (العمالية الثورية سابقًا) ثم نواة «الحزب الشيوعى المصرى» .. ثم «الحزب الشيوعى المصرى الموحد» .. ثم «الطليعة الشيوعية» ثم الحزب الشيوعى المصرى (٨ يناير) ثم محاولات تشكيل تنظيم جديد يسعى لوحدة الحركة الشيوعية بعد رفضى لحل الحزب الشيوعى المصرى عام ١٩٦٥.

* لقد كنت على معرفة بنشأة التنظيمات التى ارتبطت بها وتطورها وعمليات الوحدة والانقسام التى مرت بها وأسباب أزمة الحركة الشيوعية المصرية قبل عام ١٩٦٥. إلا أن وجهة نظرى التى ناضلت من أجلها وكانت حلمًا نضاليًا شدنى دائمًا وحرصت عليه .. هو أهمية وضرورة توحيد الحركة الشيوعية المصرية، حيث كان هذا التدهور الانقسامى لا مثيل له فى الحركة الثورية الاشتراكية فى العالم كله :-

ووجدت فى «منظمة نحو حزب شيوعى مصرى» ثم «نواة الحزب الشيوعى المصرى» ذلك الحرص الواعى على توحيد الحركة الشيوعية المصرية. فقد خصصت نحو حزب شيوعى (نحشم) نشرة داخلية ثم نواة الحزب الشيوعى المصرى التى أصدرت نشرة دائمة تحت اسم إلى الامام فى سبيل تكوين الحزب الشيوعى المصرى، وفتحت صفحاتها كى يكتب فيها كل الشيوعيين المصريين حول المسائل الاستراتيجية للثورة الاشتراكية فى مصر والتصور العملى للمراحل التى تؤدى لها.

على أن ينتهى هذا الحوار المصحوب بتنسيق فى مجالات العمل فى نقاط الاتفاق .. إلى مؤتمر عام يشمل الكادر الأساسى للمنظمات الشيوعية المختلفة تحسم داخله الخلافات بالأغلبية والأقلية بالتصويت.

وتنتهى بذلك مهزلة بل كارثة الانقسام والتفتت الرهيب الذى ساد الحركة الشيوعية المصرية لسنوات طويلة وأصبح محل دهشة كل الأحزاب الشيوعية فى العالم ودارت حول أسبابه تساؤلات مريرة ومؤسفة.

ولعل هذا الضعف المرير الذى سببته الانقسامية فى الحركة الشيوعية المصرية قد أدى إلى فرار عدد ليس قليلاً من كادر الحركة الشيوعية فى مصر بعيدًا عن الحركة .. وربما هذا

الضعف هو الذى فتح الطريق للمساومات مع عبد الناصر ورجاله خلال التطورات التي شهدتها الحركة الثورية الوطنية فى مصر فى الخمسينيات والستينيات .. تلك المساومات مع عبد الناصر التى مارستها القيادات وأدت إلى حل التنظيمين الأساسين فى الحركة الشيوعية المصرية فى منتصف الستينيات بأسلوب أذهل الكثيرين من كادر اليسار المصرى الشيوعى وشجع عبد الناصر على السير فى خط العداء للديمقراطية وحركة اليسار المصرى.

فقد كانت معركة كسب قضية الديمقراطية وحق تكوين الأحزاب وتداول السلطة ديمقراطيًا هو الوجه الذي اكتسبته الحركة الوطنية فى مصر .. وكان كسب الديمقراطية لصالح الجماهير هو جوهر والعصب الأساسى لنجاح الثورة وتحولها نحو طريق الاشتراكية بكسب التجمعات الجماهيرية حولها ..

وكان عبد الناصر يرى ويحرص دائما على القتال هو ومجموعة العسكريين من رجال يوليو ١٩٥٢ والفنيين والتكنوقراط والمتنفعين من التنظيم الطليعى على عرقلة وإعاقة كسب قضية الديمقراطية جوهر الثورة المصرية والذى تعلمته الجماهير من خلال نضالها الوطنى منذ بداية الثورة العرابية وثورة ١٩١٩ والمعارك الوطنية بعد الحرب مروراً بحركة الكفاح المسلح فى القنال التى فتحت طريقًا لحشد الجماهير ديمقراطيًا فى مواجهة السراى والاستعمار فى أروع أيام النضال وأعظمها حتى قطع هذا الطريق بحريق القاهرة الذى سهل على المجموعة العسكرية للانقضاض فى انقلاب عسكرى على سلطة ملكية منهارة ومفضوحة أمام الجماهير..

وبعد إصرار عبد الناصر للعداء للديمقراطية .. أصبح كسب قضية الديمقراطية ليس إضافة كمية لنظام عبد الناصر .. بل إضافة كيفية لنظام عبد الناصر يؤدى بالضرورة إلى تنحيته عن السلطة. وفى تقديرى أن حائط استناد عبد الناصر للعداء للديمقراطية وعبثه بالمتناقضات العالمية بين المعسكرين العالميين هو الذى أدى لفشل التجربة الناصرية، حيث ينتهى نظام عبدالناصر بعد وفاته .. وتنهار البنية الأساسية لنظام رأسمالية الدولة فى مصر.

فإجراءات يوليو ١٩٦١ وأغسطس ١٩٦٢ تمت وآلفان من قيادات اليسار داخل السجون والمعتقلات لمدد طويلة.

فمساومة قيادات أو معظم قيادات الحركة الشيوعية المصرية، أسقطتهم تحت القيادة

الناصرية فى التنظيم الطليعى بجوار رجال المخابرات وأبرز قيادات وزارة داخلية مصر تحت مظلة عبد الناصر الكثيفة، والتى هى جزء من بنية عبد الناصر الفكرية والاستراتيجية فى العداء الجذرى لقضية الديمقراطية من نفس الحائط الملكى والخديوى القديم .. فشعار كسب الديمقراطية يعنى فى النهاية إسقاط النظام نفسه سواء كان ملكياً قبل يوليو ١٩٥٢ أو ناصرياً فى نظام رأسمالية الدولة التى كانت رأسمالية فردية قبل عبد الناصر.

فلا فرق بين عبود وإسماعيل صدقى مالكى الأسهم القدامى فى النظام الصناعى أيام الملكية وبين عبد الناصر ورجاله الذين نقلوا هذه الملكية للدولة الناصرية ..

وهذا هو الذى سهل مسألة نقل النظام من جديد من الملكية العامة للدولة إلى الملكية الخاصة بداية من السادات أحد قيادات يوليو إلى ولى العهد حسنى مبارك الذى فتح الطريق لمصر من جديد كى تصبح دولة تدور مع وفى فلك التبعية الاستعمارية وتنحط الرأسمالية المصرية حتى بتراثها الصناعى ويسقط حتى حائط طلعت حرب إلى مستوى الرأسمالية المصرية التابعة للاستعمار العالمى ويسقط حتى الحلم الرأسمالى الصناعى فى بناء مصر الرأسمالية الصناعية، وتفتح أبواب مصر على مصراعيها أمام الزحف الإمبريالى كى تتحول مصر بخطوات متعجلة إلى بلد تابع تحت مظلة «كامب ديفيد» وسقوط «ياسر عرفات» تحت السيادة والمطرقة الاسرائيلية المدججة بالسلاح الحديث للزحف من جديد كى تتحول المنطقة العربية كلها إلى التبعية للوحش الأمريكى الإمبريالى الذى يهيمن الآن على العالم بعد السقوط الدرامى والسريع لذلك المعسكر الإشتراكى الذى كان سنداً حقيقاً لقوى التحرر الوطنى فى العالم دون تمييز حتى تعود بالثورة الاشتراكية العالمية للخلف مائة عام .. وتستيقظ الرأسمالية من فراش الموت، وكأن نبوءة لينين عن هذا الموت للرأسمالية لم تكن صحيحة .. إن ما تلقاه عبد الناصر من مساندات على حساب التنمية الاشتراكية داخل الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى كان غطاءً خارج دائرة حسابات دقيقة وفهماً عميقاً لهذا العداء للاشتراكية فى بعض البلدان المستقلة حديثاً وعلى رأسها مصر .. كان معاكساً بمستقبل الاشتراكية فى العالم، ودفعت ثمنها شعوب المعسكر الاشتراكى التى جاء هذا الاستقلال الحديث لهذه البلدان كى تظل شعوب المعسكر الاشتراكى تعيش فى دائرة الفقر وكأن ثوراتها لم تجز بعد .. بل كانت شعوب دول أوروبا الرأسمالية تعرف حياة لشعوبها أفضل من

تلك الدول التى أصبحت اشتراكية وخصم من دخولها ضريبة ساذجة لرأسماليات وطنية تعادى الاستعمار والاشتراكية معاً. بل كانت شعوب بعض الدول حديثة الاستقلال تعيش حياة أفضل من شعوب الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية.

بل كانت تكلفة تسليح جيوش عبد الناصر فى حرب ١٩٥٦ بداية من الصفقة التشيكية ثم الدعم التسليحى السوفيت فى ١٩٦٧ يلقى على رمال سيناء بجملته وكأنه إهداء للجيش الإسرائيلى يترك له الأرض والسلاح بأكمله .. وهنا الفرق بين موقف «جوزيف ستالين» وبين قيادة «خروشوف» الذى نحت وحرث أرض الردة عن الماركسية؟! لقد خرج الشعب السوفيتى من الحرب العالمية الثانية متحملاً أعباء الانتصارات فى الحرب العالمية الثانية كى تضاف له أعباء قيادات العالم الثالث والدول حديثة الاستقلال .. فلقد استحوذ عبد الناصر وجيشه ذا القيادات الهشة على جزء كبير من ميزانية الحرب التى تحملتها شعوب الاتحاد السوفيتى وكأن الثورة الاشتراكية يمكن تصديرها.

فلقد تحملت شعوب الاتحاد السوفيتى أعباء الحرب الثانية ثم أعباء عبث قيادات العالم الثالث بلافتة الاشتراكية التى أصبحت جزءاً من الفكر التحريفى للفكر الاشتراكى وكأن الثورة الاشتراكية فى مصر ومثيلاتها تصنعها شعوب الدولة الاشتراكية الأولى والمعسكر الاشتراكى..

لقد دفعت الدول الاشتراكية رصيد الاشتراكية كله لقيادات العالم الثالث الطفيلية من فاتورة عرق هذه الشعوب وعلى حساب دخولها وكان بحق عبد الناصر من أسوأ قيادات العالم الثالث التى مارست العبث بعقل القيادات السياسية فى الاتحاد السوفيتي بعد رحيل ستالين .. وكأن الثورة الاشتراكية يمكن تصديرها فى صناديق السلاح السوفيتى الذى تركه جيش عبدالناصرالمهزوم على أرض سيناء..

وهكذا أدى هذا الدعم إلى أن تلقى «حدتو» هى والحزب الشيوعى المصرى (حزب ٨ يناير) بحزبها فى مزبلة عبد الناصر لرأسمالية الدولة المعادية للديمقراطية وحق التعددية الحزبية والحزب الشيوعى فى الممارسة المستقلة لقيادة الطبقة العاملة المصرية وجماهير مصر العريضة التى دفعت فى الحرب مع إسرائيل مئات الألوف من الشهداء.

لقد فشل عبد الناصر تماماً فى خلق حزب حقيقى لما أسماه ثورة يوليو - لذلك كان الرجال

الذين التفوا حوله أثناء تناقضاته الحادة مع الاستعمار وإسرائيل هم أنفسهم الذين التفوا حول السادات فى معظمهم. وسقطت مع وفاة عبد الناصر التجربة الناصرية كلها .. وسقط رجاله القلائل فى مايو ١٩٧١ سقوطاً سهلاً فى فم السادات «رجل كامب ديفيد» حيث قطع الطريق نحو خلق دولة فلسطينية ديمقراطية تقضى على الكيان الصهيونى وتشمل اليهود ضمن الوطن الفلسطينى مسقطة الدولة الإسرائيلية .

* لقد ارتبط التنظيم بالطبقة العاملة على أكثر من مستوى، فقد استطاعت الحركة الشيوعية المصرية بمختلف تنظيماتها صغيرها وكبيرها بأن يكون لها وجود لعناصر يسارية فى عدد من النقابات العمالية .. كنقابة النسيج بالقاهرة التى عرفت في قياداتها نجاتى عبدالمجيد أحد القيادات العمالية اليسارية الواعية وأحمد الجبالى وعبد الجواد القطان، ونقابة النسيج بشبرا الخيمة كمحمد شطا وفكرى الخولى وطه سعد عثمان المناضل المثقف الذي لعب دوراً رائداً هو وسيد عبد الوهاب ندا فى حركة الطلبة والعمال فى فبراير ١٩٤٦.

وكان من أبرز قيادات الحركة العمالية فى شركة الغزل الأهلية بالاسكندرية عبد المنعم إبراهيم فى الاربعينيات وإبراهيم نوفل فى حى كرموز ومحرم بك بالاسكندرية .. وفي الستينيات أبو العز الحريرى الذى أصبح عضوا بمجلس الشعب. وشحاته عبد الحليم فى النقل العام بالاسكندرية ومحمد الطرابشى فى النقل العام بالقاهرة .. ومحمود الخطارى الذى قاوم فى النقل العام بالقاهرة والذى قاوم إضراب الصاوى فى النقل أثناء أزمة مارس ١٩٥٤، وقاد الترام لتسيير القاطرات فى مواجهة الإضراب الذى دبره الصاوى مساندة للجناح المعادى للديمقراطية فى هذه الأزمة. وأحمد طه الذى أسس نقابة شركة ماركونى للتلغراف واللاسلكى وكان أحد قيادات الحركة العمالية ولعب دوراً فى محاولة تأسيس الاتحاد العام فى الخمسينيات وعضو مجلس الشعب عن دائرة الساحل لعدة دورات.

ولم يكن صدفة أن يتم حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ حيث جاء هذا الحريق لضرب حركة الكفاح المسلح فى القنال وإسقاط حكومة الوفد وعرقلة اجتماع اللجنة التحضيرية للاتحاد العام لنقابات مصر فى ٢٧ يناير ١٩٥٢. حيث تمت حركة اعتقالات واسعة مساء ٢٦ يناير ١٩٥٢.

وبعد قيام الانقلاب العسكرى فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حاولنا نحن الشيوعيين المصريين من

مختلف التنظيمات اليسارية أن تدعو للتحضير لانعقاد اللجنة التحضيرية لاتحاد نقابات مصر فى ديسمبر ١٩٥٢.

لذلك تم اعتقال ١٣ شخصاً وأودعوا السجن الحربى فى ١٥ ديسمبر ١٩٥٢ وهم حصراً الأسماء التالية :

أذكر منهم ..

١ - محمد على عامر (عامل نسيج بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى).

٢ - أحمد طه رئيس نقابة ماركونى سابقاً.

٣ - شحاته عبد الحليم عامل نقابى بالنقل العام بالاسكندرية وعضو «حدتو» والنجم الأحمر سابقاً.

٤ - سيد حسن عبده (محترف بحدتو)

٥ - عبد المنعم إبراهيم قائد عمالى بشركة الغزل الأهلية وأحد قيادات نحو حزب شيوعى مصرى

٦ - سعد عبد اللطيف الساعى أحد قيادات حدتو

٧ - فرج إسكندر أحد قيادات نحو حزب شيوعى - مثقف - ومترجم.

٨ - حمدى مرسى .. محام وعضو «بحدتو»

٩ - محمد على فهمى فخرى كاتب هذه الشهادة وأحد قيادات منطقة الإسكندرية لنحو حزب شيوعي مصري.

ويتم الإفراج عن هؤلاء مساء يوم ١٤يناير ١٩٥٣ نفس اليوم الذى تم فيه إلغاء العمل بدستور ١٩٢٣ وإلغاء الأحزاب السياسية.

والغريب أن عباس حليم أحد أفراد الأسرة المالكة كان أحد المعتقلين ضمن هذه المجموعة .. فقد كانت له اهتمامات بالحركة العمالية وصلت إلى محاولة منه لتأسيس حزب أسماه حزب العمال.

* بالنسبة لدور التنظيم وسط الفلاحين كان دوراً ضعيفاً، ولم تبرز قيادات فلاحية (أى عمال زراعيين أو صغار ملاك) ولكن كان هناك مثقفون يساريون ارتبطوا بالريف وارتبطوا

بالحركة الشيوعية هم من أبناء الفلاحين وارتبطوا سياسياً بأبناء قراهم ونجوعهم.

ولكن أيضاً عاش بعض المحامين والمثقفين بالريف ولعبوا دوراً لنشر الفكر اليسارى وسط الفلاحين .. وكان أحمد سليم (فلاح) من حدتو ولعب محمد شطا دوراً فى الريف بقريته .. وكذلك عريان نصيف والشيخ عراقى وعطية الصيرفى وعبد الله الزغبى المحامى وطاهر عبد الحكيم وعدد آخر لاتسعفنى الذاكرة بحصرهم.

* كان لإصدارات التنظيم دورها فى نشر الثقافة الماركسية ونوعية أعضائه بها فقد كان يصدر بعض المجلات التنظيمية والجماهيرية والدراسات فمن أهم ما أصدرته نواة الحزب الشيوعى المصرى هى نشرة شبه دورية تحت اسم «إلى الأمام فى سبيل تكوين حزب»

ولعبت هذه النشرة التى خصصتها «نواة الحزب» مفتوحة لكل الشيوعيين من أجل الوحدة وطرح حوار أيديولوجى واسع مع منظمة النجم الأحمر ونحو الحزب الشيوعى المصرى ووحدة الشيوعيين والتيار الثورى الخارج عن حدتو فى بداية الخمسينيات بقيادة بدر.

وأدت فى النهاية إلى خلق وحدة «الحزب الشيوعى المصرى الموحد» وفى بداية هذا الاتفاق شكلت الوحده من قيادات هذه التنظيمات الذين لم تشملهم حركة الاعتقال والسجن، ولعب محمود أمين العالم دوراً بارزاً فى هذه الوحدة ..

ولكن ارتكبت هذه اللجنة خطأ فادحاً بأن سمحت بالتنازل عن دورها ونقل عملية الوحدة داخل «سجن مصر» تحت ضغط قيادة حدتو التى كانت تدافع عن خط آخر للوحدة ترى فيه أنها الأم التى تمردت عليها هذه التنظيمات ويجب عودتهم إلى «رحمهم» الأول «حدتو».

وكان مبرر «حدتو» لسحب لجنة الوحدة إلى السجن هو وجود معظم أعضائها إن لم يكن جميعهم داخل السجن والمعتقلات ..

ولكن كان تراجع «حدتو» عن شعار عودة أبنائها هو مكسب حققه شعار النواة فى تأسيس الحزب ..

ولكن مجرد دخول الوحدة إلى داخل سجن مصر ساد منطق التمثيل النسبى للقيادة بدلاً من شعار الانتخاب للقيادة ..

نعم تنازلت حدتو عن منصب السكرتير العام للحزب وتركته كى يشغله «عدلى جرجس» المسئول السياسى لمنظمة «النجم الأحمر» وقبلت تجميد عضوية يونس بالحزب «الشيوعى

المصرى الموحد » حيث كانت هذه تحفظات أو ضمن تحفظات كل من النواة والنجم الأحمر ووحدة الشيوعيين ونحو حزب شيوعى، وخسرت بذلك نواة الحزب شعار المؤتمر العام الذى يتوج الحوار على صفحات نحو «حزب شيوعى مصرى» وخسرت أيضًا استكمال الوحدة بعيدًا عن مزايدات السجون وعزلة القيادات فيها عن الحركة الجماهيرية اليومية وأجلت الوحدة مسألة انعقاد المؤتمر لحين الإفراج عن المعتقلين فى داخل معتقل أوردى ليمان أبو زعبل ..

وحتى بعد الإفراج العام عن المعتقلين فى مايو ١٩٥٦ أجلت مسألة المؤتمر العام لهذا الحزب تحت ضغط الظروف السياسية الجديدة وهى تأميم القنال والعدوان الثلاثى ثم الوحدة مع منظمة الراية وتشكيل «الحزب الشيوعى المصري المتحد» ثم دخول منظمة «حزب العمال والفلاحين» فى ٨ يناير وسمى بحزب ٨ يناير الذى لحقته محنة الاعتقالات فى حملتى يناير ١٩٥٩ وحمله مارس فى نفس العام حيث وجه عبد الناصر أعنف الضربات للحركة الشيوعية المصرية ومارس ضدها أبشع أنواع التعذيب الذى سقط فيه عدد من الشهداء على رأسهم شهدى عطية الشافعى وآخرون ..

وعاد الوجه الانقسامى من جديد كى يؤكد أن أسلوب الوحدات الاندماجية دون حوار ينتهى بمؤتمر عام وانتخابات للقيادات ليس هو الأسلوب الأمثل .. وتنتهى المهزلة بكارثة حل الحزبين الرئيسيين فى الحركة الشيوعية المصرية.

ومن أبرز الدراسات التى قدمت من منظمة الطليعة الشيوعية التى هى استمرار لنواة الحزب وأشقاءها الصغار هى الدراسة التى قدمت باسم «فوزى جرجس غطاس» تحت اسم دراسات فى السياسة المصرية حيث تعرضت لتحليل شامل لتاريخ مصر السياسى والطبقى منذ الحملة الفرنسية على مصر ..

وأثرى هذا الكتاب أو هذه الدراسة الحركة الفكرية اليسارية فى مصر بل برز كأفضل الدراسات السياسية والتاريخية التى صدرت فى مصر فى الخمسينيات وتلقفها قسم التاريخ بجامعة القاهرة تحت إشراف محمد أنيس كجزء من الدراسات التى قررت لهذا القسم وأصبحت مرجعًا أساسيًا لأى دارس فى تاريخ مصر السياسى بجانب كتب الرافعى وتطور الحركة الوطنية فى مصر لشهدى عطية الشافعى.

* بالنسبة للمقومات الأساسية كانت منظمتا النواة (نواة الحزب الشيوعى المصرى - ونحو

حزب شيوعى مصرى) ترى أن استراتيجية الثورة المصرية من قضية الثورة الاشتراكية. هى أنها ثورة واحدة. فالبرجوازية الوطنية فى العالم بعد نجاح الثورة الاشتراكية وقيام معسكر اشتراكى ونجاح الثورة الصينية وفيتنام وكوريا الشمالية ..

فمهام الثورة الوطنية أصبحت جزءاً من مهام الطبقة العاملة فى البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة.

فالثورة الصينية بدأت على الفور أثناء معاركها فى مواجهة الإمبريالية والرجعية المحلية المتحالفة معها فى إنجاز مهام الثورة الوطنية وتحقيق الاستقلال كجزء من الانتقال إلى الاشتراكية .. فالحزب الشيوعى الصينى قد ألقى على عاتقه مهام الثورة الوطنية وتحرير الأرض كجزء من مهام الثورة الاشتراكية بعد أن ألقت البورجوازية علم النضال الوطنى.

وفى مصر عجزت الرأسمالية الوطنية عن إنجاز مهامها فى إقامة ثوره بورجوازية من النمط القديم الذى ساد أوروبا فى القرون الثلاثة الماضية ولافصل إذن بين مهام الثورة البورجوازية ومهام الثورة الاشتراكية من السذاجة أن نقول إن على الأحزاب الشيوعية فى البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة أن تدعو البورجوازية الوطنية الذى انحصر طموحها الثورى فى إطار أن تصبح جزءاً من النظام الرأسمالى العالمى ولن يسمح لها فى إطار هذا النظام فى إنجاز مهام ثورة بورجوازية من النمط القديم.

فالثورة المقبلة كانت بالضروره ثورة وطنية ديمقراطية تفتح الطريق بالضرورة نحو التحول للاشتراكية ..

وأصبح قبولاً ساذجاً للغاية أن تستجدى الأحزاب الشيوعية الرأسمالية المحلية أن تخوض معها معارك الوطن المسلحة لإنجاز ثورتها البورجوازية ...

فالثورة أصبحت بالضرورة فى البلدان التابعة هى ثوره اشتراكية مرحلتها الأولى هى تحقيق الاستقلال الوطنى لإقامة الاشتراكية .. وليس لإهداء الاستقلال الوطنى لشرائح البورجوازية العليا كى تعود بهذا الاستقلال للتبعية أو للتحالف مع الإمبريالية.

فهى ثورة واحدة على مرحلتين دون فصل بينهما مادامت قيادتها قد قامت بها الطبقة العاملة.

وهكذا تخضع البرامج المرحلية لرؤية البرنامج الاستراتيجى للثورة وهى دائما قابلة للتطوير

لهذا اليمين الذى يفتح أبواب مصر اليوم للهيمنة الرأسمالية ولرأس المال الأجنبى والعربى .. إنها الثورة المضادة المعادية للديمقراطية والتحول الاشتراكى.

* بالنسبة لدورى التنظيمى والمستويات التى شاركت فيها فقد تمثل فى : عضوية لجنة منطقة الإسكندرية فى نحو حزب شيوعى القديمة ٤٩/ ٥٠-١٩٥١.

ثم عضوية لجنة منطقة الإسكندرية لنواة الحزب الشيوعى المصرى ١٩٥٣ / ١٩٥٤

ثم كمسئول سياسى لمنطقة بورسعيد عام ١٩٥٤

ثم كمسئول سياسى فى بورسعيد عام ١٩٥٦ أثناء الكفاح المسلح فى بورسعيد لمنظمة الطليعة الشيوعية.

ثم عضوية حزب ٨ يناير فى معتقل الواحات الخارجة فى بدايات الستينيات حتى رفضت حل هذا الحزب عام ١٩٦٥.

بالنسبة لتقييمى لدور المحترفين فى التنظيم، والموقف منهم

أولاً : المحترف الثورى هو كادر الحزب الذى هيأته الخبرة النضالية الشاملة، وتمتعه بقدرة تميز بها على هضم وفهم وإيمان عميق بمقومات الحزب الأساسية. وحصوله على أرقى المستويات فى فهم وهضم الماركسية اللينينية فهمًا عميقًا وشاملاً .. وأظهرت قدراته النضالية قدرته على النضال المتصل من أجل الثورة .. فيصبح بذلك وبالضرورة أن يعطى كل الوقت للثورة التى أصبحت ترتبط تمامًا بمصيره الشخصى، ويحتاج الحزب لقدراته هذه أن يتفرغ تمامًا لها .. فعلاقته بالحزب والثورة أصبحت علاقة مصيرية وهب لها حياته.

وليس شرطًا على الإطلاق أن يكون هذا المحترف الثورى عاملاً فى أحد المصانع .. بل الشرط أن يكون قد أعطى حياته كلها لقضية الثورة وحصل على ثقافة ثورية وتلقى فى مدارس الكادر الفكر الماركسى منذ إعلان البيان الشيوعى وأدبيات الثورات الاشتراكية فى العالم وقادراً على نقل هذا الفكر ومقومات الحزب للجماهير العريضة وقادراً على القيادة الحزبية ونقل خبرته وثقافته لمستويات الحزب المختلفة.

وبالطبع لم يتوفر مثل هذا الكادر المحترف للحركة الشيوعية المصرية نظراً لتواجد ظاهرة الانقسامات الرهيبة .. التى سادت الحركة الشيوعية المصرية ..

واعتمدت بعض التنظيمات الشيوعية فى مصر على أن تختار محترفيها من العمال والنقابيين.. دون إعدادهم إعداداً كافيا نظرياً ونضاليًا على العمل الثورى .. وبذلك ارتبط ولاء الكثيرين منهم بالدفاع عن قيادة التنظيم التى توفر له الأجر أو المقابل المادى للاحتراف.. فكان معظمهم ولا أقول كلهم فى حالة تبعية كاملة لقيادة التنظيم .. وربما كان هذا التدهور فى مستوى الاحتراف أحد الأسباب الرئيسية لظاهرة الانقسامية فى الحركة الشيوعية المصرية.

فلقد شاهدت الحركة الشيوعية المصرية نوعيات من المحترفين كثيرة من هذا الطراز ..

وفى الأصل المحترف الثورى هو عصب الحزب القادر على النبض والإنجاز الشامل .. وينال إعجاب الجماهير وثقتهم وقدرته على القيادة الجماهيرية العريضة .

ولكن لم تخلو الحركة الشيوعية المصرية من قلة من المحترفين نالوا احترام كادر وأعضاء الحركة الشيوعية المصرية وأعطوا حياتهم كلها للعمل النضالى ودفعوا كل سنوات عمرهم فى العمل النضالى وسجون ومعتقلات مصر.

* كان موقفى من وحدة ٨ يناير والانقسامات التى أعقبتها هو الرفض لهذه الوحدة الإندماجية .. دون أن يسبقها حوار شامل على صفحات نشرة مشتركة لنقاط الخلاف حول المسائل الاستراتيجية والمرحلية، على أن يتم تنسيق فى مجالات العمل فى نقاط الاتفاق تحت إشراف لجنة إدارة الحوار أو لجنة تنسيق بين التنظيمات. فلقد حدثت وحدة اندماجية عام ١٩٤٥ بين «إسكرا» والحركة المصرية للتحرر الوطنى سرعان ما تعددت منها الانقسامات المؤسفة بداية من عام ١٩٤٨ فى مؤتمر عمالية ثورية ثم صوت المعارضة التى أدانت خط قوات وطنية ديمقراطية «لحدتو» الشهير والذى كان سبباً رئيسيًا للانقسامات التى أفرختها هذه الوحدة. ثم الوحدة الاندماجية بين نحو حزب شيوعى مصرى لاستمرار عمالية ثورية و«حدتو» سرعان ما انقسمت فى نفس عام ١٩٥٢ حيث كانت هذه الوحدة فى ديسمبر ١٩٥١ ثم الوحدة الاندماجية التى تجاهلت شعار الحوار الذى يجب أن يسبق الوحدة والذى أسست نواة الحزب من أجله جريدة من أجل تكوين حزب شيوعى مصرى ناشدت فيه الشيوعيين المصريين الكتابة بها. وكان ذلك عام ١٩٥٤.

ونقلت لجنة الوحدة من الشارع إلى السجن .. فكانت وحدة الحزب الشيوعى المصرى الموحد بين حدتو والنواة والنجم الأحمر ونحو حزب شيوعى مصرى.

وسرعان ما انقسمت فى نفس العام وخرجت الطليعة الشيوعية على هذه الوحدة الاندماجية نتيجة التأييد المطلق من حدتو لعبد الناصر.

ثم الوحدة الاندماجية للحزب الشيوعى المصرى المتحد التى تمت بين منظمة الراية (الحزب الشيوعى المصرى) والموحد (حدتو).

وفى ٨ يناير أعلن (حزب ٨ يناير) شاملاً فى وحدة اندماجية الحزب المتحد ومنظمة حزب العمال والفلاحين .. وظلت الطليعة الشيوعية بعيدة عن هذه الوحدة مستمرة فى رفع شعار إلى الأمام فى سبيل تكوين الحزب رافضة التأييد المطلق لنظام عبد الناصر.

لذلك ظللت أرى أن الطريق الوحيد لمعالجة الانقسامات المريرة بالحركة الشيوعية المصرية هو الحوار أولاً والنشرة المشتركة والتنسيق فى نقاط الاتفاق وينتهى بمؤتمر عام منتخب انتخاباً عاماً بعيداً عن الحلقية وحائطها المرير .. كان فى رأيى هذا هو الطريق الوحيد الذى يخلق حزباً موحداً بالفعل يقدس مبدأ المركزية الديمقراطية ويؤكد مبدأ الانتخاب وحق الاختيار للقيادات القاعدية والمركزية.

إن أخطر خط انقسامى ساد فى الحركة الشيوعية المصرية هو الخطر الوارد من «حدتو» تحت شعار أنها الأم الرؤوم .. وتحت زعم أن عبد الناصر يقود مجموعة اشتراكية فى قمة السلطة؟! تحل الأم الرؤوم نفسها كى تضع نفسها وكل كادرها وأعضائها تحت القيادة الناصرية فيما سمى التنظيم الطليعى وساهمت بذلك فى انهيار التجمع الآخر لحزب يناير فى اللحاق بها تحت العباءة الناصرية .. بل زعمت «حدتو» أن عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة والمسئول الأول عن عار النكسة أو الهزيمة العسكرية المريرة فى يونيه ١٩٦٧ هو أهم قيادات المجموعة الاشتراكية فى قمة السلطة.

* بالنسبة للموقف من اليهود والأجانب فى الحركة الشيوعية

نجد أنه مع تجمع اليهود والأجانب الشيوعيين المقيمين بمصر بدأ فيما سمى بحركة السلام عام ١٩٣٦.

وهناك ملحوظة هامة يجب إبرازها أولاً وهى

أن الحزب الشيوعى المصرى الذى تأسس عام ١٩٢٤ - أى الجيل الأول للحركة الشيوعية كانت معظم قياداته وكوادره من المصريين .. وضم كل من الدكتور حسونة حسين وأنطون

مارون الذى استشهد فى سجن الحضرة بالاسكندرية وشعبان حافظ والشيخ صفوان ومحمد عبد العزيز ومحمد عمر مقبل والشحات إبراهيم والعتال وغيرهم .. ولم يضم فى قيادته أجانب بارزين سواء يهود أو غيرهم ..

ولقد لعب هؤلاء الأجانب دوراً بارزاً سواء يهود أو غيرهم فى بدايات الحرب العالمية الثانية فى إعادة تأسيس الحركة الشيوعية بمصر.

والغريب أنهم لم يبدأوا معاً، فشاهدت عملية التأسيس ثلاثة تنظيمات قادها الأجانب فى البداية :

١ - «الحركة المصرية للتحرر الوطنى» بقيادة «هنرى كوريل» اليهودى الأجنبى

٢ - «الاسكرا» وهى الشرارة بقيادة «شوارتس» وآخرين من الأجانب.

٣ - «وديمقراطية شعبية» (داش) بقيادة ريمون دويك وأحمد صادق سعد الذى أشهر إسلامه ويوسف درويش.

وليس هناك شك أن معظم هؤلاء اليهود الأجانب لعبوا دوراً أساسيًا فى خلق التيارات الإشتراكية الماركسية من بداية الأربعينيات ولا أحد يعصم اتهامات محددة فى مواجهتهم .. فلقد لعب أحمد صادق سعد دوراً فكريًا رائداً .. وصدرت له دراسات متعددة وأشهر إسلامه وضمته السجون والمعتقلات المصرية هو ويوسف درويش وريمون دويك وهنرى كوريل لسنوات طويلة .. وواجه «كوريل» عملية طرده من مصر بقرار من عبد الناصر فى بدايات الخمسينيات وعاش بعد ذلك فى باريس ولعب دوراً فى مساندة الثورة الجزائرية فى فرنسا .. وتم اغتياله فى باريس فى أسانسير منزله بباريس .. وقيل بعدها أن هذا الاغتيال الغامض تم بواسطة منظمة سرية تابعة للشرطة الفرنسية .. وأنصح بقراءة ما كتبه إبراهيم فتحى عن أوراق كوريل .. صدر فى بيروت منذ عدة أعوام.

ويصعب بإحساس كامل بالمسئولية إلقاء الاتهامات جزافًا، وإن كانت الشكوك والشبهات قد أصابت بعض كوادر الحركة الشيوعية المصريه بعدم الارتياح نحو «هنرى كوريل» بالذات وفى وحدة الحزب الموحد فى بداية الخمسينيات أصرت قيادات التنظيمات التى شملتها الوحدة مع «حدتو» على تجميد عضوية «يونس» وهو الاسم الحركى لهنرى كوريل.

وإن صدقت مقولة أن جهازاً سريًا فى الشرطة الفرنسية الذى هو الذى «نفذ» عملية

اغتيال «كوريل»، فأقول إنه أحياناً تلجأ أجهزة المخابرات العالمية للتخلص من أخلص رجالها لقطع خيوط محددة تشير لها ...

وهناك أيضاً كتاب رؤوف عباس الذى تناول «هنرى كوريل» وأوراقه الذى أنصح أيضاً بقراءته. ولعلنى كنت أرى دائما داخل الحركة الشيوعية المصرية أن لا يشغل أحد من هؤلاء الأجانب خاصة اليهود منهم المناصب القيادية المركزية أو الوسيطة فى الحركة الشيوعية خاصة فى ظروفها السرية.

والملفت للنظر أن أغلبهم كانوا أثرياء وساندوا الحركة الشيوعية المصرية بأموالهم وأسسوا مكاتب ودور نشر ولعبوا دوراً فى الترجمة للفكر الاشتراكى العالمى للعربية.

وعلى أية حال فلقد انقرض هؤلاء والوحيد الذى مات فى مصر هو «أحمد صادق سعد» الذى أثرى الفكر الاشتراكى فى مصر والذى ظل متواجداً بمصر هو «يوسف درويش».

بالنسبة لدورى فى المعارك الجماهيرية السياسية والنقابية وأنشطة التضامن القومى والأممى التى شارك فيها التنظيم فقد التحقت بالعمل فى بداية تخرجى فى سبتمبر ١٩٥١ بشركة الغزل الأهلية بالاسكندرية ثم فصلت فى معركة تغيير اللجنة النقابية ضمن «قائمة» ضمت ثمانين من العاملين بالشركة. فالتحقت بعد ذلك بشركة الحرير الصناعي بكفر الدوار وكان ذلك فى ديسمبر ١٩٥١، وبدأنا نناضل من أجل تشكيل اللجنة التحضيرية للانعقاد وبالاسكندرية بذلت جهداً فى هذا المجال .. وتحدد موعد للانعقاد لهذه اللجنة فى ٢٧ يناير ١٩٥٢ ... وجاء حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ مما أدى إلى إعلان الأحكام العرفية واعتقال الشيوعيين المصريين بما فيهم النقابيون اليساريون مساء ٢٦ يناير ١٩٥٢، وبذلك تعطل انعقاد اللجنة التحضيرية .. وظللت بمؤتمر النزهة البحرى بالإسكندرية وتم الإفراج عنى فى مايو ١٩٥٢ وألغى انعقاد مؤتمر عمال مصر..

وبعد أحداث كفر الدوار وإعدام «خميس والبقرى» فى هذه الأحداث بدأنا الإعداد مرة أخرى لانعقاد اللجنة التأسيسية لاتحاد نقابات مصر وفجأة تشن مباحث أمن الدولة (البوليس السياسى سابقاً) حملة اعتقال شملت ستة من الإسكندرية، وسبعة من القاهرة وذلك مساء يوم ١٥ ديسمبر ١٩٥٢ وكنا أول مدنيين يعتقلون بالسجن الحربى بالقاهرة ..

وفى داخل السجن الحربى زارنا النقيب «وفاء حجازى» من مكتب اللواء/ محمد نجيب

والذى أصبح بعد ذلك سفير مصر فى موسكو أثناء حكم عبد الناصر لإجراء تحقيق معنا بعد أن كتبت الصحافة العالمية خبر اعتقالنا ونشرت جريدة «الصراحة» السودانية الخبر فى صدر الصفحة الأولى من أحد أعدادها وهددنا يومها بأنه لن يسمح بعد ذلك بالنشاط الشيوعى فى مصر وتم الإفراج عنا فى ١٥ يناير ١٩٥٣ من السجن الحربى بالقاهرة.

وتقدمت للنيابة فى أكتوبر ١٩٥١ فى توقيعات نداء برلين للسلام الذى وزعته لجنة السلام المصرية وخرجت بكفالة «جنيهين».

* بالنسبة لموقفى من الاحتلال الإنجليزى فى مراحله المختلفة حتى اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤ ،وماشهده عام ١٩٥١ من نضال مسلح فى القناة أقول أنه قبل أن تلغى حكومة الوفد بقيادة الزعيم الوطنى الديمقراطى «مصطفى النحاس» معاهدة ١٩٣٦.

كان الشعار السائد قبل هذا القرار التاريخى الرائع هو ألا مفاوضة إلا بعد الجلاء .. وكانت الحركة الوطنية للطلبة والعمال عام ١٩٤٦ قد شجبت مفاوضات (صدقى بيفن) وما أعقبها من مفاوضات بقيادة محمود فهمى النقراشى.

وتطور شعار لا مفاوضة إلا بعد الجلاء فى أعقاب إلغاء المعاهدة إلى بداية الكفاح المسلح فى القنال عام ١٩٥١.

وهنا بدأت أزمة سياسية فى النظام خطيرة للغاية..

فالجماهير بتلقائيتها الوطنية والثورية رافضة أن تحكم بالأساليب القديمة، وترفض التدهور الذى أصاب النظام الملكى والفساد وأحزاب الأقلية الملتفة حوله .. وخط التهادن والتبعية للإنجليز.

وعجزت التنظيمات السياسية اليسارية (الشيوعية) أن تلعب الدور الرئيسى فى حل هذه الأزمة لصالح حركة ثورية تطور معركة الكفاح المسلح بالقنال تحت قيادتها وتسقط النظام الملكى الرجعى المتحالف مع الاستعمار البريطانى العالمى .. ويلحق مصر بالطريق الثورى الذى ساد الصين وجنوب شرق آسيا ..

وبذلك سنحت الفرصة الكاملة للقوات المسلحة (تنظيم الضباط الأحرار) كى يحل هذه الأزمة السياسية للنظام .. فالجماهير ترفض بتلقائيتها الوطنية أن تحكم بالأساليب القديمة،

والنظام الملكى وأحزاب الأقلية المساندة له عاجزة عن ممارسة سلطتها بهذه الأساليب المفضوحة بتبعيتها للاستعمار هى والملك .. ففتح الطريق أمام العسكريين لإحداث الانقلاب العسكرى فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

وفرضت المسألة الوطنية والاحتلال نفسها على قادة الانقلاب حيث بدأ دور عبد الناصر يبرز بعد أزمة مارس ١٩٥٤، وتخلص من العناصر العسكرية التي لعبت دوراً رئيسياً فى حدوث الانقلاب العسكرى وعلى رأسها «محمد نجيب» رئيس الجمهورية .. وقدم «يوسف صديق» الضابط اليسارى وعضو «حدتو» استقالته من مجلس قيادة الانقلاب (الثوره).

وتم اعتقال معظم العناصر اليسارية والشيوعية ومحاكمات عسكرية لعدد منهم وخلقت محاكم لأمن الدولة، وأصدرت أحكامًا قاسية ضد بعض قيادات الحركة الشيوعية المصرية وصلت إلى عشر سنوات أشغال شاقة ولأول مرة يتم نفى المسجونين الشيوعيين فى معسكر «جناح» بالخارجة (الوادى الجديد) وسجن مصر القديم وسجن الحضرة بالاسكندرية وأودع المعتقلين السجون المصرية والليمانات.

ولعبنا دوراً هاماً فى تشكيل لجان المقاومة الشعبية أثناء الكفاح المسلح عام ١٩٥١ وسافر عدد من زملائنا إلى منطقة القنال .. وكان الحصول على السلاح عملية شاقة وبدائية، حيث كنا نصنع قنابل «مولوتوف» فى زجاجات صغيرة وتم شراء بعض المسدسات والبنادق من عرب الصحراء غرب الإسكندرية وسافر عبد الفتاح إبراهيم خجاج عضو لجنة منطقة الإسكندرية لنحو حزب شيوعى مصرى إلى الإسماعيلية وقبض عليه هناك بعد حريق القاهرة واعتقل وزملاؤه هناك ونقلوا إلى معتقل الهايكستب..

وفى أزمة مارس ١٩٥٤، اختفى «خالد محيى الدين» مساء ٥ مارس فى منزل صديق له يدعى «محمود عبد» كما جاء فى مذكراته فى كتاب «الآن أتكلم» وظل مختفيًا حتى انتهت أزمة مارس لصالح عبد الناصر بافتعال طعيمة والطحاوى لإضراب مفتعل فى النقل العام بقيادة نقابى أصفر مشهور وهو «الصاوى» وقام زملاء بتسيير عدد من عربات الترام وسيارات النقل العام لقطع الطريق على الصاوى وضباط عبد الناصر .. بقيادة «محمود القطارى» عامل النقل اليسارى... ولم يعد خالد محيى الدين للقاهرة إلا بعد أن استطاع عبد

الناصر كسب أزمة مارس وتصفيتها لصالح المجموعة الرافضة للديمقراطية ولعودة الكفاح المسلح فى القنال .. وهكذا تخلى «خالد محيى الدين» عن زملائه فى سلاح الفرسان وعن الجماهير العريضة التى التفت حوله. ورفض الرجل أن يدخل التاريخ برحيله للاسكندرية تم قبوله لعملية إبعاد أو نفى ترفيهى إلى جنيف وباريس وسعد خلالها كما قال فى المذكرات بلقاء «هنرى كوريل» على الحدود الفرنسية والسويسرية..

وتبنى عبد الناصر الشعار الرجعى القديم وهو المفاوضة قبل الجلاء الذى رفضه الوفد من قبل ورفضته جماهير مصر العريضة عام ١٩٥١ .. وبذلك وقف عبد الناصر على يمين الوفد وحركة الجماهير المصرية الرافضة للمفاوضة قبل الجلاء وقامت بالكفاح المسلح بالقنال.

وأبعدت كثير من العناصر الوطنية والديموقراطية بالقوات المسلحة عن الجيش خاصة من سلاح الفرسان المزعج لعبد الناصر ومجموعته. وكان منهم «محمود فؤاد المانسترلى» الضابط الشيوعى وعضو نحو حزب شيوعى مصرى وجمد موقف كل من محمد نجيب ويوسف صديق .. وحددت إقامتهم ..

وتبنى عبد الناصر الشعار الرجعى القديم وهو المفاوضة قبل الجلاء ... وإبعاد الدور الجماهيرى عن الساحة الوطنية ومعركة الاستقلال فكانت اتفاقية الجلاء مع الحكومة الإنجليزية فى أكتوبر ١٩٥٤. ورفضها اليسار المصرى كله .. تلك الاتفاقية التى تعلن بنودها كاملة ..

وبذلك استطاع عبد الناصر أن يقطع طريق الحركة الثورية والوطنية التى فرضت الكفاح المسلح بالقنال عام ١٩٥١. وبذلك قطع الطريق تماماً أمام احتمالات أن تلحق الحركة الوطنية المصرية بمثيلاتها فى آسيا والصين وفيتنام وكوريا حتى تحرم الحركة الوطنية بقيادة اليسار المصرى من طريق مسلح للتحرير ينتهى بثورة نحو التحول الاشتراكى.

ولعل السبب الرئيسى فى تدهور الموقف إلى هذا المستوى هو عجز الشيوعيين المصريين عن فرض الكفاح المسلح والتطور به من التلقائية إلى العمل المنظم تحت قيادتهم .. ومن أهم أسباب هذا التدهور هو انقسام الحركة الشيوعية المصرية على نفسها .. بشكل ليس له مثيل فى العالم .. وبذلك سقطت السلطة ومستقبل الحركة الوطنية المصرية على يد هؤلاء العسكريين وعلى رأسهم عبد الناصر نحو مصر المستقلة ونحو إقامة نظام رأسمالية الدولة بعد الاستقلال والعدوان الثلاثى.

* بالنسبة لموقف التنظيم وموقفى من القضية الفلسطينية

الحركة الصهيونية لعبت دوراً خطيراً فى خلق الكيان الإسرائيلى الذى زرعته القوى الاستعمارية الأمريكية والإنجليزية منذ وعد بلفور فى الحرب العالمية الأولى .

وكانت الضربة الموجهه للشعب الفلسطينى هو شعار التقسيم الذى ساهمت فيه دول المعسكر الاشتراكى وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى .. حيث تأثرت القيادة السوفيتية فى ذلك الوقت بالحركة الصهيونية العالمية .. فساندت التقسيم وقطعت الطريق تماماً على إمكانية بقاء الأرض الفلسطينية موحدة وتخلق دولة واحدة فلسطينية تشمل اليهود والفلسطينين..

ولم تدرك الدولة السوفيتية فى ذلك الوقت (عام ١٩٤٨) أن الهدف الاستعمارى من خلق الدوله الإسرائيلية كقاعدة عسكرية وترسانة مسلحة التى تهدد استقلال الدول العربية وحركاتها الثورية كى تظل الكيانات العربية تدور فى الفلك الاستعمارى ..

وهكذا شاهدت الأرض الفلسطينية عملية طرد وتهديد وإجبار على الهجرة لمعظم الشعب الفلسطينى. وهكذا أصبحت شعارات تقسيم الوطن العربى الفلسطينى هو مصدر كل الحلول للقضية الفلسطينية وظل هذا الانحدار سارياً بداية من عدوان عام ١٩٤٨ إلى التدهور نحو مبادرة السادات بعد الهزيمة المريرة عام ١٩٦٧ ثم مؤتمر مدريد وتعجز عملية التواجد الفلسطينى فى غزة داخل أحشاء السيطرة الإسرائيلية وعمليات الاستيطان المسلح حتى الحدود اللبنانية والسورية ..

وهكذا يذبل دور فتح كمنظمة نشأ دورها فى صراعات الخمسينيات والستينيات وحروبها ... وتفتح الطرق النضالية على الأراضى الفلسطينية المحتلة لمنظمات كحماس وحزب الله ذات الفكر السلفى وينحسر دور الجبهتين الشعبيتين المسلحتين الديمقراطية والشعبية إلى وجود رمزى غير مؤثر .. ويساند الدعم الإيرانى الإسلامى هذه الكيانات الفلسطينية المسلحة.

مما أدى إلى هذا التدهور الرهيب لمنظمة فتح بقيادة عرفات فى غزه المحاصرة كى تصبح كياناً فلسيطينياً رمزياً يخضع للتدخل اليومى لاسرائيل .. وبذلك تتم عملية إجهاض للثورة الفلسطينية .

لقد كانت بداية التنازلات هى عملية التقسيم القديمة وأن الخط الوحيد الذى يجب الدفاع عنه فى هذا الزمن الصعب .. هو خلق قيادة فلسطينية جديدة تشمل جبهه واسعة لمنظمة واسعة

تضم فتح والمنظمات الفلسطينية الأخرى .. وستظل القضية الفلسطينية هى القضية المحورية للشعوب العربية فى مواجهة الإمبريالية والاستعمار العالمى ..

وستظل القضية الفلسطينية هى محور النضال الوطنى الديمقراطى للشعوب العربية والشعب الفلسطينى .. حتى تتغير كثير من القيادات فى الكيانات العربية وتسقط عمليات التطبيع .. ويتم التنسيق بين المنظمات والاحزاب الثورية فى المنطقة العربية .. فالوحدة العربية هى وحدة طلائع الشعوب العربية فى مواجهة الحكومات العربية المتعاونة مع الدولة الإسرائيلية .. وفي مواجهة الاستعمار العالمي..

وهذا هو الطريق الصعب والشاق الذي قد تتضح معالمه فى القرن المقبل وسط متغيرات عالمية تسقط انفراد أمريكا بالعالم.

* بالنسبة لموقف التنظيم وموقفى من القيادات والأحزاب الأخرى قبل ثوره ١٩٥٢، كان التنسيق يتم قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بين اليسار المصري وحزب الوفد المصرى وشاهدت معارك لجنة الطلبة والعمال عام ١٩٤٦ وفى عامى ٥٠، ١٩٥١ نشأ داخل حزب الوفد تشكيل من الشباب الوفدى تأثر تأثراً كبيراً باليسار المصرى، تحت قيادة عزيز فهمى ومندور وإبراهيم طلعت، وسمى بالطليعة الوفدية وكان ارتباطهم بالزعيم الوطني الديمقراطى مصطفى النحاس ارتباطًا قويًا فى آخر برلمان وفدى عام ٥٠، ٥١، ١٩٥٢ وبمساندتهم وبالتنسيق مع اليسار المصرى أستطاع الوفد تحت هذه القيادة أن يلغى معاهدة ١٩٣٦ واجتاحت مصر حركة ثورية صاعدة وصلت بالنضال الوطنى إلى ذروته بالكفاح المسلح فى القنال . وبذلك تعمقت أزمة النظام الملكى وعانى من التمزق. فدخلت مصر مرحلة جديدة بسقوط النظام الملكى بواسطة انقلاب يوليو ١٩٥٢ العسكري.

* بالنسبة لموقفى من حركة أنصار السلام فى مراحلها المختلفة . فقد شاركت بالاسكندرية فى تشكيل لجان حركة السلام في نهايات عام ١٩٥١. وكان مقر قيادة حركة السلام فى شارع سعد زغلول بالاسكندرية.

وقد قبض علىّ فى حملة جمع التوقيعات على نداء برلين للسلام .. وخرجت بكفالة من نيابة «كرموز» قدرها جنيهان، وكانت لجنة قسم كرموز بالاسكندرية من أنشط لجان حركة السلام وضمت أعضاء قسم كرموز لمنظمة «نحو حزب شيوعى مصري» الذى كنت مرتبطاً به

فى هذه الفترة..

وجريدة الملايين التى كان يحررها اليساريون فى مصر لعبت دوراً هامًا فى دعم حركة السلام ونشر بياناتها.

ونجحنا فى هذه الفترة فى ضم «إبراهيم طلعت» أحد قيادات الطليعة الوفدية للجنة السلام بالاسكندرية.

* لقد كان للتنظيم موقفه من الإصلاح الزراعى فقد ساندت كل التنظيمات الشيوعية فى ذلك الوقت قوانين الإصلاح الزراعى لأنها كانت ضربة موجهة لكبار الملاك الزراعيين، وتوسيع قاعدة الملكية للأرض الزراعية بأمل خلق ملكية لجمعيات تعاونية لصغار الملاك المستفيدين من قوانين الإصلاح الزراعى.

وكان يهدف عبد الناصر من هذه القوانين أن يجبر كبار الملاك الزراعيين بأن يتجهوا بدخراتهم وأموالهم الطائلة إلى التنمية الصناعية.

ولكن هؤلاء الملاك لم يفعلوا ذلك بعد أن سقطت السلطة السياسية من أيديهم فهربت أموالهم إلى خارج مصر.

ولعل هذا أدى إلى أن يتخذ عبد الناصر إجراءات يوليو ١٩٦١ بتأميم الملكية الصناعية لصالح الدولة وحتى يمكن التنمية الصناعية فى مصر .. بصرف النظر عن تسميتها من قبل عبد الناصر.. ورجاله بالاشتراكية.

* كان موقفى من أحداث كفر الدوار هو إدانة مسألة إعدام خميس والبقرى ومهزلة المحاكمة التى أدت لإعدامهم .. ومن المؤسف أن لعبت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) بأن حمل بعضهم المكروفونات بقيادة عدد من رجال (حدتو) التى ساندت الإعلام .. وكان على رأسهم عبد المنعم إبراهيم والمرحوم عبد المنعم الغزالى وشحاته عبد الحليم وغيرهم.

وظل هذا الموقف لتنظيم حدتو موقف شجب وإدانة ورفض من تنظيمات الحركة الشيوعية فى مصر.

* كان للتنظيم موقفه من ضرب السلطة للإخوان المسلمين عام ١٩٥٤

فقد كان الشيوعيون موزعين على السجون والمعتقلات فى سجن بنى سويف وأسيوط والقلعة .. ثم أوردى ليمان أبو زعبل.

وقد دارت الشكوك حول حادث المنشية المعروف فى المؤتمر الجماهيرى الذى تم فى ميدان المنشية من مبنى البورصة القديم بالاسكندرية.

ولقد كنا قد تعودنا أن نحاول سماع خطب عبد الناصر المتكررة من راديوهات صغيرة كانت معنا فى معتقل سجن أسيوط .. وكان الخطاب من السابعة أو الثامنة مساء .. ولاحظنا قبل سماع الخطاب وخلاله .. قبل سماع طلقات الرصاص اضطرابًا فى صوت عبد الناصر .. وفجأة سمعنا الرصاص .. ثم تحول الخطاب إلى لهجة استشهادية تخاطب عواطف جماهير مصر.. وحضر هذا الخطاب «إسماعيل الازهرى» رئيس الحزب الاتحادى بالسودان .. وحتى هذه الفترة كان عبد الناصر لم يرتبط بعد بالحركة الجماهيرية العريضة ذلك الارتباط الذى حدث بعد تأميم قناة السويس.

وتنقل لنا الصحف فى الصباح محاولة الاعتداء التى وقعت على عبد الناصر من شخص من الإخوان يدعى (عبد اللطيف) وتم إعدامه بعد ذلك ..

وبعد أيام كانت جريدة أخبار اليوم وبقلم «مصطفى أمين» حيث كتب معبراً عن استخفافه بما يقوله البعض بأن الحادث عبارة عن مسرحية هزلية .. خاصة قصة المسدس الذى عثر عليه بواب بالميدان، رحل للقاهرة لمقابلة «عبد الناصر» بالقاهرة كى يسلمه المسدس وبصرف النظر عن سخرية مصطفى أمين من قول الناس إنها مسرحية ساذجة دبرها عبد الناصر وأجهزته وعدم منطقية أو معقولية عملية العثور على المسدس على أرض الميدان الكبير. فالذين عاصروا هذه الفترة كانوا يعلمون أن تنظيم الإخوان المسلمين وتشكيلاتهم لاتجد استجابة جماهيرية خاصة فى فترات المد الوطنى .. ففي أيام الكفاح المسلح وأثناء وجود الوفد فى الحكم بعد انتخابات عام ١٩٥١ .. ذبل دور الإخوان المسلمين تمامًا... نعم شارك بعض شبابهم فى معركة الكفاح المسلح بالقنال .. ولكن كان حزب الوفد والتجمعات الشبابية الوفدية فى الطليعة الوفدية بالتحالف مع القوى اليسارية والديمقراطية قادرة على تحجيم دور الإخوان ووضعها فى حجمها الحقيقى عديم التأثير على الجماهير.

فانتخابات الخمسينيات في مصر شاهدت سقوط «حسن البنا» فى الانتخابات وكل من رشحوا أنفسهم فى الانتخابات .. خاصة انتخابات ١٩٥٠ التى جاءت بالأغلبية الوفدية والتى أجريت بنزاهة تحت قيادة حكومة «حسين سرى» .

إن توجيه الضربات للحركات الدينية سواء كانت الإخوان وتنظيمها السرى المسلح فى ظل غيبة الديمقراطية .. ليس هو الأسلوب الأمثل لتصنيفها .. كما حدث فى محاكمات عبد الناصر «للإخوان» والتى أدت إلى إعدام عبد القادر عوده وقطب وغيرهم ولم تجد استجابة أو تعاطف جماهيرى أو مساندة للسلطة ..

إن كسب الجماهير للديمقراطية وممارسة الحريات هى الطريق الوحيد لوضع هذه الجماعات الإرهابية فى حجمها الحقيقى وسط الجماهير .. فهى جماعات تفتقر تماماً لبرامج لها معاصرة لحل مشاكل الجماهير اليومية والقومية بعد الحرب العالمية الثانية حتى شهدت مصر عصيان كل فئات الشعب حتى إضراب الشرطة فى ٥ .٦ ابريل عام ١٩٤٨.

* كان لنا فى التنظيم موقف من مؤتمر باندونج وصفقه الأسلحة التشيكية عام ١٩٥٥ حيث كان عبد الناصر يهدف بتواجده فى مؤتمر باندونج هو وسيكوتورى وأحمد سوكارنو ونهرو هو المشاركة فى خلق قوى ثالثة فى العالم .. وسميت بعد ذلك بجبهة أو كتلة عدم الانحياز.

فهو يريد أن يحصل أو يحافظ على استقلال مصر بعيداً عن الهيمنة والسيطرة الاستعمارية.

وأيضاً الاستفادة من مساندات ودعم المعسكر الاشتراكى مع الحفاظ على معادات الشيوعية .. واستند عبد الناصر فى ذلك على أن الاتحاد السوفيتى ودول المعسكر الاشتراكى كانت ملتزمة التزاماً مبدئياً بمساندة ودعم حركات التحرر الوطنى والدول النامية حديثة الاستقلال.

إذن لم تكن الصفقة التشيكية لمصر إلا دعماً لمصر للحفاظ على استقلالها.

لذلك اقتصرت هذه الصفقة على أسلحة دفاعية للدفاع عن أرض الوطن فى حالة تعرض مصر للعدوان .. خاصة من إسرائيل المدعومة عسكرياً من دول المعسكر الاستعمارى وعلى رأسها أمريكا.

وتطور بعد ذلك الدعم التسليحى بعد الهزيمة العسكرية عام ١٩٦٧ خلال حرب الاستنزاف ثم فترة الإعداد لحرب أكتوبر ١٩٧٣ .. حيث أعيد تسليح الجيش المصرى إعادة كاملة بأحدث الأسلحة على فاتورة حساب شعوب الدول الاشتراكية والشعب السوفيتى.

* بالنسبة للموقف من تأميم قناة السويس .. كان هذا هو الإجراء الذى كان يجب أن

تتخذه القيادة السياسية بقرار عبد الناصر .. حتى يصبح دخل قناة السويس دخلاً هامًا وأساسيًا كى تواجه به مصر احتياجات التنمية، وللسيطرة السيادية على هذا الممر الاستراتيجى وحتى لا يتخذ كمعبر مائى لاحتلال مصر بعد جلاء القوات البريطانية عنها .. كما حدث عام ١٨٨١ أثناء الثورة العرابية .. وأيضًا لحماية الشواطئ العربية فى البحر الأحمر وباب المندب من التدخلات الاستعمارية المسلحة، ولقد ساندت الحركة الشيوعية فى مصر بمختلف تنظيماتها قرار عبد الناصر بتأميم قناة السويس .

وبالرغم من كل هذه التحديات التى واجه بها عبد الناصر المستعمرين وإسرائيل، حرص عبد الناصر على عدم تسليح الجماهير تسليحًا حقيقيًا.

وخلق عبد الناصر معسكر «طريحر» بالشرقية لتدريب متطوعى اليسار المصرى كى يكونوا تحت أبصار نظامه ورجال أمن الجيش والدولة، ولا يسمح لليسار بالتطوع فى أى مراكز تدريب أخرى ..

ولم تسلح الجماهير المشتعلة حماسًا للقتال حتى وقع العدوان الثلاثى؟! ولقد أرفقت فى هذه الشهادة التى أصدرتها حركة المقاومة الشعبية فى بورسعيد حيث كنت وقتها مسئولاً سياسيًا لمنظمة نواة الحزب الشيوعى المصرى وتزامل معى أعضاء من الحزب الشيوعى المصرى الموحد. (مرفق بيانات المقاومة الشعبية وجريدة الانتصار)

والزملاء الشيوعيون الذين حملوا المسئولية معى فى بورسعيد هم : إبراهيم هاجوج وأحمد شوقى المرجاوى وصالح دهب صالح (وهو الآن عضو قيادى ومحترف ثورى بالحزب الشيوعى السودانى) وعبد المحسن الحفناوى وأحد القيادات النقابية لشركة «إسو» للبترول وأسرة دكتور «نصر حمروده» زميلنا فى منظمة نواة الحزب، حيث لعبت والدته دوراً كبيراً فى حماية وإيواء مقاتلى المقاومة الشعبية داخل الحى الأفرنجى. واستشهد فى المعركة نجلها الأصغر «حسن حمروده» الذى لم يتجاوز عمره الخامسة عشر بطلقات رشاش أحد جنود الاحتلال. وصمدت هذه السيدة المقاتلة ولم تزرف دمعة واحدة وهى تحمل نجلها إلى مقابر المدينة من غرفة الاستقبال بالمستشفى الأميرى بالحى الأفرنجى،

وكذلك أرفقت مع هذه الشهادة البيانات المعادية التى أصدرتها التجمعات الرجعية والعملاء، والتى دارت الشكوك والشبهات فى أن الذى أشرف على إصدارها اللواء (حسن

رشدى) مفتش مباحث أمن الدولة فى بورسعيد، والذى أطلق عليه «الجنرال» فى قوات الإحتلال قبل الجلاء .. ولعل المحافظ محمد رياض محافظ بورسعيد كان يعلم تمامًا دور الجنرال «حسن رشدى» وبعض هذه البيانات المعادية أسقطتها طائرات العدوان الثلاثى البريطانية .. وجزء من بياناتنا كانت تصدره الجالية السودانية فى بورسعيد بقيادة صالح دهب صالح .. وكان مقر غرفة العمليات بقيادة المحافظ فى الدور الرابع فى البيت الحديدى أمام محل «جيانولا الحلوانى» بالحي الافرنجى ولاتشاهد غير طائرات العدوان وهى تقذف المدينة والمقاومة ولا تعلم شيئا عن المقاومة.

وصباح اليوم الأول للعدوان تم ضرب سجن بورسعيد الذى يقع أمام «معسكر الجولف» فى نهاية طريق المعاهدة ونهاية شارع محمد على وخلف الإدارة الهندسية لمرفق المجارى ومحطة الكهرباء، وأصيبت «زنزانتان» فى الدور العلوى للسجن مات بداخلهما ما يقرب من عشرين سجينًا.

وكان مأمور السجن قد غادر المدينة. والتقيت ومعى عدد من رجال المقاومة ببورسعيد «بالرائد» علاء الرجل الثانى بالسجن وطلب منى مساعدته فى فتح أبواب السجن حتى لا يموت النزلاء تحت القذف الجوى المتصل وخرج ما يقرب من ألف سجين. وخاطبتهم فى فناء السجن أناشدهم بصوت عالٍ وأخبرتهم بأننى سأفتح لهم الأبواب كي يخرجوا إلى المدينة وشوارعها وأن يلتقوا بنا فى تقاطع شارعى كسرى والدقهلية أحد مواقع المقاومة .. وسنفتح لهم بيوتنا فى بورسعيد للإقامة وأن ينضموا لنا للدفاع عن المدنية .. وتم فتح الزنازين والحجرات وفتح الباب العمومى على مصراعيه.

وخرجوا إلى شارع (مانه) وأحاطوا بنا فى حماس ومشاعر متدفقة بالحب لنا ولمصر والمقاومة التى جمعت صفوفها بتلقائية وسرعه منقطعة النظير.

كارثة داخل محطة السكك الحديدية

فقد كانت الحركة التجارية بالحى الافرنجى والعربى قد أصيبت بالشلل تمامًا، فقد أغلقت المحلات التجارية أبوابها بأسواق المدينة .. وبالتالى أصبح متعذراً الحصول على المواد الغذائية نهائيًا لتوقف الصيد فى البحر والبحيرة ..

فزحفت الجماهير بتلقائية إلى عربات البضاعة فى السكك الحديدية، حيث وجد قطار بضاعة به كميه من أجولة الدقيق، انتزعتها الجماهير من عربات القطارات.

وفجأة وجدت هذه الجماهير قطاراً للبضاعة مكدساً بصناديق مملوءة بالاسلحة معظمها من البنادق من مختلف الأنواع .. ومنها البنادق الحديثة سريعة الطلقات، وبعشوائية الجماهير التلقائية واندفاعها اقتحمت هذه العربات كى تحمل السلاح .. دون خبرة به، ومعظمهم لم يتدرب على استخدامها :

وفتح البعض وهم بداخلها «سنكيات» البنادق فسقط عشرات من القتلى نتيجة الفوضى فى انتزاع السلاح،وحمل البعض صناديق الطلقات التى قد تكون صالحة لبنادق أخرى غير التى يحملونها .. فهى فى يد آخرين ..

وأصبح السلاح عبئًا وكارثة كبرى يجب مواجهتها؟! فرفعنا أصواتنا وكتبنا على الجدران أهمية إعادة توزيع السلاح وحملت معنا بقايا الكتيبة الرابعة مشاه عبء إعادة توزيع السلاح فى نقاط محددة من نواصى الشوارع وتقاطعها بالحى العربى .. «كل منكم يدرب زميله خارج المدينة» «تبادلوا الطلقات بطلقات صالحة لسلاحكم» «تعلموا كيف تتعاملون مع القنابل اليدوية». وأصبح السلاح عبئًا على أكتاف الذين لم يتدربوا ونتجت أخطاء دامية أدت لانفجار بعض القنابل اليدوية فى يد البعض الذين نزعوا فتائلها فحصدتهم وهم يخوضون تجربة استخدام السلاح ..

لقد قتل عدد ليس قليلاً، وتفجرت عشرات من القنابل فى يد مواطنين جاهلين تماماً بكيفية انتزاع فتائلها وسرعة الإلقاء نحو الهدف والانبطاح أرضاً.

ويتحمل مسئولية هذه الجريمة البشعة نظام عبد الناصر الذى يخشى الحرب الشعبية وتدريب الجماهير .. حتى لا تتمسك به الجماهير بسلاحها فتوجهه نحو النظام بعد المعركة .. لم يكن عبد الناصر يرى غير الجيش مقاتلاً.

وكانت الكتيبة الرابعة مشاه التابعه للواء الثانى مشاه من القوات المسلحة هى الكتيبة المرابطة للدفاع عن بورسعيد كجزء من قوات الجيش للدفاع عن بورسعيد ومقر قيادتها للواء الثانى مشاه بالعريش. وبدأ التنسيق بيننا وبين الكتيبة الرابعة مشاه .. ووضعت تحت تصرفنا سياره «جيب» يقودها جندى بدأنا استخدامها أنا وإبراهيم هاجوج وأحمد شوقى المرجارى

واستطعنا بهذه السيارة التحرك الدائم بين الجميل والمناخ والحي العربى.

وقد كنا نتوقع أن القذف الدائم والغارات المستمرة لطائرات العدوان كانت تمهيداً لإسقاط مظلى، لذلك بدأنا نؤكد وجود المقاومة وأفراد الكتيبة الرابعة فى شرق المدينة على مقربة من مطار الجميل .. والمدخل الشرقى للمدينة بمحاذاة الشاطئ.

وكانت عزبة القبوطى محمية لنا نلجأ لها ليلاً فى الجنوب الشرقى للمدينة وحى المناخ .. وأصبح القذف الجوى شاملاً لا يتوقف فى وحشية وقسوة وإصرار ..

كارثة أخرى على شاطئ بحيرة المنزله على طول كيلو متر من شاطئ البحيرة

كانت قد تدفقت أفواج من سكان بورسيعد وبور فؤاد مفضلين الهجرة عن طريق بحيرة المنزلة المخرج الوحيد من المدينة الأكثر أمناً .. مستخدمين مراكب الصيد .. وقام الصيادون بهذا الواجب ببطولة فائقة تحت قذف مستمر من الطائرات .. كجزء من قذف الحى العربي والمناخ. وساعد تخطيط المدينةالمدنى على سهولة الإصابات المباشرة .. فهى مدينة تخطيطها عبارة عن شوارع طولية وأخرى عرضية وليست بها دروب أو حوارى القاهرة يسهل الاختباء بها والمخابئ بالمدينة محددة تماماً .. فسهل ذلك على العدو أن يوجه نيرانه كما يريد فدمرت أولاً مواقع المدفعية للقوات المسلحة فأصبحت المدينه هدفاً سهلاً للطائرات.

وتتبعت الطائرات سيارة المقاومة التى حصلنا عليها بهدف إصابتها بالفعل طاردتنا عدد من الطائرات فى شارع الحميدى على ارتفاع قليل فأوقفنا السيارة ونزلنا على الفور منبطحين على الأرض تحت أقبية منازل شارع الحميدى فأصابت السيارة إصابة مباشرة استشهد فيها السائق ونجونا بأعجوبة بعد أن قفزنا منبطحين خلف جدار ..

وبدأنا نستخدم الدراجات وكانت مهمتنا الصعبة هى تنظيم عملية الهجرة على شاطئ بحيرة المنزلة وتطوع كثير من رجالنا فى تنظيمها .. وبدأت مراكب الصيد التى تحمل المهاجرين تفر إلى المنزلة ولا تعود .. فمات المئات غرقاً فى مياه البحيرة.

وفى مساء تلك الليلة بدأت سيارة غامضة تجوب شوارع المدينة بعد منتصف الليل وعليها ميكرفون ويصدر منها صوت مريب كان غالباً لأحد رجال الجنرال/ حسن رشدى مفتش مباحث أمن الدولة يزعم بأن الأسطول السوفيتى سيدخل المدينة فى الصباح وفى الواقع كانت هناك غرفتان للعمليات.

غرفة العمليات الرسمية التى لا تعلم شيئا عن المقاومة.

وغرفة المقاومة التى جعلت من شوارع الحى العربى والمناخ والرسوه ومدخل المدينة الشرقى بالقرب من مطار الجميل تنتقل بين المقاومة والجميل ولها موقعان سريان .. موقع منزل عبد المحسن الحفناوي وموقع بمنزل زميل نقابى فى شركة إسو .. تتناوب فيها النوم تباعًا لعدة ساعات قليلة لا تزيد عن ثلاث ساعات فى اليوم .

محاولة اغتيال فاشلة تمت فى ذلك المساء قبل الغزو بأقل من أربع وعشرين ساعة وكان ذلك الساعة ٧ مساءًا وقرب منزل عبد المحسن الحفناوى. فقد فوجئت وإلى جوارى إبراهيم هاجوج وأحمد شرقى المرجاوى وكنت متقدمًا عنهما بخطوات قليلة، فوجئت بمساعد بمباحث أمن الدولة .... أى أحد رجال «حسن رشدى» وبيده مدفع سريع الطلقات .. وفجأة انهالت حول رأسى شحنة من الطلقات انبطحت بعدها أرضًا، وشعرت وكأننى قد أصبت، فقد شعرت بعدد من الطلقات مرت فوق رأسى لها دوى هائل ..

وجريت خلف «على عبد العظيم» وهو اسم هذا المساعد، وكانت بيدى قنبلة يدوية .. لكنه مع الأسف كان قد اختفى تمامًا بوسيلة لم أعرفها وشاهد هذه الواقعة الزميلان المذكوران على الأقل ..

وفى هذه الليلة غيرنا موقع إقامتنا هذا إلى موقع آخر فى منزل زميل يملك والده فرن ومسكنه فوق هذا الفرن.

ولم يكن سهلاً أن نحرض الجماهير على محاولة «علي عبد العظيم» الغريبة حتى لا نكون مصدرًا لإثارة البلبلة والشكوك حول أى مصرى.

وحاولنا أن نجوب المدينة ليلاً، ونعلن وسط تجمعات المقاومة التلقائية بالأحياء بأن نداءات السيارة الغامضة التى زعمت أن القوات السوفيتية ستدخل المدينة فى الصباح ..؟! ولكن صدق الناس هذه الأكذوبة الخبيثة؟! حيث كانت الجماهير تثق ثقة كبيرة فى مساندة الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكى.

الإسقاط المظلى وضرب المدينة من البحر

وفى الصباح الباكر .. بعد الفجر بقليل كان الإسقاط المظلى قد بدأ فى الجميل .. وأسرعت المقاومة وفى مقدمتها الكتيبة الرابعة مشاة قد التحمت مع قوات المظلات التى كان أغلبها من

الافارقة جنود المستعمرات البريطانية .. وأبيدت فرقة المظلات عن آخرها .. وسقط عشرات من الشهداء .. أغلبهم من الكتيبة الرابعة مشاه .. التى لم يتبق منها غير ثلاثة عشرة من جنود هذه الكتيبة الباسلة؟!

وبدأت الطائرات المعادية تقذف بقنابلها كل المنطقة التي تم فيها الإسقاط المظلى فى مسح شامل قضى على ما تبقى من جنودهم الافارقة.

وبعدها بدأت الطائرات تسقط جنود مظلات إنجليزية.

وبدأت طائرات تأتى من عرض البحر تقذف الشاطئ بداية من مدخل القناة عند تمثال ديلسبس الذى هدمته الجماهير الغاضبه على طول الشاطئ حتى الجميل ودمرت كل الكبائن الخشبية على الشاطئ.

وبدأ الأسطول الانجليزى يدفع بدبابات برمائية فى السادسة صباحًا .. وبذلك بدأ الغزو ونزلت الجنود مدججة بالسلاح من فوق الدبابات البرمائية وفرق المشاه المدججة بأحدث الأسلحة وعشرات من المدافع.

وقذفت مدافع الأسطول البيوت والعمارات على طول شارع كتشنر واخترقت هذه القوات شارع محمد علي .

وخرجت الجماهير أفواجًا من منازلها تستقبل هذه القوات الغازية ظنًا منها أنها قوات روسية جاءت إلينا لمساندتنا فى مواجهة العدوان الثلاثى للحلف الاسرائيلى الفرنسى الإنجليزى؟! واكتملت المأساة فالجماهير تتزاحم فيما يشبه الزحف حتى النساء والأطفال والعجزة .. قد خدعوا بنداءات السيارة الغادرة التي ظلت طوال الليل تدعو الجماهير لشارع محمد على لاستقبال القوات السوفيتية الصديقة القادمة من البحر؟!

صفقت الجماهير للجنود الغزاة ؟!

وبدأت المذبحة الرهيبة عندما وجهت نيران ومدافع هذه القوات الغازية نحو صدور أبناء بورسعيد وبناتها وسيداتها؟!

مذبحة رهيبة سقط فيها من القتلى مئات، خاصة عند تقاطع شارعى محمد على والثلاثين (سعد زغلول) فاقت هذه المذبحة وقتل فيها غدراً مذبحة ستالينجراد وسقوط برلين خلال الحرب العالمية الثانية.

حسن رشدى يرحل للقاهرة

وبتنسيق مع غرفة العمليات،وتحت أبصار جنود الاحتلال أعدت إحدى سيارات الإسعاف فى بورسعيد، ورقد بداخلها (الجنرال) حسن رشدى بعد المذبحة التى حصدت مئات الجماهير بيد قوات الاحتلال التى رابطت بمعسكر «الجولف» بأول طريق المعاهدة .. وجبست قدمه زعماً بأنه مصاب .. ومر من بوابة أقامتها قوات الاحتلال على أول طريق المعاهدة، بحجة أنه ذاهب لاستكمال العلاج بالقاهرة؟! وبدت لنا هذه العملية وكأنها قد تمت باتفاق وتنسيق كامل مع غرفة العمليات وقوات الاحتلال .. فحسن رشدى كان القائد الفعلى لغرفة العمليات؟!!

وفى المساء قررنا فى اجتماع عاجل ..

أن نتوجه للمنزلة ومنها للمنصوره ويبقى «إبراهيم هاجوج» و«أحمد شوقى المرجاوى» فى المنصورة للقاء طاهر عبد الحكيم، وتركتهم متوجهًا للقاهرة للاتصال السريع بالسيد/ خالد محى الدين حيث كان رئيسًا لتحرير جريدة المساء فى ذلك الوقت وأعددت تقريراً مفصلاً وصريحًا بالتفصيل لكل ما حدث بالمعركة ورحلة «حسن رشدى» الغامضة وأهمية وضع حقائق الأمور كاملة أمام السلطة السياسية وجمال عبد الناصر بالذات.

وبالفعل سلمت هذه الرسالة «لسعد زغلول فؤاد» مراسل الأهرام حاليًا بباريس بعد أن فشلت فى لقاء خالد محيى الدين الذى لم يكن متواجداً بالجريدة وحضر لقائى «بسعد زغلول فؤاد» الاستاذ «سعد التائه» على ما أذكر وعدد من الزملاء محررى المساء .. ووقعت هذه الرسالة باسم المقاومة ببورسعيد ، ووقعت عليها كمسئول تمامًا عن كل كلمة جاءت بها.

وفى الساعة الثانية صباحًا بعد منتصف الليل دق جرس التليفون فى منزل المقدم مصطفى كمال سعودى زوج ابنة عمتى فى منزله بالحلمية بالدرب الأحمر خلف المدرسة الخديوية الثانوية طالبًا مني لقاءه فى ميدان الأوبرا فى محل ومقهى ليلى بالميدان .. وأبلغنى أنه سلم خالد محيى الدين مذكرتى الشاملة للموقف تفصيلاً داخل بورسعيد وأبلغنى أنه قرأها بعناية .. وقرر نشرها فى نفس اليوم مع حذف ما أسماه بالسلبيات الخطيرة بالمعركة والموقف المتدهور لغرفة العمليات الرسمية ومسرحية حسن رشدى وكيفية رحيله للقاهرة تحت زعم أن ذكر السلبيات قد يضعف معنويات الجماهير.

وبالفعل ففى اليوم التالى صدرت المساء، وعلى صفحاتها ما كتبته محذوفًا منه مع الأسف

الشديد ما أسماه «خالد محيى الدين» بالسلبيات التى تحرج من نشرها .. ونشر البيان بالمساء تحت عنوان «بطل عائد من المعركة» ..

والسؤال الذى يستطيع خالد محى الدين وحده أن يرد عليه؟! هل عرض على عبد الناصر التقرير كاملاً شاملاً سلبيات المعركة الخطيرة .. أم لم يسلمه البيان أصلاً؟!

وصدر قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار؟!

وتمكن زميلنا الراحل عبد المنعم شتله أحد قيادات الحزب الشيوعى المصرى الموحد والنجم الأحمر سابقًا .. من دخول «بورسعيد» من بحيرة المنزلة فى مركب صيد وبرفقته الفنان الراحل عبد المنعم القصاص.

وأصدروا جريدة الانتصار وعدداً من البيانات أرفقها بهذه الشهادة التفصيلية وساهم فى هذا الواجب الوطنى أحد أصحاب المطابع بالمدينة.

وفوجئت أنا وإبراهيم هاجوج وصالح عضو الحزب الشيوعى السودانى حاليًا، فوجئت بقرار بنقلى إلى مجلس مدينة قوص بمحافظة قنا.

وبنقل إبراهيم هاجوج إلى مدينة «إدفو» بمحافظة أسوان.

وصالح دهب إلى مجلس مدينة «كوم أمبو» بمحافظة أسوان.

وكان خلف هذا القرار الجنرال «حسن رشدى» مفتش مباحث أمن الدولة فى بورسعيد الذى دارت حوله الشكوك القوية فى أنه هو الذى قاد ووجه السيارة الغامضة التى جابت بورسعيد طوال الليل زاعمة أن الأسطول السوفيتى قادم فى الصباح ستنزل قواته إلى بورسعيد؟!

وبالطبع كان هناك قيادات تساندة فى مباحث أمن الدولة بالقاهرة.

وكان قرار إبعادنا من بورسعيد يهدف إلى عزلنا عن جماهير بورسعيد والتى التفت حولنا فى بورسعيد وأصبحت لنا جذور عميقة يصعب اقتلاعها ...

وبأمانة أحرص عليها، أقول : إن عدداً من المواطنين الذى تطوعوا «بالحرس الوطنى» قد لعبوا دوراً فى معركة الإسقاط المظلى دون أن تكون لهم قيادة خاصة .. وسقط منهم عدد من الشهداء.

ولعب المواطن «حسن حسن الجعبرى» الموظف والمحاسب بشركة الكوكاكولا وأسرته والمقيمين فى تقاطعى بورسعيد والبلدية فى حماية عدد من المقاتلين من الكتيبة الرابعة مشاه،

بقيادة أحمد أبو الخير .. أكثر جنود هذه الكتيبة وعياً ونضالاً.

تجربه مثيرة «لوليامز» مع أحمد أبو الخير :-

لقد كان «وليامز» الضابط البريطاني وقائد جهاز المخابرات في قوات الاحتلال التى سيطرت على مبانى المدارس الثانوية والإبتدائية بالمدينة وجعلت من بعضها معسكرات اعتقال وحجز لبعض عناصر المقاومة.

وقبض رجال «وليامز» على «أحمد أبو الخير» فى اليوم الثالث للاحتلال ودار بينه وبين «وليامز» حوار مثير عندما سأله وليامز هل أنت مشترك فى المقاومة؟!

ولم يكن يدري أنه جندي بالجيش المصرى حيث كان قد خلع الزى الرسمى للقوات المسلحة منذ بداية المعركة ..

فرد على «ويليامز» نافياً تطوعه فى المقاومة.

وسأله .. هل لو طلب منك التطوع في المقاومة كنت ستقبل ذلك .. فقاله له بالطبع لو كنت من أبناء بورسعيد .. فأنا أعيش فى بورسعيد عاملاً فى أحد صالونات الحلاقه بالحى الافرنجى.

ويبدو أن «ويليامز» الذى يجيد العربية، وسبق له الإقامة فى بورسعيد أثناء الاحتلال .. قد اقتنع بردود أحمد أبو الخير .. فأخبره «ويليامز» بأنه مقتنع بما قاله ووعده بالإفراج عنه بعد يومين.

. وبالفعل أفرج عنه بعد يومين وخرج «أحمد أبو الخير» وهو لا يصدق ما حدث فلقد اختطفت عناصر المقاومة فى بورسعيد فى عملية انتحارية «ويليامز» من أمام المدرسة المذكورة.. وتم «إخفاؤه» فى منزل «محمود أبو الخيط» وخرجوا بجثته فى شكل جنازة ومروا من أمام بوابة مرور إنجليزية ودفن فى نهاية المناخ قريباً من «الجميل».

تعدد فرق المقاومة فى المدينة

كانت أغلب فرق المقاومة التي تشكلت أثناء المعركة، تعمل كل منها منفردة وأغلبها كانت عبارة عن فرق تكونت بالأحياء بتلقائية .. من مجموعات الشباب التى كانت تتجمع فى

الشوارع ليلة رأس السنه الميلادية كل عام كى يحرقوا معًا دمية تمثل «اللورد اللنبى وسط كومة من النار أشعلوها لحرق دمية هذا الرمز الاستعمارى الكريه ..

واستطاعت «مجموعة اليسار» أن توحد بعض فرق الأحياء بالحى العربي ومجموعتين بالحى الافرنجي تحت قيادتها .. وكانت مدرسة العصفورى الخاصة موقعًا للمقاومة بالحى الأفرنجى وشارك من تبقى من الكتيبة الرابعة مشاه فى معارك المقاومة وبين صفوفها وتحت قيادة «مجموعة اليسار» تلك الكتيبة الباسلة التى سقط من رجالها البواسل أكثر من ثلاثمائة شهيد فى معركة إبادة الإسقاط المظلى. وكان أبرز رجالها «أحمد أبو الخير» .

واستطاعت إحدى فرق مقاومة الأحياء أن تختطف ويليامز وهو بين رجاله .. وأعدمته المقاومة فى فناء منزل قيل أنه منزل «محمود أبو الغيط».

وحملته المقاومة وخلفها عدد من رجالها فى «نعش» وساروا فى جنازة خلفه تحت أبصار القوات البريطانية إلى مقابر الحى العربى وعبارات «لا إله إلا الله - محمد رسول الله» هى شعار الجنازه التى انضمت لها جماهير كبيرة وكأنها كانت تعلم وترد بحماس شعارات الوداع للقبر .. وبذلك خدعت قوات الاحتلال واحترمت تقليد الجنازة وتركتها تمر من البوابة ذات الحرس الإنجليزى .. وهم لا يعلمون أن ويليامز «أحد رجالهم» بل ربما أهمهم هو المحمول فى النعش .. وقال البعض إنه دفن حيًا .. ولكن الكثيرين نفوا ذلك وأكدوا أن المشكلة التى واجهت المقاومة هو التخلص من جثته بهذه الوسيلة الآمنة.

وللأمانة أقول على لسان «أحمد أبو الخير» إن بعض القوات من الصاعقة دخلت بورسعيد بعد دخول «عبد المنعم شتله» و«عبد المنعم القصاص» .. ودخلوا في ملابس صيادين. وارتدوا فى المدينة ملابس رجال الشرطة وقاموا بأعمال فدائية ضد قوات الاحتلال بعد وقف إطلاق النار..

النقل الإدارى لثلاثة من قيادات اليسار هو اعتراف من الدولة بدور الشيوعيين البارز في قيادة المقاومة :

نعم، قد نال الشيوعيون ببورسعيد سمعة طيبة ولعبوا الدور الرئيسى فى أحلك الأيام وأصعبها قبل وقف إطلاق النار.. وإعادة توزيع السلاح ليد المدربين والالتحام بعدد من لجان

الأحياء التلقائية والتنسيق معها ..

ولذلك لجأت مباحث أمن الدولة على الفور ؟! إلى نقل الثلاثة المذكورين سلفًا كموظفين بالمدينة إلى ثلاث مدن فى الصعيد فى محافظتى قنا وأسوان تحت رقابة مشددة من مباحث أمن الدولة فى هاتين المحافظتين ..

وبالتأكيد قد بادر «الجنرال حسن رشدى» بأن قدم للقيادة السياسية بيانات عن دور اليسار فى معركة بورسعيد وحصر خطورتهم فى ثلاثة منهم يجب إبعادهم...

ولعلنى لا أكون مبالغًا إن قلت أن دور اليسار المصرى فى بورسعيد ظل محل تقدير واحترام أجيال الخمسينيات والستينيات والسبعينيات من أبناء بورسعيد .. ودور عبد المنعم شتله وعبد المنعم القصاص الراحلين قد نالوا احترام وتقدير هذه الأجيال.

فجريدة الانتصار وبيانات توحيد المقاومة قد ساهمت فى دعم المقاومة ورفع معنوياتها .. والتنسيق بينها وكاد اليسار أن ينفرد تمامًا بالقيادة.

ولقد أسقطت طائرات العدو بيانات معادية تهاجم نظام عبد الناصر مكتوبة باللغة العربية.. تهدف إلى إضعاف معنويات رجال المقاومة الشعبية وأبناء بورسعيد.

ولكن الجماهير فى بورسعيد قد تخطت السلبيات الخطيرة بوعى تلقائى كبير وتجاوزت أخطاء النظام الفادحة... كعدم تسليح المقاومة قبل العدوان .. والسلبيات الخطيرة لغرفة العمليات الرسمية؟! والسيارة الغامضة التى تآمرت مع العدوان وزعمت أن الأسطول السوفيتى سيدخل فى الصباح عن طريق البحر.. لخداع الجماهير واستغلال تقديرها العميق للاتحاد السوفيتى ودوره فى مواجهة الاستعمار والعدوان ..

ولكن لا تنسى جماهير بورسعيد دور الجنرال «حسن رشدى» التخريبى فى غرفة العمليات وشبهة قوية فى أنه الذى كان داخل السيارة الغامضة .. ومسرحية خروجه من بورسعيد فى سيارة أسعاف؟!

دور بطولى للأطباء وهيئة التمريض بالمستشفى الأميرى

ولعب أطباء المدينة ورجال المستشفى الأميرى، وعشرات من النساء والرجال الذين نقلوا الجرحى على عربات اليد الملقاة فى سوق الخضار وقامت بلور سيارات الاسعاف وفتحت

عيادات الأطباء، كي تصبح مراكز إنقاذ سريع ودخل المئات للمستشفيات للتبرع بالدم حتى بعض الأفراد من الجالية اليونانية بالمدينة وآجانب آخرين .. وكانت طائرات العدوان تطارد عمليات الإنقاذ المدنى التلقائى بالقذف .. ومات بعضهم مع جرحاهم بالشوارع.

وفى النهاية أوجه تحيتى لكل الرجال الذين قاتلوا معنا بالسلاح والكلمة ولرجال المقاومة التلقائية بالأحياء التى التحمت بنا واستجابت لشعار إعادة توزيع السلاح .. وأحيى شهداء الكتيبة الرابعة مشاه ومن بقى منهم على قيد الحياة.

-* كان لنا فى التنظيم **موقف من انتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧** حيث جاءت هذه الانتخابات في غيبة كاملة للتعددية الحزبية .. وكانت كل الطلائع الشيوعية والتقدمية قد شملها العزل السياسى .. فحرمت من دخول هذه الانتخابات..

وحرمت من خوض هذه الانتخابات رجال الأحزاب التى حلها عبد الناصر وشمل هذا العزل حزب الوفد الذي كانت له دائمًا جذور جماهيرية ميزته عن كل أحزاب الأقلية وظل منذ نشأته الديمقراطية فى ثوره ١٩١٩ أقرب إلى الجبهة القومية منه كحزب..

وشاهدت مصر دائمًا طوال حكم عبد الناصر ومن خلفوه من العسكريين تلك المجالس النيابية الهزلية والمرفوضة من جماهير مصر العريضة ..

وتمرس نظام عبد الناصر على كل أساليب التزوير والتزييف والعبث بإرادة الجماهير فى هذه الانتخابات ..

فكانت بالفعل مجالس تعينها السلطة من خلال مهزلة التزوير والتزييف والعزل السياسى..

لذلك وبالنسبة لانتخابات ١٩٥٧ رفعنا شعار المقاطعة لها .. وأرجعنا أسباب هذه المقاطعة لموقفنا التاريخى من قرارات ١٥ يناير ١٩٥٣ بحل الأحزاب وإلغاء دستور ١٩٢٣.

ولم يحدث أن أجريت انتخابات خلال حكم عبد الناصر وخلت من تزييف وتزوير شاملين، حتى فى الفترات التى اكتسب فيها عبد الناصر تأييد جماهير مصر بعد تأميم القناة وبعد إجراءات التأميم.

* بالنسبة لموقفى من مشروعات الأحلاف العسكرية (إيزنهاور، الهلال الخصيب، حلف الأمة الأوسط) كان متطابقًا مع موقف الجماهير المصرية منها حيث كانت الجماهير المصرية

العريضة والجماهير العربية وكل شعوب المستعمرات فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .. ترفض هذه الأحلاف الاستعمارية. وكان هذا هو موقف كل التنظيمات اليسارية فى مصر. وكان عبد الناصر قد رفض مثل هذه الأحلاف .. وهاجمها فى معظم خطبه السياسية فى الخمسينيات ..

ولكن أثير دائما وسط الحركة الوطنية المصرية عن بنود سرية تضمنتها اتفاقية الجلاء التى وقعها عبد الناصر مع إنجلترا .. وقيل إنها تضمنت موافقة عبد الناصر فى أن تستخدم القوات البريطانية قواعد عسكرية فى مصر - والتزامات معينة تؤديها مصر لها فى ظروف الحرب..

ونأمل أن توضع أمام المحلل المصرى لتاريخنا الحديث مثل نصوص هذه المعاهدات .. كاملة بنصوصها السرية ..

* كان الموقف هو التأييد الكامل لقرارات التمصير .. فقد كانت دائما عمليات التمصير للشركات والبنوك الأجنبية هو ركن هام من واجبات التحرر الوطنى من الاستعمار البريطانى والأجنبى بشكل عام .. ولكن يبقى السؤال يحمل فى طياته معنيين ..

فالتمصير قد يعنى تمليك أسهم هذه الشركات والبنوك الأجنبية لأفراد من الرأسمالية المصريه أو هيئات أو شركات خاصة مصرية.

وقد يعنى أيضًا تمليكها للدولة..

وهذا ما حدث بالفعل فقد تكونت مؤسسة بقيادة حسن إبراهيم عضو مجلس قيادة الثورة لإدارة الشركات الأجنبية العاملة فى مصر التى خضعت للتمصير. وهذه المؤسسة سميت بالمؤسسة الاقتصادية؟!

وفى كلتا الحالتين أيدت كل تنظيمات الحركة الشيوعية فى مصر إجراءات تمصير الشركات والبنوك الأجنبية؟!

* كان لنا فى التنظيم موقف وحدة مصر وسوريا وحركة القومية العربية والأحداث التى مرت بها المنطقة حينئذ (حكومة النابلسي في الأردن - إنزال القوات الأمريكية فى الأردن ولبنان - ثورة العراق ....) فقد تميزت هذه الفترة بداية من بدايات الخمسينيات بالمد الثوري

الواسع الذى اجتاح المنطقة العربية كلها باستثناء المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربى المنتجة للبترول. بل وشمل وامتد إلى إيران حيث تشكلت حكومة مصدق التى ساندها «حزب توده» الشيوعى العراقى وعناصر الحركة الوطنية العراقية بقيادة مصدق وحكومته ..

وبعد أن حققت مصر استقلالها الوطنى وأكدت هذا الاستقلال بالهزيمة التى لحقت بالعدوان الثلاثى على مصر بمساندة واسعة من بلدان العالم الثالث حديثة الاستقلال كالهند وأندونيسيا والصين الشعبية وكوريا الشمالية وشعب فتينام ودول المعسكر الاشتراكى وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى .

وبرز دور عبد الناصر فى المنطقة العربية .. وفجأة تفجرت في هذا المناخ الذى شاهد صعوداً فى المد الثورى الوطنى الديمقراطى بالبلدان العربية والعالم الثالث.. تفجرت الثورة العراقية ضد نظام ملكى رجعى تابع للاستعمار الأنجلو أمريكى .. وقاد هذه الثورة «عبد الكريم قاسم» الذى استند إلى دعم قوى من الحزب الشيوعى العراقى والتجمع الوطنى الديمقراطى بالعراق .

وكانت المنطقة العربية قد اجتاحها هذا المد فشمل الأردن فى مواجهات مستمرة للأسرة الملكية بالأردن وبمساندة كامله من الشعب الفلسطينى ومنظماته المختلفة .. وتخلل ذلك إنزال القوات الأمريكية فى الأردن ولبنان وبدأ الدور الاستعمارى فى تأكيد التواجد الإسرائيلى على الأرض الفلسطينية وتحولت بذلك الدوله الإسرائيلية إلى قاعدة عسكرية زرعت بالمنطقة كى تصبح قاعدة عسكرية مدعمة بأحدث الأسلحة لتهديد الحركات الوطنية فى المنطقة العربية. واتضح ذلك تماماً فى العدوان الثلاثى الذى دبر ضد مصر ..

وخرج عبد الناصر من معركة العدوان الثلاثى منتصراً، بأن اكتسب وجهاً عالمياً وعربياً بارزاً مدعماً من المعسكر الاشتراكى .. ونمت فى عقليته وأهدافه طموحاً يهدف إلى توحيد تجمع عربى من المجموعات العربية داخل الشعوب العربية تحت فكرة القومية العربية.. بل تكونت فى داخل الكيانات العربية خاصة فى سوريا ولبنان والأردن مجموعات تزعم بانتمائها لما سمي فى ذلك الوقت بالناصرية..

ولكن شعر عبد الناصر أن الثوره العراقية بقيادة عبد الكريم قاسم والحزب الشيوعى

العراقي أقوى الأحزاب الشيوعية العربية وأكثرها تنظيماً وأكثرها قدرة وتواجداً وسط شعبه ..

شعر أن هذا التجمع العراقى الذى يقف على يساره ويحد من طموحاته فى خلق دولة عربية موحدة تحت زعامته ..

وبدأ ينسق مع الجماعات العراقية السياسية التى وقفت على يمين عبد الكريم قاسم والحزب الشيوعى العراقى .. فساهم بفاعلية ودعم سرى وعلنى لجماعات «الشواف» والقيادات الأخري فى الكيان العراقى وبأسلوب دموى رهيب تميزت أو كانت ظاهرة فى أغلب الحركات الوطنية العراقية وفى مذبحة مريرة سقط نظام عبد الكريم قاسم وتحالفه الحاكم مع اليسار العراقى ..

وفى أعقاب هذا الدور السيئ لعبد الناصر .. وخدعت جماهير عربية وعريضة بالتشويهات الرهيبة التى أحاطت بالتجربة الثورية العراقية وقطع عليها الطريق لإعداد شعبها لثورة اشتراكية بقيادة عبد الكريم قاسم والحزب الشيوعى العراقى...

وفتح الطريق أمام وحدة مصرية سورية .. وسلم شكري القوتلى وطنه السورى كإقليم عربى، وبرزت القيادة الناصرية التى تفتقر لحزب عقائدى منظم له جذور وسط الجماهير العريضة وصدر الأسلوب الناصرى فى الحكم .. والمعادي تماماً للحريات والديمقراطية ولم يدرك هؤلاء العسكريون خلف عبد الناصر .. أن كسب الديمقراطية لصالح الجماهير العريضة هو الطريق الوحيد لإعداد الجماهير بالكيانات العربية المتعدده لخوض معركتها الفاصلة المسلحة للتحرر الوطنى لإقامة الاشتراكية وسلخ المنطقة العربية بثرواتها الكبيرة من براثن الاستعمار والشرائح العربية الرجعية بانتماءاتها المختلفة نهائياً من التبعية والعمالة.

وانهارت القيادة البعثية السورية فى مواجهة الزحف الناصرى الذى خدع عبد الناصر نفسه .. وسرعان ما فقدت الوحدة المصرية السورية أسباب وجودها وعاد البعث السورى من جديد لمواقعه فى قيادة الجماهير السورية وعادت سوريا من جديد إلى دولة ذات سيادة بعد أن حولها عبد الناصر بجهل شديد لإقليم تابع لمجموعته العسكرية الحاكمة وعاد عبد الحكيم عامر الحاكم المصري للإقليم السورى إلى القاهرة مرفوضاً من جماهير الشعب السورى وطلائعه..

نعم هناك مفهومان للقومية العربية؟! .. أسوأهما الأسلوب الناصري القمعى الذى لا يرى الخصائص الإقليمية بعمق وعلمية ويسعى لإجهاض هذه الخصائص فيلجأ لمعاداة الديمقراطية

والتعددية الحزبية كجزء من التجربة الناصرية نفسها ..

وأفضلهما هو الاتحاد الاختيارى الديمقراطى الذى يضع أمامه واجب مراعاة الخصائص الإقليمية لنشأة هذه الأوطان العربية والتى خاضت نضالاً مريراً للحصول على استقلالها الوطنى من السيطرة الاستعمارية الأنجلو فرنسية، نعم خاضت هذه الشعوب العربية نضالاً مريراً فى مواجهة الاستعمار العالمى كى تحصل على وطن مستقل صالح لإقامة العدالة الاجتماعية والتحول نحو الاشتراكية ..

إن عداء عبد الناصر للديمقراطية الذى صدره لسوريا هو الذي أجهض الوحدة المصرية السورية وأدى فى النهاية إلى ضعف التضامن العربي، وتعمق العداء بين البعث السورى والجماهير السورية والقيادة الناصرية فى مصر ..

وأدانت الحركة اليسارية فى مصر والقوى الديمقراطية والوطنية إنزال القوات الأمريكية فى الأردن ولبنان .. وربطت الجماهير العربية هذا التدخل الأمريكى كدعم للكيان الإسرائيلى العدوانى الذى يشكل داخل إسرائيل قاعدة عسكرية تهدد استقلال الدول العربية وحركتها نحو التحرر الوطنى وتحرير الأرض الفلسطينية.

* لقد ساندت قرارات التأميم مثلما ساندت الحركة اليسارية بمختلف منابرها وجماهير مصر، خاصة الطبقة العاملة المصرية، قرارات التأميم وملكية الدولة للمؤسسات والشركات الصناعية الكبرى المؤممة .. ولقد وجهت هذه الضربة لطبقة الرأسمالية الكبيرة فى مصر .. وتحولت البنوك (بنك مصر) إلى ملكية الدولة ..

ولكن كان يرى تنظيم (الحزب الشيوعى المصرى ٨ يناير) وأغلب التنظيمات الشيوعية أهمية وضرورة كسب قضية الديمقراطية وحق الجماهير المصرية وطلائعها فى تكوين أحزابها الوطنية المساندة لهذه الإجراءات التأميمية التى صدرت فى يوليو ١٩٦١ وأغسطس من نفس العام .. حتى لا تصبح رأسمالية الدولة هى الصفة السائدة لهذه التأميمات وتسيطر عليها العناصر المتبقية فى السلطة من العسكريين والفنيين والقيادات البيروقراطية على تنظيم السلطة (الاتحاد الاشتراكى) كى يهيمن وحده على جوهر السلطة؟! لصالح هذه المجموعات المعادية للديمقراطية ولا تسمح بتداول الحكم أو السلطة بالأساليب الديمقراطية..

وبالتالى أصبح النظام الموجود بمصر هو نظام رأسمالية الدولة التى ترى فى شعار

الديمقراطية شعار إسقاط وتنحية لها.. وعبثت بوعى الجماهير العريضة بادعائها أن نظام رأسمالية الدوله هو الاشتراكية ..

لذلك كنا نرى أن كسب قضية الديمقراطية هو الإضافة الكيفية التي تغير طبيعة النظام من رأسمالية الدولة للتحول نحو الاشتراكية بقيادة حزب شيوعى مصرى قادر على توحيد الحركة الشيوعية المصرية وقيادة الجماهير والدولة نحو التحول الاشتراكى الديمقراطى الحقيقى..

* بالنسبة للموقف من سياسات الاتحاد السوفيتى فى بناء الاشتراكية وعلى مستوى العلاقات الدولية وعلاقاته بحركات التحرر (الثورة الصينية - أحداث المجر - التعايش السلمي - الموقف من البورجوازيات الوطنية فى العالم الثالث ..الخ). فإننى أرى أن كثيراً من الأحزاب الشيوعية فى العالم لم تنتبه لخطورة غيبة الممارسة الديمقراطية. وغياب شعار (كل السلطة للسوفيتات) الذى رفعه لينين فى بدايات انتقال السلطة بقيادة الحزب الشيوعى السوفيتى، ولكنها لم تقتنع بعد بحتمية الانتقال نحو الاشتراكية ..

والتناقض الغريب هو أن «لينين» نفسه الذى رفع هذا الشعار دون أن يسمح بقيام أحزاب لطبقات أخرى ارتضت التحالف والعمل المشترك فى طريق ديمقراطى للتحول الاشتراكى وتحقيق نوع من العدالة الإجتماعية لن يحققها أى نظام رأسمالى في العالم الرأسمالى ..

وجاءت ظروف عالمية جديدة فى منتصف الثلاثينيات تشير لنشأة النازية فى أوروبا .. كخطر جديد يتهدد الاتحاد السوفيتى والنظام الاشتراكى .. وبدأت روسيا توجه اقتصادها نحو التسلح الشامل .. حتى دخل الاتحاد السوفيتى الحرب .. واتخذت القيادة السوفيتية فى الحزب الشيوعى السوفيتى من ظروف الإعداد للحرب سبباً جديداً لحرمان الشعوب السوفيتية من العدالة الاجتماعية التى يوفرها التطبيق الاشتراكى .. وأصبحت السوفيتات فرعاً من فروع الحزب الشيوعى السوفيتى ولا مكان لطبقات حليفه فى التواجد داخل السوفيتيات. وتعثرت تماماً مسألة نقل الفكر الاشتراكي لهذه الطبقات الحليفة .. وعرف النظام السوفيتى تشدداً رهيباً لمفهوم ديكتاتورية البروليتاريا ودفع الشعب السوفيتى ثمناً باهظاً فى الحرب من حرمان وقسوة ومتناهية أدت فى النهاية لنزع الثقة الكاملة من الحزب الشيوعى السوفيتى وسيطرت عناصر فى قيادة الحزب خلقت طبقة جديدة تسرب لبنيتها الفكرية نوع من البيروقراطية والتمايز الطبقي وحولت الحزب بالتدريج فى قمته إلى طبقة رأسمالية دفعت

بأجهزة الدولة الأمنية بالذات تحت قيادة «جوربا تشوف» للانفتاح على الغرب .. وكأن اتفاقاً قد أبرم للانتكاس بالتجربة كلها وبانفتاح كامل على أجهزة المخابرات العالمية كي تنتكس الاشتراكية هذه الانتكاسة الرهيبة في انهيار سريع وعاجل وكأن الإعداد له قد تم من سنوات طويلة تمتد لبدايات الخمسينيات مروراً بالصراع الصيني السوفيتي حتى انتهت بالكارثة الرهيبة التي انتهت إليها دول المعسكر الاشتراكي كله ..

ولم تكن أحداث المجر إلا بروفة مبكرة لهذا الإعداد المدعوم من المخابرات المركزية الأمريكية والعالمية للنظام الرأسمالي تعلمت منها هذه الأجهزة أن ما حدث بالمجر لابد وأن يكون أكثر شمولية نحو المعسكر الاشتراكي كله .. حتى تم هذا السقوط الدرامي السريع للنظم الاشتراكية منذ نهايات الثمانينيات وبدايات التسعينيات..

نعم لقد توقع بعض الشيوعيين المصريين مع ظهور الصراع الصيني السوفيتي الذي فجره «خروشوف» في الستينيات . أن هذا الصراع هو بداية لإرهاصات الغرب وأجهزة مخابراته المدعومة مالياً .. بمئات المليارات من الدولارات للإجهاز على المعسكر الاشتراكي كله لصالح الرأسمالية العالمية..

ولكن لن يكون هناك استقرار سياسي للنظام الرأسمالي العالمي .. وإسقاط التجربة الإشتراكية الأولي ودول المعسكر الاشتراكي ليست وحدها مبررا كافياً للقضاء على «الماركسية اللينينة» كنظرية لابديل لها لفتح طريق لعدالة اجتماعية حقيقية، وتجنب التطبيق لأخطاء الماضي وأهمية وضرورة نقل الفكر الاشتراكي للقطاع الجماهيري العريض .. وأن الديمقراطية مكسب إنساني لا يمكن التنازل عنه بل هو جزء من التجربة الاشتراكية نفسها ولا يجوز فرض الاشتراكية بغير الطريق الاختياري للجماهير العريضة.

ومن الممكن كسب قطاعات كبيرة من البورجوازيات الوطنية فيما كان يسمى بالعالم الثالث لقضية الاشتراكية نفسها وعلى طريق القضاء الكامل على الامبريالية والتجمعات الدولية للرأسمالية .. بمسمياتها الحديثة كالسوق الأوروبية المشتركة ..

إن قيادات العالم الثالث كي تبني استقلالها قد دخلت الأعباء التي يحملها المعسكر الاشتراكي والاتحاد السوفيتي .. كأحد العوامل والأسباب الرئيسية في انهيار التطبيق الاشتراكي .. وعلى حساب شعوب الدول الاشتراكية..

* بالنسبة للموقف من الصراعات السياسية التنظيمية داخل المعتقلات والسجون كنا فى نواة الحزب الشيوعى المصرى، ومن بعدها الطليعة الشيوعية نرى أهمية أن تتحول فترة السجن والاعتقالات المتتابعة إلى ندوات سياسية تطرح فيها حوارات حول الظروف السياسية التى تجتازها مصر وتطرح خلالها الأفكار المختلفة للوحة الصراع الطبقى فى مصر وطبيعة الثورة المصرية؟! وكانت هذه المسائل هى جوهر الخلاف فى الحركة الشيوعية المصرية.

وتحولت فترات الاعتقال دائما كي تصبح فرصة للحصول على الثقافة الماركسية وتبذل الجهود الشاقة لتهريب أغلب المؤلفات الماركسية للسجون والمعتقلات لقراءتها وفتح الحوار حولها .. وبذلك تحولت هذه الفترات إلى فرصة حقيقية كى تتحول فترات الاعتقال لتربية كوادر الحركة الشيوعية المصرية فكريًا .. وكثيرًا ما كانت تعرض وجهات النظر المختلفة ..

وشهدت فترات الاعتقال الطويلة فى الواحات الخارجة فى سجن المحاريق إجراء حوارات واسعة .. والتقاط الأخبار العالمية من أجهزه استقبال (راديو) صغيرة كنا نحرص على سرية تواجدها ونستمع فيها لإذاعات العالم يوميًا .. ويقوم جهاز من الزملاء بإعداد نشرة بهذه الأخبار يوميًا فى التاسعة أو العاشره صباحًا يذيعها عبد الستار الطويله وتمتد إذاعتها أحيانًا لعدة ساعات .. وسميت «واس» اختصاراً لاسم «وكالة أنباء عبد الستار الطويلة».

وشهدت هذه الفترة مدارس للغات والترجمة ..وأسست جامعة تحت اسم جامعة الشهيد شعبان حافظ كانت تقوم بهذا الدور ..

أما عن الصراعات السياسية والفكرية فأبرز أشكالها فى الواحات تبلورت فى مجلة الهواء ومجلة الناطقة ومجلة الأفق .. وكانت تعبر عن ثلاثة اتجاهات رئيسية فى الحركة الشيوعية المصرية. وكان تقييمى دائما أن الحوارات قد تكون مفيدة فى السجون والمعتقلات. ولكن كانت وجهة النظر السائدة أن الحوار حول وحدة الحركة الشيوعية المصرية لا يصلح أبداً داخل السجون والمعتقلات..

وأن الحوار من أجل الوحدة لابد وأن يصحبه تنسيق فى مجالات العمل السياسى اليومى وسط الجماهير حول نقاط الاتفاق .. وتعلق نقاط الخلاف كى تطرح على صفحات نشرة مشتركة تؤدى فى النهاية لوحدة فكرية تنتهي بمؤتمر عام ينتهى بالانتخاب للقيادة وتحديد الواجبات والمهام لاستراتيجية الثورة المصرية.. ولا تصلح السجون والمعتقلات لذلك ..

أما ما أود ذكره عن نضالات الشيوعيين داخل السجون والمعتقلات

ولعلنى أذكر واقعة لا أعتقد أنها جاءت فى شهادة أحد الزملاء حدثت فى معتقل «النزهه البحرى» بالاسكندرية فى بدايات شهر يونيه ١٩٥٢ وكنا حوالى خمسين معتقلاً فى هذا المعتقل كلهم من الشيوعيين وقررنا الاستيلاء على إدارة المعتقل فى صباح يوم من أيام شهر يونيه قبل قيام الانقلاب العسكرى فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وبالفعل حدث فى تمام الساعة ١٠ صباحاً أن توجهت مجموعة من الزملاء الذين عرفوا بليقاتهم البدنية منهم سعد عبد اللطيف الساعى وشحاته عبد الحليم وحمدى مرسى وأنا كاتب هذه الشهادة واحتجزنا عسكرى البوابة برتبة «إمباش» وأسندنا ظهره للحائط بعيداً عن البوابة.

وخرج المعتقلون جميعاً لاحتلال مبنى إدارة المعتقل فى تواجد «سيد فهمى» ضابط مباحث أمن الدولة الذى أصبح بعد ذلك وزيراً للداخلية..

وحددت إقامته على مقعد التف حوله ثلاثة من الزملاء، ورفع الزميل فرج الله إسكندر سماعة التليفون واتصل بالصحافة الأهرام، والأخبار، والصحف الأخرى بمدينة الاسكندرية وأخطرناهم بهذا التمرد، وطلبنا الافراج فوراً.

وبتنسيق كامل مع أهالي المعتقلين كانوا قد احتشدوا فى أكبر عدد منهم ودخلوا للمعتقل وجلسوا وسطنا .. مطالبين جميعاً بالإفراج الفورى عنا .. وكان النظام الملكى يمر فى أضعف أيامه .. وبالفعل انتهى هذا الموقف بأن صدر بعد يومين قرار بالإفراج عن دفعتين متتاليتين من المعتقلين ورحل إلى معتقل (الهايكستب) ما تبقى من المعتقلين.

لقد شهدت اعتقالات الستينيات حتى عام ١٩٦٥ أسماء كثيره لرفاق صمدوا صموداً بطولياً أمام حملات التعذيب الفردى والجماعى وسقط فريد حداد، وشهدى عطية الشافعى ورشدى خليل وحسب الله على مرسى وشعبان حافظ والعضو السابق بحزب ١٩٢٤ من الجيل الاول وساهم فى تأسيس عدد من الاحزاب العربية فى العراق وفلسطين وسحبت منه الجنسية المصريه .. وأحمد الكار، وصمود إسماعيل صبرى عبد الله فى أبو زعبل وعبد المنعم شتله ونجاتي عبد المجيد ويوسف درويش وفوزي حبشى بالفيوم، وعدلى جرجس ومحمد فخرى فى الفيوم.

وشهدت المعتقلات صمود وصلابة معظم كادر الحركة الشيوعية فى الواحات وأبو زعبل ..

ونادراً ما كنا نسمع عن انهيار أحد أمام أعنف حملات التعذيب بسجون ومعتقلات عبد الناصر .. وتحمل الجميع الجوع والتعذيب والأشغال والجلد والعرى والحفاء .. وفشل عبد الناصر ورجاله فى تصفية الحركة الشيوعية بهذه الوسائل الوحشية .. ومن المؤكد أن الذاكرة لم تسعفنى بتذكر بعض شهدائنا .. ولعل بعض الرفاق ستضمن شهاداتهم أسماء الجميع الذين صمدوا ببطولة فائقة ..

وعرفت المحاكم مواقف رائعة للمرافعات السياسية أمام المحاكم العسكرية ومحاكم أمن الدولة .. وأرشيف وزارة العدل حافل بهذه الثروات وذلك الصمود لرفاق أعطوا سنوات العمر وأعذبها خلف جدران السجون المصرية.

* لقد كان لنا فى التنظيم موقف من الحل الذاتى للتنظيمات وأسبابه وكيفيته فقد كانت كارثة حقيقية أن تلهث منظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى تحت فهم خاطئ وغريب بزعم أن عبد الناصر على رأس مجموعة اشتراكية فى قمة السلطة. وفوضت رجل واحد لم تشمله حملة الاعتقال الواسعة فى أول يناير عام ١٩٥٩ .. وهو «كمال عبد الحليم» المسئول السياسى «لحدتو» بإخطار عبد الناصر بهذا الحل ؟!

وجاء نص البيان متضمناً هذا التكليف فى أحد أعداد مجلة قضايا فكرية التى يرأس تحريرها «محمود أمين العالم» أحد قيادات «حدتو»

والجريمة الأبشع أن يلجأ الجناح الآخر «للحزب الشيوعى المصرى» بقيادة مجموعة «عمال وفلاحين» التى كانت ترى أن عبد الناصر يمثل نظام رأسمالية الدولة الاحتكارية؟!

فلجأت إلى خطوتين متتابعتين لحل الحزب..

الأولى : تجميد النشاط لفترة زمنية لا تزيد عن شهرين ..

الثانية : حل «الحزب الشيوعى المصرى» بعد رسالة حملها الأستاذان «ميشيل كامل» الذى لم يشمله الاعتقال فى حملة يناير ١٩٥٩ أو مارس من نفس هذا العام .. والثانى «لطفى الخولى» وكانت رسالة شفوية بتهديد مباشر باعتقال كل أعضاء هذا الحزب إن لم يصدر قرار بالحل ..

وصدر القرار ببيان نشر فى نفس عدد «قضايا فكرية» الذى تضمن قرار حل «حدتو»

ولقد كنت فى هذه المرحلة عضواً بهذا الحزب، ورفضت بالطبع هذه القرارات الغريبة.. وأبلغت أحد المسئولين برفض هذه القرارات .

* هناك رفاق راحلون أدوا أدواراً هامة فى الحركة الشيوعية المصرية ولم توثق أدوارهم ولذلك

١ - أرفقت شهادة مكتوبة فى عدة صفحات عن رفيقنا الراحل دكتور/ حسونه حسين.. أحد كوادر ومؤسسى حزب ١٩٢٤.

والذى انضم إلى منظمة العصبة الماركسية فى بدايات الأربعينيات وكان قد سحبت منه الجنسية المصرية بقرار من الملك فؤاد شمله وشمل شعبان حافظ..

وسيتقدم الزميل «عادل حسونه حسين» نجل هذا الرفيق الراحل وأحد رفاقنا فى رحلة نضالنا الطويل منذ الخمسينيات.. بتفصيلات أخرى عن والده.

ولقد رحل الدكتور/ حسونه حسين إلى الاتحاد السوفيتى بمساعده الكومنترن والحزب الشيوعى اليونانى .. وانتظم فى جامعة شعوب الشرق التى درس بها هو وشعبان حافظ.. وتزوج فى الاتحاد السوفيتى من سيدة سوفيتية وأنجب منها ابناً أصبح ضابطاً فى الجيش السوفيتى. وتعرف عليه شقيقه الزميل (عادل حسونه) فى بدايات السبعينيات بواسطة «عبد الملك خليل بواقيم» مندوب الأهرام حالياً بموسكو.. وزار القاهرة فى ضيافة «عادل حسونه» شقيقه.

أما الزملاء الذين استشهدوا فأذكر منهم رفيقنا الراحل «أحمد حسين البكار» الذى أصيب بالسرطان فى الأمعاء، فى منفى الواحات بالمحاريق بالوادى الجديد عام ١٩٦٣. وترك وقتاً طويلاً بالسجن دون أن يتم نقله إلى مستشفى متخصصة بالقاهرة .. وبعد أن ساءت حالته فى المعتقل وكاد أن يموت .. تم نقله للمستشفى الأميرى بالاسكندرية قبل وفاته بأيام قليلة.. وأفرجت الدولة عنه وهو بالمستشفى «وكان أحمد البكار» قد ارتبط بمنظمة «نحو حزب شيوعى مصرى» أواخر عام ١٩٤٩ بمدينة كوم الدكة وهو طالب بكلية الحقوق بجامعة الاسكندرية .. وقبض عليه عام ١٩٥٣ مع عدد من الرفاق وأودع بسجن الحضرة بالاسكندرية .. وصدر ضده حكم بالحبس ثلاثة سنوات أمضاها كلها بهذا السجن بالاسكندرية .. وساهم أحمد البكار فى حركة الكفاح المسلح فى القنال وكون بحى كوم الدكة هو والرفيق عادل كامل

فخرى لجنة للمقاومة الشعبية بالقنال..

٣- الرفيق/ محمود فؤاد المانسترلى ..

كان ضابطاً بسلاح الفرسان .. وكان أحد أفراد تنظيم الضباط الأحرار وأحد الذين شاركوا فى الانقلاب العسكرى فى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢.. وكان وثيق الصلة بيوسف صديق الضابط الشيوعى وعضو مجلس قياد الثورة.

وكان محمود المانسترلى عضواً بمنظمة نحو حزب شيوعى مصرى وطرد من الجيش عام ١٩٥٢ وعاصر فترات اعتقال طويلة من ١٩٥٤ حتى ١٩٥٦ بأوردى ليمان أبو زعبل واعتقل عام ١٩٥٩ حتى ١٩٦٤ بالواحات الخارجة..

وأدان حل التنظيمات الشيوعية السالف ذكرها وتوفى أواخر السبعينيات.

شهادة

محمد الجندي

البيانات الشخصية

الاســـــــــم : محمد يوسف أحمد الجندى

تاريخ وموطن الميلاد: ١٩٢٦/١/١٢ زفتى - غربية

المـــؤهــــلات : ليسانس حقوق جامعة القاهرة دبلوم لغة روسية من جامعة بودابست.

المـــــهــــن : سكرتير مجلس الشباب العالمى - بودابست ١٩٥٢ عن مصر والسودان. وكالة أنباء الشرق الأوسط ١٩٦٥ - ١٩٦٩.

مترجم بدار التقدم بموسكو من الروسية إلى العربية ١٩٦٩ - ١٩٧٥

مراسل أخبار اليوم بموسكو ١٩٧٠ - ١٩٧٦

مدير دار الثقافة الجديدة ١٩٦٨ حتى الآن

مدير دار يوليو للنشر ١٩٦٤ - ١٩٦٩

مدير دار العالم الثالث ١٩٩٢ حتى الآن

مجلة السلم والاشتراكية - براغ ١٩٨٦ - ١٩٩٠

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ١٧ سنة

فترة السجن والاعتقال :

٤ أيام فى صيف ١٩٤٦ فى الجيزة

يوم وليلة فى ههيا ١٩٤٨

١٥ يوماً فى سجن طنطا ١٩٤٨

من ١٢ مارس ١٩٤٩ حتى يونيو ١٩٥٠ (حكم ٥ سنوات - وهروب من السجن).

٣ أشهر فى سجن لاسانتيه فى باريس لدخول البلاد بدون أوراق

من ١٢ مايو ١٩٥٩ حتى يوليو ١٩٦٤ اعتقال (القلعة - سجن مصر - القناطر - أبو زعبل - الواحات).

١٨ ١٩ يناير ١٩٧٧ شهران

١٩٧٩ ثلاثة شهور

١٩٨١ تسعة شهور

أى بيانات شخصية أو عائلية أخرى تفيد فى التعرف على السيرة الذاتية

الوالد : يوسف أحمد الجندى

قاد ثورة زفتى ضد الاحتلال البريطانى ١٩١٩ ورأس اللجنة الثورية التى تكونت فى ذلك الوقت وعرفت بجمهورية زفتى.

منذ ١٩٢٤ انتخب عدة مرات عضوا فى مجلس النواب. وقدم مشروعات بإلغاء الأوقاف الأهلية واعترض على بعض المخصصات الملكية.

فى ١٩٣٦ عين وكيلاً برلمانياً لوزارة الداخلية فى عهد حكومة الوفد وفى ١٩٣٧ أختير وزيراً للمعارف (التربية والتعليم الآن) فاعترضت السراى - أزمة بين الوفد والسراى انتهت بإعادته وكيلاً برلمانياً للداخلية.

عين فى مجلس الشيوخ وكان نائباً لزعيم المعارضة وعرف بأنه زعيم المعارضة.

تأثرت بمواقف الوالد الديمقراطية والمعادية للسراى.

التعرف على الفكر الماركسى

أساسا من قراءاتى، وقد بدأت بقراءات عامة فى الفكر الاشتراكى والفكر النقدى والديمقراطى.

روايات عن الثورة الفرنسية والثورات المختلفة - عبد الرحمن الكواكبى- المجلة الجديدة.

ومن أهم الكتب التى أثرت علىّ وأنا فى المرحلة الثانوية - كتاب عن الاقتصاد السياسى لكاتبين غير يساريين هما عبد الحكيم الرفاعى ود. زكى عبد المتعال تعرضا لمشروع الخمس السنوات الأولى فى الاتحاد السوفيتى وجاء فى عرضهما أن الاتحاد السوفيتى هو البلد الوحيد الذى لم يعان من الأزمة الاقتصادية لعام ١٩٢٩ التى عمت بلدان العالم الرأسمالى.

ثم قراءات أخرى عن الاتحاد السوفيتى منها الدستور السوفيتى وكتبت بعد معركة ستالنجراد مقالا فى مجلة الشعلة الوفدية بعنوان «روسيا السوفيتية» ربطت فيه بين الانتصارات التى أحرزها السوفييت والنظام الاشتراكى مع اقتباسات من الدستور السوفييتى.

وبعد ذلك بدأت قراءاتى فى الماركسية - كتابات ماركس وانجلز ولينين وستالين وكتابات

أخرى عن الماركسية من أهمها كتاب بعنوان ما هى الماركسية؟ لمؤلف انجليزى هو اميل بيرنز. وقد قمت بترجمته وأعطيته للكثيرين من زملائى الطلبة فى كلية الحقوق لقراءته.

وإلى جانب القراءات كان لمناقشاتى مع بعض الأصدقاء مثل جمال العطيفى، ومحمد زكى هاشم أثرها فى ارتباطى بالفكر الاشتراكى.

المواقف السياسية السابقة على الانضمام للحركة الشيوعية

فى طفولتى وشبابى المبكر كنت وفديًا متأثرًا بوالدى، ثم تأثرت فى مرحلة الدراسة الثانوية بالفكر الاشتراكى وأسست مع حوالى ٣٠ شابا تنظيمًا باسم «جمعية البعث الاجتماعى» أعددنا له برنامجًا كان البند الأول فيه «إلغاء الملكية الفردية لوسائل الانتاج» وبعد مناقشات مع الاخوان المسلمين بناء على دعوتهم للمحاضرة فى شعبة الأخوان المسلمين فى زفتى باسم «الاشتراكية والإسلام». وألقيت محاضرة أخرى فى شعبة الاخوان المسلمين بالسيدة زينب بعنوان «التضامن الاجتماعى والإسلام» دعانى شباب الشعبة بعدها للقاء حسن البنا وكان حديثه معى ومع أخى الذى جاء معى يقتصر على الإشادة بأبى.

فى عام ١٩٤٤ أخبرنى جمال العطيفى بأن د. محمد زكى هاشم سيلقى محاضرة فى «لجنة نشر الثقافة الجديدة» عن «الملكية الزراعية فى مصر» فذهبت إلى هناك ولم يحضر زكى هاشم ولكنى التقيت بسعيد خيال رئيس اللجنة وتوطدت علاقاتنا وبدأ يزودنى بالكتب المختلفة عن الاشتراكية وعن الاتحاد السوفيتى وتعرفت هناك بعدد من الشباب أذكر منهم مصطفى كامل منيب وعبد الرحمن الشرقاوى ونعمان عاشور وأحمد صادق سعد وإبراهيم سعد الدين وغيرهم. وواظبت على التردد على لجنة نشر الثقافة الحديثة وكانت بشارع القصر العينى والتى كانت تنظم فيها محاضرات أسبوعية. وفى إحدى المرات التقيت بأنور عبد الملك الذى دعانى إلى «دار الأبحاث العلمية» التى اجتذبتنى أكثر بنشاطها الأوسع وبالعدد الذى يتردد عليها والمناقشات التى تدور والشخصيات التى تعرفت عليها هناك.

التنظيم «أو التنظيمات» التى ارتبطت بها

حدثت فى البداية محاولة لربطى بالحركة المصرية للتحرر الوطنى عن طريق محمد زكى هاشم. وقد حاول تكوين مجموعة منى ومن أخى أحمد وجمال العطيفى ولكنه لم يواظب على

اللقاء بنا. ولم أعرف أنه على صلة بالحركة المصرية إلا بعد ذلك. ثم جرت محاولة أخرى لربطى «بتحرير الشعب» عن طريق سعيد خيال الذى أخذ يزودنى بالكتب عن الاتحاد السوفيتى وعن الماركسية. ولكننى انتقلت إلى دار الأبحاث العلمية وبعدها بفترة انتظمت فى مجموعة يقودها شهدى عطية الشافعى لدراسة الماركسية الذى تحدثت عنها فى الفقرة السابقة وكان معى فى المجموعة أنور عبد الملك وظريف عبد الله. وبعد أربعة أشهر من الدراسة التى لم أشك أن وراءها تنظيماً سرياً. وفى إحدى الأمسيات فى دار الأبحاث العلمية اتفق معى شهدى على اللقاء بعد الأمسية وخرجنا معا نتجول فى الشوارع المحيطة وأخبرنى بأنه عضو فى تنظيم شيوعى سرى اسمه (شرارة) (إسكرا) وعرض علىّ الانضمام إليه. ونبهنى إلى أن ذلك قد يعرضنى لمخاطر السجن والاعتقال وخلافه. ولكننى وافقت على الفور وبلا أى تردد على الانضمام إليه. وافترقنا وأنا ممتلئ حماسا. بعد أن أصبحت عضوا فى «شرارة» انتقلت إلى خلية قاعدية كان مسئولها محمد جمال الدين شلبى الطالب بكلية الطب، وكان معى فى نفس الخلية لطيفة الزيات الطالبة بكلية الآداب قسم اللغة الانجليزية. وكنت طالبا فى كلية الحقوق. وأذكر أن بداية ارتباطى بمنظمة شرارة كان فى ١٩٤٤ - ١٩٤٥. بقيت فى شرارة وفيها تمت وحدة مع قسم من تحرير الشعب وقسم من منظمة القلعة. وفى صيف ١٩٤٧ تمت الوحدة مع الحركة المصرية للتحرر الوطنى وتكونت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى التى بقيت فيها. وبدأت فيها عضوا فى قيادة دائرة المثقفين بمسئولية كمال عبد الحليم وعضوية أسعد حليم ثم انتقلت للعمل فى الأقاليم. بقيت فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى إلى أن تمت الوحدة مع عدد من المنظمات وتكون الحزب الشيوعى المصرى الموحد عام ١٩٥٥.

تنظيم اسكرا الذى ارتبطت به نشأ بمبادرة من هليل شفارتس وهو يهودى ثقافته فرنسية. وقد بدأ نشاطه فى النوادى التى يتردد عليها الأجانب. وعندما أسس تنظيم شرارة كان يركز العمل بين الأجانب ولم يدخل قيادتها مصريون (شهدى عطية وعبد المعبود الجبلى) إلا قبل الوحدة مع الحركة المصرية مباشرة. وبعد الوحدة بين شرارة وح.م (الحركة المصرية للتحرر الوطنى) وجد قسم كبير من الأجانب (يهود - أرمن - يونانيين) جاء أساساً من اسكرا. قبل الوحدة مع ح.م اتحدت اسكرا مع قسم من تحرير الشعب ورفض القسم الآخر الوحدة وفضل أن يتحد مع الفجر الجديد. (من الشخصيات التى اتحدت مع اسكرا مارسيل اسرائيل موسى

تحرير الشعب وأسعد حليم. واتحد قسم من منظمة القلعة مع اسكرا (مصطفى هيكل - عبد الواحد بصيلة - عبد الرحمن بصيلة) واتحد آخرون مع ح.م (مثل فؤاد عبد الحليم - حمدى عبد الجواد).

واتحدت منظمة الطليعة فى الاسكندرية مع اسكرا.

كانت أكبر الوحدات هى الوحدة بين شرارة وح.م التى تمت فى صيف ١٩٤٧ - ودارت مناقشات الوحدة عدة شهور كانت تصدر فيها نشرة «الوحدة» التى كانت توزع على أعضاء التنظيمين. وكانت هناك خلافات انحصرت فى النهاية فى قضية «المركزية الديمقراطية» والانتخابات، وكانت إسكرا تقول بانتخاب القيادات. أما ح.م فكانت ترفض ذلك فى ظروف السرية. وفى هذه الاثناء كانت منظمة الفجر الجديد تحارب الوحدة وتصدر نشرة ضد هذه الوحدة ترسلها بالبريد إلى أعضاء التنظيمين المعروفين لها، وكانت تصلنى بالبريد على منزلى. وانتصرت فى النهاية وجهة نظر ح.م بالنسبة للانتخابات. وتكونت «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى» وأصبحت أكبر تنظيم فى ذلك الوقت وأصبح هنرى كوريبل مسئولا سياسيًا وهليل شفارتز مسئولا تنظيميًا وعبد المعبود الجبيلى مسئولا للدعاية. ولم ألتق بهليل شفارتز إلا بعد الوحدة باعتبارى مسئولا تنظيميًا لدائرة المثقفين وكان هو المسئول التنظيمى المركزى.

كان التنظيم يقوم على أساس فئوى - عمال - طلبة - مثقفون - أجانب - أقاليم، وقد نما التنظيم بشكل سريع ووصلت عضويته إلى أكثر من ٤٠٠٠ عضو ونما نشاطه. واستمر كذلك عدة شهور وبدأت التكتلات. وكان أولها التكتل الثورى بقيادة شهدى عطية.

ارتباط التنظيم بالطبقة العاملة من حيث : العضوية - الاشتراك فى المعارك والنضالات النقابية والاقتصادية

كان نشاط شرارة أساسا بين الطلبة وقد اتسع نشاطها هناك. ولكن كان هناك نشاط ضعيف بين العمال. أنشأت جامعة عمالية فى شارع ابراهيم باشا (الجمهورية حاليا) كانت تلقى فيها محاضرات على العمال. ولكن بعد الوحدة ونشأة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى اتسع النشاط بين العمال والذى قامت به فى البداية ح.م ثم اتسع بعد الوحدة وزادت العضوية والنشاط النقابى والجماهيرى وتكون كادر من أصول عمالية صعد بعضهم إلى اللجنة المركزية

مثل محمد سليمان رفاعى (بدر) ومحمد محمد شطا (حميدو). وكان للعمال الشيوعيين فى الحركات الاضرابية فى شبرا الخيمة والمحلة الكبرى واسكندرية وكفر الدوار دور بارز فى الحركة العمالية والنقابية وفى تجميع النقابات فى اتحاد عام للعمال. وكان القانون وقتها يمنع تكوين اتحاد للعمال. ومع ذلك دعى مندوبى أغلب النقابات إلى اجتماع فى أول مايو أعلن فيه تكوين المؤتمر العام لاتحاد عمال مصر وأصدر بيانا بالمطالب منها الاحتفال بأول مايو عيدا للعمال. وقد حاولوا فى البداية الاجتماع فى نادى الشرقية ولما منعه البوليس توجهوا سرا إلى منزلنا فى شارع معمل البارود فى القصر العينى وحضر حوالى ٢٠٠ مندوب ومندوبة ونشرت القرارات فى الصحف فى اليوم التالى.

وفى ١١ يوليو فى إطار حملة صدقى لمكافحة الشيوعية صدر قرار بحل المؤتمر. وكان للعمال فى الحركة الديمقراطية فى ح.م بالاشتراك مع الطلبة من شرارة دورهم فى تكوين اللجنة الوطنية للطلبة والعمال. وكان للعمال الشيوعيين فى حدتو الدور الأساسى فى تكوين اللجنة التحضيرية لاتحاد عمال مصر سنة ٥٠ - ٥١ والتى دعت إلى عقد مؤتمر عام أجهضه حريق القاهرة.

دور التنظيم وسط الفلاحين

لم يكن لشرارة عمل بين الفلاحين. ولكن كان للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى عمل بين الفلاحين كانت بداياته فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى ثم اتسع بعد الوحدة. وقد تكونت فى أواخر سنة ١٩٤٧ لجنة للأقاليم وكنت عضوا فيها بالاشتراك مع فؤاد عبد الحليم وحمدى عبد الجواد، وأصبح لحدتو خلايا فى كل محافظات الوجه البحرى والقبلى وتكونت لجان للفلاحين فى بعض القرى مثل ههيا ونبروه وميت يعيش وبعض قرى دكرنس وزفتى وغيرها. ووجد أعضاء من الفلاحين والعمال الزراعيين. وتكون كادر فلاحى من أبرزهم أحمد سليم الذى صعد إلى اللجنة المركزية، وصدرت جريدة سرية باسم «صوت الفلاحين» وكان للتنظيم دور فى إنشاء نقابات العمال الزراعيين التى كانت ممنوعة قانونا. وذلك فى الدقهلية وغيرها من القرى.

وقد رفع الشيوعيون شعار «الأرض لمن يفلحها». وكان لهذا الشعار فعل السحر وعلى أساسه تحدد الموقف من الملاك الذين يؤجرون أراضيهم ولا يكون لهم أى دور فى فلاحة الأرض.

وكانت الملكية الزراعية تركز فى أيدى فئة قليلة من كبار الملاك وارتفع عدد المستأجرين للأراضى الزراعية إلى مليونى شخص يتحكم فيهم ملاك الأرض. أما العمال الزراعيون وعمال التراحيل فكانت أحوالهم فى غاية البؤس.

فى هذه الظروف انتقل كادر حدتو للعمل فى الأقاليم وهو لم يذهب كزائرين للمدن والقرى، يلقى نظرة هنا أو هناك ويعود أدراجه بالقاهرة. لقد هجروا كل شئ: أسرهم ودراساتهم - وكانوا طلبة فى الجامعة - واحترفوا العمل الثورى وأقاموا فى الأقاليم البعض فى الوجه البحرى والبعض الآخر فى الوجه القبلى. وعندما اتسع العمل تكونت لجنة لبحرى وأخرى لقبلى وأقاموا ركائز للتنظيم فى مدن وقرى مصر.

المجلات التنظيمية والجماهيرية التى كان التنظيم يصدرها والكتب والدراسات التى صدرت عنه ودوره فى نشر الثقافة الماركسية ونوعية أعضائه بها؟

أصدرت إسكرا جريدة «الجماهير» وكان رئيس تحريرها محمود النبوى وبعد الوحدة مع ح.م أصبحت الجريدة تصدر عن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى وكان رئيس تحريرها شهدى عطية الشافعى. وكانت جريدة علنية. وإلى جانب التوزيع العادى كان الأعضاء يقومون بتوزيعها بأنفسهم. وكانت توزع باليد فى الجامعة وفى الأحياء، وفى الأقاليم، وكانت الجماهير تنشر أحيانًا بيانات الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى - وقد نشرت موقف حدتو من قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الأمم المتحدة.

وكانت حدتو تصدر مجلة - نصف سرية هى «كفاح العمال» ونشرة داخلية باسم «الكادر» وقد صدر عن الحركة المصرية للتحرر الوطنى ما عرف باسم الكتب الخضراء التى ترجمت داخل الحركة وطبعت بشكل سرى ومنها «**البيان الشيوعى**..» و«**القيمة والثمن والربح**» و«**إلى فقراء الفلاحين**» و«**رأس المال والعمل المأجور**» وغيرها من الكتب الماركسية الأساسية التى لعبت دورا هاما فى التثقيف. وفى عام ١٩٤٦ نشر شهدى عطية الشافعى وعبد المعبود الجبيلى كتاب «أهدافنا الوطنية» وكان وثيقة برنامجية وقد صدر بشكل علنى وكذلك «الاخوان المسلمون فى الميزان». وقد صدر عن الحركة المصرية للتحرر الوطنى جريدة علنية هى «أم درمان» التى كان يعمل بها عدد من الأعضاء النوبيين والسودانيين وكان شعارها هو «الكفاح

المشترك بين الشعب المصرى والشعب السودانى» وإلى جانب ذلك وجد عدد من الكورسات فى الحركة المصرية يدرسها المرشحون عن «تطور المجتمع». و«المجتمع الرأسمالى» إلخ أما فى إسكرا فكان التثقيف يتم بقراءة الكتب الماركسية وكانت كلها باللغة الانجليزية أو الفرنسية وتلخيصها وعرضها. وكانت تبدأ بدراسة المادية الجدلية والتاريخية معتمدة على كتاب ستالين ومقتطفات من مؤلفات انجلز. وتنتهى بدراسة تاريخ الحزب الشيوعى السوفيتى.

وفى الخمسينيات ظهرت «دار الفكر» التى أصدرت العديد من الكتب التقدمية والماركسية، وأغلقت فى الحملة ضد الشيوعية عام ١٩٥٩.

محاولات التنظيم لدراسة الواقع المصرى والدراسات التى صدرت عنه فى هذا الصدد

كانت فى البداية محاولاتٌ ضعيفة. منها دراسة عن الملكية الزراعية فى مصر قام بها محمد زكى هاشم. ودراسات فى دار الأبحاث العلمية وفى المجلات التى كانت تصدر وكان يشرف عليها التنظيم مثل «الفجر الجديد» و«الطليعة» و«أم درمان» و«الجماهير». وقد أنشئ فى الخمسينيات عدد من دور النشر أهمها دار الفكر والدار الديمقراطية وغيرهما. ومن أهم الكتب التى صدرت فى هذه الفترة دراسة لفوزى جرجس بعنوان «دراسات فى تاريخ مصر السياسى منذ العصر المملوكى» صدر ١٩٥٨ وكتاب لشهدى عطية الشافعى بعنوان «تاريخ الحركة الوطنية فى مصر».

المقومات الأساسية «استراتيجية - تكتيك - برنامج - لائحة تنظيمية» والخطوط التنظيمية والجماهيرية التى أصدرها التنظيم

كان الهدف الاستراتيجى دائما هو التحرر الوطنى ذا المضمون الاجتماعى. وكان الكفاح هو ضد الاستعمار البريطانى وأعوانه فى الداخل (الملكية والاقطاع وكبار الرأسماليين الكومبرادوريين المرتبطة مصالحهم بمصالح الاستعمار - وكنا لانحارب الاستعمار البريطانى وحده بل كنا نحذر من الاستعمار الأمريكى، وكنا نعتبره الخطر الأكبر خصوصا وأن بعض الأحزاب البورجوازية فى مصر كانت تروج لإحلاله محل الاستعمار البريطانى، وكان إسم الحركة

المصرية للتحرر الوطني ثم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني يعبران عن هذا الهدف الاستراتيجي وكنا نعتبر أننا في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية التي كنا نسعى لأن تتم بقيادة الطبقة العاملة التي يمثلها الشيوعيون وذلك في تحالف مع الفلاحين والمثقفين وكل الطبقات والفئات ذات المصلحة في التحرر الوطني الديمقراطي، وكانت الاشتراكية هي هدفنا الأبعد، **وأن تحقيق الثورة الوطنية الديمقراطية هو الطريق للانتقال بعد ذلك إلى بناء الاشتراكية.**

وبعض الأدبيات سواء العلنية أو السرية قد عبرت عن ذلك منها كتاب شهدي عطية وعبد المعبود الجبيلي «أهدافنا الوطنية». ولكننا كنا نضع من أهدافنا الأولى بناء حزب للطبقة العاملة. وقد عبر شهدي عطية عن ذلك في إحدى افتتاحيات الجماهير بعنوان «نريد حزبًا من نوع جديد» وذلك رغم أن حدتو في الواقع كانت تقوم بدور الحزب. ولكنها كانت تضع من أهم أهدافها وحدة الحركة الشيوعية - وكانت لنا مواقف تكتيكية مختلفة وهي محاولة التحالف مع الوفد أو مع القسم اليساري منه. ومن المواقف السياسية التكتيكية المطالبة بعرض القضية المصرية على مجلس الأمن بعد فشل مفاوضات صدقي - بيفن ثم خشبة- كامبل ثم كانت الموافقة على قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين ورفض الحرب في فلسطين ثم الكفاح المسلح في القنال، وكانت اللائحة التنظيمية تقوم على مبادئ المركزية الديمقراطية مع رفض الانتخابات الحزبية في الظروف السرية.

دوري في التنظيم والمستويات التنظيمية التي اشتركت فيها

في إسكرا كنت عضوا في خلية قاعدة وبعد الوحدة مباشرة وتأسيس الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني عينت مسئولاً تنظيميًا لدائرة المثقفين. ثم عملت في دائرة الأقاليم. وبعد اعتقالات ١٩٤٨ صُعدت إلى اللجنة المركزية وأصبحت مسئولاً عن منطقة الاسكندرية ثم مسئولا عن منطقة شبرا الخيمة واعتقلت في ١٢ مارس ١٩٤٩ وفي يونيو ١٩٥٠ هربت من السجن وسافرت إلى الخارج، وأصبحت عضوا في مجموعة الخارج في باريس ثم سافرت إلى المجر. وفي عام ١٩٥٥ وبعد الوحدة التي نتج عنها الحزب الشيوعي المصري الموحد اخترت عضوا في اللجنة المركزية وكنت وقتها في المجر، وعند عودتي إلى باريس عام ١٩٥٥ أصبحت

مسئولا عن مجموعة الخارج. ثم عدت إلى القاهرة سرا فى أغسطس ١٩٥٦ ومارست عملى فى اللجنة المركزية ثم انتخبت عضواً فى المكتب السياسى، وبعد فشل العدوان الثلاثى أصبحت مسئولا عن منطقة القنال ثم أصبحت مسئولا عن الدقهلية. وبعد الوحدة مع الحزب الشيوعى المصرى (الراية) وتكوين الحزب الشيوعى المصرى المتحد كنت عضوا فى اللجنة المركزية وفى المكتب السياسى، وبعد وحدة ٨ يناير ١٩٥٨ كنت عضوا فى اللجنة المركزية، وبعد الإنقسام أصبحت عضوا فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى (حدتو) وفى المكتب السياسى، وأيدت الخط الذى سارت عليه حدتو فى مساندة جمال عبد الناصر وواصلنا هذا الخط بعد الاعتقال، وبدأنا مناقشات داخل السجن بعد تأميم بنك مصر والبنك الأهلى حول وجود مجموعة اشتراكية غير علمية فى السلطة وعقد كونفرنس بعد مناقشات استمرت ستة شهور وصدر قرار المجموعة الاشتراكية. وأكدنا موقفنا بعد تأميمات ١٩٦١ وبعد صدور الميثاق صدرت عدة قرارات هامة داخل السجن (فى الواحات). ومنها القرار عن الفترة الانتقالية وعن التوجه لإنشاء تنظيم واحد مع المجموعة الاشتراكية، ورفض الدعوات لحل الحزب. وكان لى دور فى كل هذه القرارات، وفى مراسلة الصحفيين والمسئولين وجمال عبدالناصر للمطالبة بالافراج عنا.

بعد الافراج عنا عقد كونفرنس تقرر فيه تكوين قيادة ضيقة من أربعة أخترت عضوا فيها. ووافقت على القرار الخاص بقبول دخول التنظيم الطليعى. وكان القرار يقضى بأن يقطع من يقبلون فى التنظيم الطليعى صلتهم التنظيمية بالتنظيم الشيوعى وقد أخترت مع زكى مراد أعضاء فى التنظيم الطليعى ولهذا لم نشترك فى الكونفرنس الذى اتخذ قرارا بحل الحزب. ومع ذلك فكنا نوافق على القرار الذى اتخذ. رغم أننا تبينا خطأ هذا القرار فيما بعد.

تقييمي لدور المحترفين فى التنظيم

رأيى أن دور المحترفين فى التنظيم لا غنى عنه. وقد كان التنظيم يعتمد عليهم الاعتماد الأساسى وكانوا هم عماد التنظيم الذين تحملوا المسئوليات الأساسية فيه.

وقد قررت أنا شخصيا منذ ١٩٤٨ أن أكون محترفًا وعملت فى الأقاليم. وكان العمل فى الأقاليم يعتمد على الكادر المحترف وبدونه لم يكن ممكنا بنا، العمل هناك.

وقد كان هذا هو موقف حدتو باستمرار. وبعد وحدة ٨ يناير ١٩٥٨ ثار خلاف حول موضوع المحترفين ووقفنا (ممثلو حدتو) ضد المحاولات لتصفية الاحتراف والمحترفين التى كانت أحد الأسباب التى أدت إلى الانقسام.

الموقف من التنظيمات الأخرى والتنسيق معها والموقف من قضية تكون الحزب الواحد

كان موقف التنظيمات التى اشتركت فيها (اسكرا - ح.م - حدتو - الحزب الشيوعى المصرى الموحد) وموقفى شخصيًا مع الوحدة رغم انتقاداتنا وملاحظاتنا على ممارسات التنظيمات الأخرى. وكنا فى كل الأوقات مع التنسيق معها. وقد جرى هذا التنسيق فى الجامعة فى أحداث ١٩٤٦ وتكوين اللجنة الوطنية للطلبة والعمال وكنا دائما نسعى للتنسيق والعمل المشترك.

ولى رأى ورد فى المؤلف الذى أصدرته باسم «اليسار والحركة الوطنية المصرية ١٩٤٠ - ١٩٥٠» أنه وجد دائما فى الحركة الشيوعية المصرية تيار ثورى وتيار انتهازى دون ربط أى من التيارين بتنظيم معين، وذكرت أن التيار الثورى كان دائما مع الوحدة ومع تكوين الحزب الواحد.

موقف التنظيم وموقفى من وحدة «٨ يناير» والانقسامات التى أعقبتها

سعت حدتو منذ نشأتها لتحقيق الوحدة وتكوين الحزب الواحد. وحدتو نفسها هى نتيجة وحدة بين اسكرا و ح.م وعدد من التنظيمات الصغيرة الأخرى مثل القلعة وجزء من تحرير الشعب والطليعة. وقد وقف تنظيم «الفجر الجديد» الذى أصبح يسمى بعد ذلك «العمال والفلاحين» موقفًا معاديًا من وحدة حدتو وأصدر المنشورات التى كانت ترسل بالبريد لمهاجمة حدتو وهذه الوحدة. وقف ضد إنشاء حركة السلام المصرية وحاربها بطرق مختلفة. ومع ذلك فكان موقف حدتو دائما مع الوحدة وقد نجحت هذه الجهود فى الوحدة مع خمس منظمات صغيرة وتكون الحزب الشيوعى المصرى الموحد رغم فرض شروط قاسية مثل استبعاد بعض القياديين فى حدتو. وسعى الحزب الموحد بعد ذلك إلى تحقيق الوحدة مع الحزب الشيوعى المصرى (الراية) وضرب العمال والفلاحين. وفى عام ١٩٥٧ تحققت الوحدة مع (الراية) وتكون

الحزب الشيوعى المصرى المتحد.

ورأى حدتو ورأيى أن الانقسام الذي تم هو نتيجة اتفاق بين الراية والعمال والفلاحين الذى أصبحت لهم أغلبية بعد التنازلات التى قدمتها حدتو فى سبيل الوحدة «لضرب حدتو». وقد اعترف بعد ذلك بعض عناصر الراية «محمد سيد أحمد» بذلك. واستخدمت هذه العناصر بعد ذلك وضعها كأغلبية فى فصل العناصر القيادية لحدتو. الأمر الذى أدى إلى الانقسام.

موقف التنظيم وموقفى من اليهود والأجانب فى الحركة الشيوعية دورهم فى التنظيم

كان للأجانب واليهود الدور الأساسى فى نشأة الحركة الشيوعية المصرية فى الأربعينيات. وكان هذا أمرا طبيعيًا بسبب وضع الأقليات الأجنبية ومن بينهم اليهود فى مصر فى ذلك الوقت بسبب الامتيازات التى كانوا يتمتعون بها، وضعف القبضة الارهابية للدولة تجاههم بعد ضرب الحركة الشيوعية فى العشرينيات، وبسبب موقف اليهود ضد الفاشية فى الحرب العالمية الثانية.

وقد رفعت الحركة الشيوعية (الحركة المصرية للتحرر الوطنى) شعار التمصير منذ البداية بحيث أن قيادات الحركة الشيوعية منذ بداية الخمسينيات كانت تقتصر على المصريين.

(انظر الرد على محمود السعدنى ومحمد سيد أحمد فى الأهالى عدد ٢٠ أغسطس ١٩٩٧) وقد عرضت فيها رأيى بالنسبة لهذه القضية).

المعارك الجماهيرية السياسية والنقابية وأنشطة التضامن القومى والأممى التى شارك فيها التنظيم.

ساهم التنظيم منذ نشأته فى الأربعينيات في كل المعارك الجماهيرية السياسية والنقابية وأنشطة التضامن القومى والأممى، وهو أمر يحتاج حصره بالتفصيل إلى مؤلف أو مؤلفات كبيرة.

ويمكن فى ذلك الرجوع إلي العديد من المؤلفات عن تاريخ الحركة الوطنية والنقابية المصرية

مثل مؤلفات طارق البشرى وعبد العظيم رمضان وشهدى عطية ورءوف عباس ورفعت السعيد وغيرهم.

ومن أبرز أدوار تنظيم حدتو الدور الذى لعبته فى الحركة العمالية فى الأربعينيات فى شبرا الخيمة والمحلة ثم دوره فى الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية وفى تحديد توجهاتها الاساسية، وفى المعارك التى دارت لتأسيس اتحاد لنقابات العمال سواء فى ١٩٤٦ أو ١٩٥١ أو بعد ثورة يوليو ١٩٥٢. وكان دور حدتو هو الدور الأساسى بين كل التنظيمات الأساسية. ثم دورها (اسكرا - وح.م) فى تأسيس اللجنة الوطنية للطلبة والعمال وما صاحبها من تحركات جماهيرية. ودور التنظيم فى إنشاء حركة السلام المصرية التى كانت تضم ممثلين لكل الاحزاب السياسية القائمة فى مصر وحملة التوقيعات على نداء استكهولم ومعارك الكفاح المسلح فى القنال. ثم الموقف من تأييد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢. والاشتراك البارز لممثلى الحزب الشيوعى المصرى الموحد ضد العدوان الثلاثى فى بورسعيد واصدار مجلة «الانتصار» هناك. وذلك إلى جانب العديد من الصحف الجماهيرية التى أصدرها التنظيم (الجماهير - الملايين - الواجب الخ). ومن المواقف القومية الذى تتميز بها حدتو الموقف من الحرب فى فلسطين وقبلها معارضة هجرة اليهود إليها وتأسيس «رابطة اليهود لمكافحة الصهيونية». ومن المواقف الأممية مساعدة اليونانيين والايطاليين الشيوعيين من اضطهاد الانظمة الرجعية فى بلادهم - والقيام بدور أساسى فى تأسيس الحركة السودانية للتحرر الوطنى التى تحولت إلى الحزب الشيوعى السودانى فقد كان قادة الحزب الشيوعى السودانى وعلى رأسهم عبد الخالق محجوب - أعضاء فى «حدتو».

وقد ساهمت شخصيًا فى الكثير من هذه المعارك. وبالذات فى اللجنة الوطنية للطلبة والعمال - الذي قمت بدورى فى الاعداد لها فى الاجتماعات التى كانت تضم طلبة اسكرا وح.م فى الجامعة الشعبية بشارع ابراهيم باشا (الجمهورية حاليًا) واشتركت فى الأعمال التحضيرية فى ملاعب كلية الطب، وفى المظاهرات التى قامت من الجامعة فى ذلك الوقت. وكانت أغلب اجتماعات اللجنة الوطنية للطلبة والعمال تعقد فى منزلى، وكذلك الاجتماع التأسيسى لمؤتمر عمال مصر، فى أول مايو ١٩٤٦.

مواقف التنظيم ومواقفي من الاحتلال الانجليزى فى مراحله المختلفة حتى اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤

كان نضال التنظيم (اسكرا -ح.م - حدتو) هو ضد الاستعمار البريطانى وكل مظاهره من احتلال عسكرى وسيطرة سياسية وكل أنواع السيطرة التى كان يمارسها) وكان للتنظيم الدور الأساسي والريادى فى الحركات الجماهيرية بعد الحرب العالمية الثانية، سواء فى المظاهرات أو الاضرابات أو تحديد الأهداف الوطنية وكان موقفنا هو المطالبة بإنهاء الاحتلال البريطانى وعدم الاقتصار على ذلك بل ورفض أى ارتباط سياسى أو عسكرى أواقتصادى أو ثقافى بالاستعمار البريطانى، وكان ذلك واضحاً فى مختلف الاصدارات والصحف التى كانت تصدر عن رموز التنظيم فى ذلك الوقت مثل : أهدافنا الوطنية (شهدى عطية وعبد المعبود الجبيلى)، صحف أم درمان والجماهير والطليعة والمطبوعات السرية مثل كفاح العمال وغيرها من المنشورات).

وكان للتنظيم الدور الأساسى في أحداث ١٩٤٦ وتأسيس اللجنة الوطنية للطلبة والعمال وتحديد الموقف من الاحتلال الانجليزى والاستعمار البريطانى والذى كان يختلف عن موقف كل الأحزاب البورجوازية التى كانت تقنع بالمطالبة بالتفاوض مع الانجليز من أجل الجلاء، مع عقد معاهدة للتحالف وهو الأمر الذى كان يرفضه التنظيم ورفضته اللجنة الوطنية للطلبة والعمال.

وقد لعب التنظيم الدور الأساسى فى إفشال معاهدتى صدقى بيفن وخشبة كامبل - ثم طالب على صفحات جريدة الجماهير بعرض القضية على مجلس الأمن. ثم طالب بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ التى ألغتها حكومة الوفد بعد ذلك تحت الضغط الشعبى ثم دعا إلى الكفاح المسلح فى القنال ضد الاحتلال البريطانى وشارك فيه مناضلو التنظيم مشاركة فعالة. وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ عارض التنظيم اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤.

أما بالنسبة لدورى الشخصى فقد ساهمت فى كل هذه المعارك قبل مارس ١٩٤٩ عندما قبض على وحكم علىَّ بخمس سنوات وهروبى إلى الخارج.

وكان لى دور نشط فى الحركة الوطنية فى الأربعينيات، وفى تأسيس اللجنة الوطنية للطلبة والعمال وقد سبق أن تحدثت عنه (أنظر بتفصيل أكبر كتيب «٢١ فبراير - توجه جديد للحركة الوطنية المصرية - تأليف محمد الجندى).

موقف التنظيم وموقفى من القضية الفلسطينية

قبل صدور قرار التقسيم عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ كان التنظيم يعارض هجرة اليهود إلى فلسطين. وكان وظل يناضل ضد الصهيونية وكون اليهود أعضاء التنظيم «رابطة اليهود لمكافحة الصهيونية» التى حلها النقراشي باشا. وكان التنظيم يرى قيام دولة ديمقراطية تضم العرب واليهود فى فلسطين وكان يطالب بجلاء الجيش البريطانى وإنهاء الاحتلال البريطانى. وبعد صدور قرار التقسيم أيدت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى القراريس باعتباره أحسن الحلول ولكن باعتباره الحل السياسى الوحيد الممكن بعد رفض اليهود والعرب قيام دولة واحدة، وكذلك معارضة الحرب التى قامت بتأييد إن لم يكن بمساندة بريطانية لصرف الأنظار عن الاحتلال البريطانى لمصر والأردن وفلسطين. (كان الجنرال جلوب البريطانى هو الذى قاد جيوش الأردن). وشنت الحرب دون استعداد حقيقى من جانب الحكومات الرسمية (فضيحة الأسلحة الفاسدة التى كانت تنفجر فى الجنود والضباط المصريين)، استخدمت الحرب لإعلان الأحكام العرفية واعتقال القوى الوطنية وفى مقدمتهم الشيوعيون).

وكان التنظيم دائما مع قيام دولة فلسطينية وهو الأمر الذى حاربته الحكومات العربية (استيلاء الأردن على الضفة الغربية والحكومة المصرية على قطاع غزة). ودعونا للسلام بين العرب واسرائيل على أساس قرارات الأمم المتحدة. ووقفنا ضد إثارة العداء ضد اليهود الأمر الذى كان يصب فى النهاية لخدمة الأهداف الصهيونية التى كانت ترى أن الحل الوحيد للمشكلة اليهودية هو في اقامة وطن قومي لليهود، وقد عارضنا ذلك ورأينا أن اليهود يجب أن يكونوا مواطنين فى البلاد التى يعيشون فيها.

أيدنا قرارات مؤتمر باندونج التى دعت إلى تطبيق قرارات الأمم المتحدة، ودعونا للتعاون مع قوى السلام فى اسرائيل ضد السياسة العدوانية الاسرائيلية. وكان التركيز بعد ذلك خصوصا بعد العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ هو ضد السياسة العدوانية والتوسعية الاسرائيلية. وبعد عدوان ١٩٦٧ أيدنا موقف عبد الناصر من الموافقة على قرارات الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٤ وطالبنا بجلاء القوات الاسرائيلية. وأيدنا قيام منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الوحيد للشعب الفلسطينى.

ومواقفى تتطابق مع مواقف التنظيم ويظهر ذلك من المنشور الذى أصدرناه سنة ١٩٤٨ عند عودة أبطال الفالوجا والضجة التى أثيرت حولهم وكان عنوان المنشور «أبطال الفالوجا يجب أن يكونوا أبطال القنال».

(انظر مقالى فى الأهالى ردا على نايف حواتمه - ومقدمة كتاب جويل بينين «العلم الأحمر هل كان يرفرف هناك؟).

الموقف من النضال المسلح فى القنال

نادينا بالكفاح المسلح بعد إفشال معاهدة صدقى بيفن وخشبة كامبل وعرض القضية على مجلس الأمن ثم إلغاء معاهدة ١٩٣٦ واشتركنا فى الكفاح المسلح فى القنال.

لم أشترك شخصياً فى الكفاح المسلح فحتى ١٩٥٠ كنت فى السجن ثم هربت فى أوائل ١٩٥١ إلى الخارج ولكننى كنت أؤيد الكفاح المسلح.

الموقف من الأحزاب الأخرى قبل ثورة ١٩٥٢

كان التنظيم فى الأربعينيات يعتبر حزب الوفد هو الحزب الممثل للغالبية وكان يؤيده فيما يتعلق بقضايا الديمقراطية والحريات ضد مواقف السراى وأحزاب الأقلية (الأحرار - الدستوريين - والسعديين الخ) - وكان يفرق داخل الوفد بين أجنحته المختلفة، وكان يعتبر فؤاد سراج الدين ممثلا للاتجاه اليمينى، وكان صبرى أبو علم يمثل الاتجاه الأكثر تقدما، وكان التنظيم يتعاون مع الطليعة الوفدية. وكان يعارض الحزب الوطنى الذى كان يتحالف مع أحزاب الأقلية ضد الوفد. وكان يعتبر مصر الفتاة حزباً فاشياً قبل تطوره بعد ذلك بعد نهاية الحرب وتغيير توجهاته وتسمية نفسه بالحزب الاشتراكى. واصطدم مع الاخوان المسلمين الذين لعبوا دوراً رجعياً فى أحداث ١٩٤٦.

وبعد التطور الذى حدث لمصر الفتاة وتحوله إلى حزب اشتراكى غير التنظيم موقفه منه وكان يتحالف معه فى كثير من المواقف، وكذلك حدث تطور فى تنظيم الاخوان المسلمين وكان هناك تعاون بالنسبة لبعض القضايا.

الموقف من حركة أنصار السلام في مراحلها المختلفة

كانت حدتو هى التنظيم الذى أنشأ حركة السلام عام ١٩٥٠ وكان دور كمال عبد الحليم ويوسف حلمى وسعد كامل أساسيا فى هذا المجال. وكان يوسف حلمى وسعد كامل عضوان قياديين فى الحزب الوطنى، ثم أصبح يوسف حلمى سكرتيرا لحركة السلام وأصدر مجلة المكاتب التى أصبحت لسان حال حركة السلام وجمعت آلاف التوقيعات على نداء استوكهولم الذى يطالب بمنع الأسلحة النووية. واستطاعت حركة السلام أن تضم إلى صفوفها ممثلين من مختلف الأحزاب والاتجاهات (فكان هناك ممثلون من الوفد والحزب الوطنى ومصر الفتاة والاخوان المسلمين والأحرار الدستوريين). وكثير من الكتاب والصحفيين مثل احسان عبد القدوس وعدد من الفنانين والنقابيين. وارتبطت حركة السلام المصرية بمجلس السلام العالمى. ومن الشخصيات البارزة فى حركة السلام سيزانيراوى وحنفى الشريف وحفنى محمود وغيرهم.

ومع نمو حركة السلام واتساع نشاطهم بدأت الحكومة تهتم بنشاطها وترسل مندوبين فى وفود حركة السلام العالمية حتى أثناء وجود يوسف حلمى فى المنفى.

وكان موقف حركة السلام المصرية أن النضال من أجل التحرر الوطنى هو نضال من أجل السلام، وأن النضال من أجل السلام يدعم حركة التحرر الوطنى - أما بالنسبة للسلام بين العرب واسرائيل فقد دعت إليه حركة السلام على أساس قرارات الأمم المتحدة واشتركت فى عديد من المؤتمرات العالمية في هذا الاتجاه.

ومع اتساع ونمو حركة السلام سعت السلطة إلي تحويل حركة السلام إلى تنظيم رسمى خاضع لها.

أما بالنسبة لموقفى فقد أيدت حركة السلام منذ نشأتها وفى نشاطها فى المراحل المختلفة. وفى سنة ١٩٧٢ اخترت من مجلس السلام المصرى مندوبا فى سكرتارية مجلس السلام فى هلنسكى. وأصبحت عضوا فى مجلس السلام المصرى.

وفى الخلاف الذى نشأ فى نهاية الخمسينيات حول جماهيرية حركة السلام أو شرعيتها كنت أرى أن الجهد يجب أن يوجه في الأساس إلى تدعيم جماهيريتها وأن هذه الجماهيرية هى التى ستفرض شرعيتها.

الموقف من سلطة يوليو ومن تنظيماتها في المراحل المختلفة (هيئة التحرير - الاتحاد القومي - الاتحاد الاشتراكى)

أيدت حدتو ثورة يوليو وكانت أول هيئة سياسية تصدر منشورا بتأييد حركة الجيش. ولقد لعب يوسف صديق عضو حدتو دوراً حاسماً فى نجاح حركة الجيش واعتقال قيادة الجيش. وكان بعض الضباط الأحرار أعضاء فى حدتو، وساهمت حدتو فى وضع برنامج الضباط الأحرار وطبع منشوراتهم.

وقد أيدت حدتو سلطة يوليو. وبدأ التحول بعد أحداث كفر الدوار ثم إعلان حل الأحزاب، ومنذ ١٩٥٣ كان شعار اسقاط الدكتاتورية العسكرية والصدام مع سلطة يوليو واعتقال الشيوعيين والمحاكمات العسكرية. وبدأ التحول بعد باندونج ثم صفقة الأسلحة التشيكية، وكان التحول تدريجيا، وكانت قيادة حدتو موزعة على الواحات وسجن القناطر ومعتقل أبى زعبل والخارج. وفى ١٩٥٥ اتحدت حدتو مع خمس منظمات أخرى وتكون الحزب الشيوعى المصرى الموحد وكانت قيادة الخارج آخر من قام بتغيير الموقف من الاسقاط إلى التأييد.

وكانت قيادة الواحات من أوائل من دعا إلى تغيير الموقف وتأييد سياسة جمال عبد الناصر الوطنية، ورغم أن وحدة الحزب الشيوعى الموحد كانت تقوم على إسقاط الدكتاتورية العسكرية فقد عدل موقفه بعد ذلك إلى التأييد الذى تأكد بعد تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثى ثم التأميمات.

وقد ارتبط الموقف من التنظيمات المختلفة (هيئة التحرير - الاتحاد القومى - الاتحاد الاشتراكى) بالموقف من السلطة فى الفترات المختلفة. فبينما كنا نعتبر هيئة التحرير حزب السلطة الذى نحاربه وندعو إلى حرية تكوين الأحزاب، فإن موقفنا من الاتحاد القومى كان مختلفًا وقد ارتبط ذلك بتغيير موقفنا من السلطة، وكانت حدتو تدعو فى ١٩٥٨ إلى دخول الاتحاد القومى ومحاولة تحويله إلى جبهة.

أما الاتحاد الاشتراكى فقد تكون وغالبية كوادر حدتو فى السجن ومعزولين سياسيا، وعند الافراج عنهم طالبوا برفع العزل السياسى. وكان الموقف هو دخول الاتحاد الاشتراكى والعمل على وحدة القوى الاشتراكية وتكوين تنظيم واحد مع المجموعة الاشتراكية. وأيدت حدتو دخول الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى. وكانت تتم عمليات تضليل مختلفة من قيادة هذا الجهاز

السـيـاسى (التنظيم الطليعى) من دخول بعض اعضـاء حدتو وعند إعادة تنظيم (التنظيم الطليعى) لم يتم الاتصال بعدد كبير منهم مثل زكى مراد ومثلى.

أما عن موقفى فقد بدأ التغيير عندى بعد مؤتمر باندونج وكتبت تقريراً إلى القيادة أطلب منها تغير الموقف وكنت وقتها فى المجر .

الموقف من قوانين الاصلاح الزراعى

كان التنظيم يعمل فى الجمعيات التعاونية الزراعية، ويدافع عن مصالح المستفيدين من الاصلاح الزراعى ضد الموظفين البيروقراطيين وضد الملاك الذين طبق عليهم قوانين الاصلاح الزراعى. وكانت منظمات التنظيم في الأقاليم تعمل مع الفلاحين والعمال الزراعيين وتعرفهم بحقوقهم. وأصدر التنظيم «صوت الفلاحين». وقد ساعد التنظيم العمال الزراعيين فى تكوين نقاباتهم فى عدد من القرى، واستطاع تكوين كادر شيوعى من الفلاحين والعمال الزراعيين وأصبح أحد هؤلاء العمال الزراعيين عضواً فى اللجنة المركزية للتنظيم.

الموقف من أحداث كفر الدوار

دافع التنظيم عن العمال فى أحداث كفر الدوار وأيد إضرابهم ووصف التخريب الذى تم بأنه مؤامرة من أعداء العمال (حافظ عفيفى وغيره) لخلق العداء بين العمال والثورة. وأخطر الزملاء النقابيون اتحاد النقابات العالمى لكي يبعث برسالة إلى قادة الثورة للافراج عن العمال المعتقلين وعلى رأسهم خميس والبقري. وبعث الاتحاد بهذه البرقية.

وقد كنت وقتها فى بودابست فى اتحاد الشباب الديمقراطى العالمى. وكنت فى نقاش مستمر مع ممثلى باقى الأحزاب الذين كانوا يهاجمون حركة الجيش ١٩٥٢، بينما أيدتها منذ البداية ونشر لى حديث فى جريدة الشباب المجرى أؤكد فيه هذا الموقف. وكان هو نفس موقف التنظيم الذى أنتمى إليه وهو حدتو.

الموقف من هبة مارس ١٩٥٤

منذ بداية ١٩٥٣ غيَّر تنظيم حدتو موقفه من سلطة يوليو من التأييد إلى المعارضة، ووصل إلى المناداة بالاطاحة بالدكتاتورية العسكرية وذلك بعد حل الأحزاب وفرض الدكتاتورية

والاعتقالات ضد الشيوعيين وبدء المفاوضة مع الانجليز واتفاقية النقطة الرابعة وغيرها من الاجراءات. وبدأنا نعمل لتكوين جبهة تضم القوى السياسية المعارضة ضد الدكتاتورية العسكرية ولهذا كان من الطبيعى أن يؤيد التنظيم هبة مارس ١٩٥٤.

وكنت وقتها فى المجر - وكنت قد تركت العمل فى اتحاد الشباب وانتقلت للدراسة فى الجامعة، ولم يكن لى نشاط عملى وكانت تصلنى أخبار مصر من الصحف المصرية التى كانت تصلنى ومن رسائل ومطبوعات التنظيم التى تصلنى.

الموقف من ضرب السلطة للإخوان المسلمين عام ١٩٥٤

كان التنظيم يعارض السلطة فى ذلك الوقت ويدعو لاسقاط الدكتاتورية العسكرية، وكان يتحالف مع عدد من الأحزاب المعارضة من بينها الاخوان المسلمون. ولهذا كان من الطبيعى أن يعارض ضرب السلطة للاخوان المسلمين فى ذلك الوقت حيث كان الارهاب والاعتقالات والاحكام بالسجن تشمل الشيوعيين والإخوان المسلمين وغيرهم، وقد كانت السجون وقتها تضم الشيوعيين والاخوان المسلمين وشاهد بعضهم اعدام سيد قطب وغيره. وذلك رغم الاختلاف بين الشيوعيين والاخوان المسلمين فى كثير من المواقف.

الموقف من مؤتمر باندونج وصفقه الأسلحة التشيكية عام ١٩٥٥

كان مؤتمر باندونج واشتراك جمال عبد الناصر وبدء العلاقات الخاصة بينه وبين نهرو وشوان لاى حدثا دعا إلى إعادة التفكير وإعادة النظر فى الموقف من يوليو ومن جمال عبد الناصر بالذات، وقد أعقب ذلك صفقة الأسلحة التشيكية التى ساعدت أيضًا فى هذا التحول. وكانت قيادة الحزب الشيوعى المصرى الموحد الذى نتج عن وحدة حدتو مع خمس منظمات أخرى موزعة على جناح (الواحات) والقناطر ومعتقل أبى زعبل وخارج السجون. أما أنا فكنت موجوداً خارج مصر فى المجر ثم باريس، وقد بدأ التحول فى الواحات وتبعهم الزملاء فى السجون الأخرى، وأخيراً خارج السجون وكان ذلك يتم بشكل تدريجى، وكان التغيير خارج السجون بطيئا وكانت بدايته تقرير للقيادة يتحدث عن الايجابيات الجديدة لدى سلطة يوليو، ودعا إلى تأييدها وانتهى التقرير بأن هذا هو الطريق لاسقاط الدكتاتورية العسكرية، وكان

هذا يعبر عن التردد الشديد والخوف من اتخاذ هذه الخطوة.

وكان من أوائل من ذكر الايجابيات بعض الزملاء القيادين الذين أصدروا ما سمى «بيان السجن الحربى» الذى أدى إلى ثورة التنظيم عليهم واتهامهم بالخيانة.

أما عن موقفى فقد تأثرت كثيراً بمؤتمر باندونج وكنت وقتها فى المجر، وتأثرت أيضاً ببعض الكتابات التى كنت أقرأها فى الخارج فى الصحافة السوفيتية والتى كانت تقيم ايجابيا التحولات فى موقف سلطة يوليو. وأذكر أنى كتبت تقريراً بهذا المعنى إلى قيادة الحزب أدعوها فيه إلى إعادة النظر فى الموقف من عبد الناصر ومساندة الخطوات الايجابية.

الموقف من تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثى

اعتبر التنظيم تأميم قنال السويس خطوة وطنية كبرى فى المعركة ضد الاستعمار، وأعلن تأييده لجمال عبد الناصر كقائد وطنى، وحسم أي تردد سابق فى تأييد جمال عبد الناصر، ودعا الجماهير لمسانده هذه الخطوة والدفاع عنها. وحذر أعضاء التنظيم فى الخارج من المؤامرات التى تدبر للعدوان على مصر، وأرسلوا معلومات وصلت إليهم عن الترتيب للعدوان الثلاثى، وأرسلت إلى جمال عبد الناصر عن طريق ثروت عكاشة الذى كان ملحقًا عسكريًا بالسفارة المصرية فى باريس.

وعندما بدأ العدوان الثلاثى أرسل التنظيم بعض أعضائه إلى بورسعيد للاشتراك مع بعض رجال عبد الناصر لمقاومة العدوان. وفى الوقت الذى أبدى فيه محافظ بورسعيد وبعض الاداريين هناك موقفًا متخاذلاً أصدر زملاؤنا فى بورسعيد جريدة سرية للمقاومة تحت اسم «الانتصار». ومن أبرز الأسماء التى ذهبت لبورسعيد أحمد الرفاعى وسعد رحمى وعبد المنعم شعلة وعريان نصيف وغيرهم.

أما بالنسبة لموقفى فقد حدث تأميم القنال السويس وأنا فى الخارج فى باريس وكنت أعد للعودة سراً إلى مصر. وقد عدت عن طريق السودان الذى بقيت فيها شهراً ثم دخلت مصر سرا بمساعدة الرفاق السودانيين وعشت مختفيًا فى القاهرة، واتصلت بالتنظيم. وبعد العدوان الثلاثى قلت درجة اختفائى واشتركت فى المقاومة الشعبية فى إحدى المجموعات التى تكونت سرا وتعلمت اطلاق النار، كل ذلك تم أثناء اختفائى.

الموقف من انتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧

كان للتنظيم (الحزب الشيوعى المصرى الموحد) فى ذلك الوقت خطته المستقلة بالنسبة لانتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧. لا أذكر كل تفاصيلها الآن ولكن كان له بعض المرشحين مثل الدكتور فائق فريد الذى رشحه وساعده أعضاء الحزب فى المعركة الانتخابية. وكان له مرشحون آخرون اعترض عليهم الاتحاد القومى لا أذكرهم الآن بالاسم.

وكان موقف الحزب بخلاف تأييد مرشحينا، تأييد المرشحين العمال وعدم التنافس معهم فى دوائرهم. ولهذا اختلفنا مع د. عبد العظيم أنيس ومع بعض التنظيمات الأخرى عندما رشح نفسه ضد عبد العزيز مصطفى الذى أيدناه. وكنا فى المعركة الانتخابية ندافع عن سياسة جمال عبد الناصر الوطنية.

الموقف من مشروعات الأحلاف العسكرية (ايزنهاور - الهلال الخصيب - حلف الشرق الأوسط)

كان التنظيم الذى أنتمى إليه (اسكرا - حدتو - الحزب الشيوعى المصرى الموحد) يعارض الأحلاف العسكرية الاستعمارية منذ البداية وأصبح هذا الموقف من التوجهات الأساسية للحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية. فكان فى الأربعينيات - يرفض التحالف مع بريطانيا وكان يختلف في ذلك مع كل الاحزاب البورجوازية التى كانت تعمل على التفاوض مع الانجليز للمطالبة بالجلاء العسكرى مقابل معاهدة صداقة. وعارض التنظيم معاهدة ١٩٣٦ وطالب بإلغائها ونجح فى ذلك عام ١٩٥٠. ورفض التحول من الاستعمار البريطانى إلى الاستعمار الأمريكى وبين أنه أكثر خطورة. وكان كل ذلك يعلن فى المنشورات والمجلات السرية (كفاح العمال - المقاومة الخ) وفى الصحف والمجلات العلنية. (الطليعة - أم درمان- الجماهير - الملايين - الواجب وغيرها). ولهذا فقد كان من الطبيعى أن يقف ضد مشروعات الأحلاف العسكرية (مشروع أيزنهاور- الهلال الخصيب - حلف الشرق الأوسط). وكان له دور كبير فى التوعية ضدها وحشد الجماهير لمقاومتها وكان لذلك أثره فى تحديد موقف حكومة عبد الناصر الرافض لهذه المشاريع. وقد كان له موقف الريادة فى هذه المعارضة. وقد ظهر ذلك فى المنشورات والمجلات السرية التى كان يصدرها التنظيم وكذلك فى تعبئة المثقفين وجماهير

العمال والطلبة ضدها وفى إصدارات دار الفكر من الكتب العلنية ومنها كتاب ضد مشروع أيزنهاور وقع عليه عدد من المثقفين البارزين.

الموقف من قرارات تمصير الشركات والبنوك الأجنبية

تمصير الشركات والبنوك الأجنبية خطوة تمت بعد فشل العدوان الثلاثى على مصر وهى من الاجراءات التى تمت ضد الدول المعتدية من بين إجراءات أخرى. وقد جرى خلاف وقتها بين الاقتصاديين المصريين هل تباع للقطاع الخاص أم تصبح ملكًا للدولة. وقد أيد التنظيم فى هذه المعركة تأميم هذه الشركات وكانت هذه الخطوة هى بداية تأسيس القطاع العام. وكان التمصير خطوة هامة فى دعم الاستقلال الاقتصادى بعد جلاء القوات البريطانية.

الموقف من وحدة مصر وسوريا وحركة القومية العربية والأحداث التى مرت بها المنطقة حينئذ (حكومة النابلسى فى الأردن - إنزال القوات الأمريكية فى الأردن ولبنان - ثورة العراق ..)

ساند التنظيم وحدة مصر وسوريا والاتجاه للوحدة مع العراق بعد ثورة العراق واتخذ موقفا ايجابيًا من حركة القومية العربية فى اتجاهها التقدمى المعادي للاستعمار ومخططاته. ويظهر ذلك فى بيانات التنظيم التى كانت تصدر فى مجلته الداخلية وفى التقرير المقدم عن «القومية العربية».

وقد اختلف الحزب الشيوعى المصرى الموحد مع الحزب الشيوعى السورى ومع الحزب الشيوعى العراقى فى تصعيدهما للخلافات مع جمال عبد الناصر حول قضية الوحدة، وكنا نرى أن الاستعمار يعمل على تعميق الخلافات بين القوى الوطنية العربية لضرب الوحدة وكان ذلك هو نفس الموقف بعد ثورة العراق ثم الخلافات بين عبد الكريم قاسم وجمال عبد الناصر فكنا نرى أن تصعيد الخلافات لا يفيد إلا الاستعمار وكنا ندعو لوحدة ناصر وقاسم ووحدة الشعوب العربية فى النضال ضد الاستعمار ومؤامراته.

وانطلاقًا من الموقف ضد الاستعمار وأعوانه أيدنا حكومة النابلسى فى الأردن ووقفنا ضد إنزال القوات الأمريكية فى الأردن ولبنان.

الموقف من قرارات التاميم

عندما صدر القرار بتأميم بنك مصر والبنك الأهلى كانت قيادة حدتو (غالبيتها) فى سجن الاسكندرية إنتظاراً للمحاكمة أمام المجلس العسكرى. وكنا وقتها نؤيد عبد الناصر باعتباره قائداً وطنياً ونعتبر أن الحملة ضد الشيوعية هى مؤامرة رجعية استدرج إليها عبد الناصر لتمزيق القوى الوطنية. ولهذا فلم يؤد اعتقالنا والحملة على الشيوعية إلى تغيير موقفنا واعتبار عبد الناصر عميلاً للاستعمار أو ممثلا لرأسمالية الدولة الاحتكارية كما قال البعض، بل استمر تأييدنا لسياسته الوطنية وكل إجراءاته التقدمية بعد ذلك مع المطالبة بوقف الحملة ضد الشيوعية التى لن تفيد إلا الاستعمار والرجعية.

وعند صدور القرار بتأميم بنك مصر والبنك الأهلى وبدأ الحديث عن التوجه الاشتراكى عقدنا فى سجن الحضرة بالاسكندرية كونفرنسا إستمر لمدة ستة شهور وطرح فيه وجود توجهات ومجموعة اشتراكية فى السلطة. وبعد ستة شهور صدر قرار المجموعة الاشتراكية(غير العلمية) التى تتطور فى اتّجاه الاشتراكية العلمية. والسعى لتحقيق وحدة العمل معها. وقد وافق على القرار غالبية من حضروا الكونفرنس .. ووصل زملاؤنا فى الواحات إلى نفس النتيجة. وعندما صدرت التأميمات الأخرى أكدت سلامة تحليلاتنا وبدأنا نرسل الخطابات لعبد الناصر وللشخصيات البارزة والصحفيين تدعو فيها إلى وحدة كل القوى الاشتراكية، وكنت شخصياً مقتنعاً تماما بهذا التحليل وناقشت العديد من أعضاء التيار الآخرين فى التوجه وقد انتقل بعضهم بالفعل إلينا.

الموقف من سياسات الاتحاد السوفيتى فى بناء الاشتراكية وعلى مستوى العلاقات الدولية وعلاقاته بحركات التحرر (الثورة الصينية - احداث المجر - التعايش السلمى - الموقف من البرجوازيات الوطنية فى العالم الثالث.. الخ

رغم أن التنظيم لم يكن له أى علاقة بالاتحاد السوفيتى أو بمركز دولى (الكومنترن أو خلافه) فكان يثق ثقة كبيرة فى الاتحاد السوفيتى وقيادته وكان يثق فى سياساته فى بناء الاشتراكية، وكان التقدم الذى يحققه فى هذا المجال يثير حماسه، ولم يكن يعرف الكثير من

التفاصيل الداخلية، فكانت كل المعلومات التى تصل هى من الاصدارات السوفيتية، أما الانتقادات الغربية فكنا نعتبرها تزيفًا للحقائق، وكنا نؤيده فى الصراع العالمى مع الولايات المتحدة الأمريكية والمعسكر الغربى عموما. وكنا نرى أنه السند لنا ولحركات التحرر فى نضالها ضد الاستعمار. وكنا نقف معه عند ما نشأ الخلاف بينه وبين الصين باعتباره قائد المعسكر الاشتراكى الذي كنا نعتمد عليه اعتمادا أساسيًا فى النضال ضد الاستعمار. وهذا رغم أن الثورة الصينية عند قيامها كان لها تأثير كبير علينا وساندناها ودرسنا كتابات ماوتسى تونج وترجمناها.

أحداث المجر اتفقت فى توقيتها مع العدوان الثلاثى على مصر. وأثناء هذه الأحداث كان الانذار السوفيتى (انذار بولجانين) الذى كان له في اعتبارنا تأثير حاسم لوقف العدوان. وكان له أثر كبير فى زيادة شعبية الاتحاد السوفيتى باعتباره السند الأساسى لنا. ولهذا وقفنا معه ولم نشك فى تفسيراته بالنسبة لأحداث المجر، بل صدقناها وأيدناها بالكامل.

ورغم ثقتنا الكبيرة فى الاتحاد السوفيتى وتأييدنا له، فكنا نعتمد على تحليلاتنا الخاصة بالنسبة للقضية الخاصة بنا (مصر والعالم الغربى) وكان يساعد على ذلك عدم وجود صلة به أو بمركز دولى. بل وأحيانًا كنا نختلف معه فى تقييماته كما حدث بالنسبة لثورة يوليو ١٩٥٢ الذي كان له تقييم مختلف عن تقييمنا. فبينما أيدناها منذ اللحظة الأولى اتخذ الاتحاد السوفيتى والأحزاب الشيوعية الأخرى فى البداية موقفا متشككًا ومعاديًا ورغم أن موقفنا من عبد الناصر والمجموعة الاشتراكية والفترة الانتقالية سبقت الكتابات السوفيتية ولم تكن نتيجة لها ومع ذلك فقد. واختلفنا مع بعض الكتابات السوفيتية الخاصة بالتحولات الاشتراكية والمبالغة فى دور الاتحاد الاشتراكى والتقليل من دور الحركة الشيوعية المصرية (وخصوصًا فى كتابات بريماكوف وبيلاييف).

وأذكر في نقاش أجريته مع ايجوربيلاييف المستشرق السوفيتى فى موسكو فى أواخر الستينات أننى اختلفت معه فى محاولته للتقليل من دور الحركة الشيوعية بسبب انقساماتها وخلافاتها، فأكدت له أن الحركة الشيوعية المصرية رغم انقسامها وخلافاتها فكان يبرز منها دائما تيار ثورى لعب دورًا بارزًا وريادبًا فى الحركة الوطنية المصرية.

الموقف من الصراعات السياسية والتنظيمية داخل المعتقلات والسجون ونضالات الشيوعيين داخلها؟

فى الفترة من ١٩٥٩ حتى ١٩٦٤ وجد تياران أساسيان. التيار الأساسى الذى كنت أنتمى إليه كان يسمى «الحزب الشيوعى المصرى» (حدتو) والتيار الآخر كان يسمى نفسه «الحزب الشيوعى المصرى وذلك بعد الانقسام الذى حدث فى الحزب الشيوعى المصرى الذى تأسس فى ٨ يناير ١٩٥٨. وكانوا يسمون تيارنا «الانقسام» وكنا نسميهم «التكتل»، أما لدى الغير فكنا نسمى «المؤيدين» وهم «المعارضون» تعبيراً عن الموقف من جمال عبد الناصر، وكنا نعتبر جمال عبد الناصر قائداً وطنياً نعمل علي التحالف معه مع احتفاظنا بتنظيمنا المستقبل حتي قبل اعتقالنا. وبعد الاعتقال لم يتغير موقفنا بل تطور مع كل تحول تقدمى فى فكر عبد الناصر أو انجازاته. وكنا نرى دخول الاتحاد القومى مع العمل لتحويله إلى جبهة وطنية أما التيار الآخر فكان يعتبره مجرد حزب للسلطة. وبالنسبة للوحدة مع سوريا كنا نركز على الجوانب الايجابية وليس على الخلافات. وكذلك الأمر بالنسبة للخلاف بين ناصر وعبد الكريم قاسم فكنا ندعو للوحدة بينهما ضد الاستعمار الذى يعمل على التفريق بين الثورتين.

بعد التأميمات الأولى قلنا بوجود مجموعة اشتراكية غير علمية فى السلطة وحددنا واجباتنا، أما التيار الآخر فكان يعتبر أن عبد الناصر يمثل رأسمالية الدولة الاحتكارية ويدعو لإسقاطه. وكانت لكل منا جريدة ناطقة فى الواحات وكانت تظهر فيها الخلافات فى الرؤية بين التيارين.

وبخلاف ذلك فقد قمنا وبالذات فى الثلاث سنوات الأخيرة فى الواحات بانجازات كبيرة منها استصلاح ٣٠ فدانا كنا نستفيد منها في تحسين ظروفنا المعيشية. وأقمنا مسرحًا مثلت عليه عدة مسرحيات مثل «عيلة الدوغرى» و«حلاق بغداد» و«الخبر» وغيرها. وقمنا ببناء مسجد وحمام للسباحة.

وانجز داخل السجن الكثير من الأعمال الأدبية الهامة مثل «الشاطر حسن» لفؤاد حداد ومتولى عبد اللطيف و«الشمندورة» لمحمد خليل قاسم وغيرها. وكثير من التقارير السياسية الهامة مثل «الفترة الانتقالية». وعقد المؤتمر الأول لحدتو. وكانت تدور مناقشات فكرية هامة.

وأقيم العديد من المدارس لتثقيف الرفاق منها مدرسة للغة العربية وأخرى للغة الانجليزية

وثالثة للغة الروسية ومدرسة للرياضيات وغيرها.

وفى فترات السجن هذه أوالسابقة كان الاهتمام بعملية التثقيف والقراءة كلما كان ذلك ممكنا. وكنا نناضل لتحسين أحوالنا المعيشية داخل السجن أو المعتقل. وكنا أحيانًا نضرب عن الطعام. ففى سجن الاسكندرية عام ١٩٤٩ استطعنا أن نلغى الحبس الانفرادى بالاضراب عن الطعام لمدة ٣ أيام. وفى سجن مصر عام ١٩٥٠ أضربنا عن الطعام ٢١ يوما أمكن بعدها تحسين المعاملة داخل السجون والسماح بالكتب والصحف. وكنا نعتبر أننا يجب أن نستفيد من السجن والاعتقال ونعتبره مدرسة للثوار.

الموقف من حل التنظيمات لنفسها (أسباب الحل - المبررات التى طرحت - كيف تم الحل؟

كان موقفنا داخل المعتقل يتطور. كنا نسميهم بالمجموعة الاشتراكية داخل السلطة بقيادة جمال عبد الناصر، ولم نكن نعتبر السلطة كلها اشتراكية. وتادينا فى البداية بوحدة العمل مع المجموعة الاشتراكية وبوحدة كل القوى الاشتراكية ضد الرجعية. واقترحنا تكوين تنظيم واحد مع المجموعة الاشتراكية مع الاحتفاظ بهيكلنا المستقل وذلك بعد المؤتمر الأول الذى عقد فى الواحات. وعرض البعض فكرة حل الحزب فرفضت.

وبعد الخروج من السجن غيَّر التنظيم الآخر موقفه وأصبح يلتقى معنا فى تأييد التوجهات الاشتراكية لجمال عبد الناصر.

أما نحن فقد طورنا مواقفنا وعقدنا كونفرنسا قرر تضييق اللجنة المركزية إلى أربعة، ووافق على تقرير جديد يدعو لتكوين حزب واحد مع المجموعة الاشتراكية على أساس الماركسية اللينينية. وتقرر أيضًا الموافقة على دخول بعض الزملاء التنظيم الطليعى وأن من يدخل يقطع علاقته بتنظيمنا. وجرت محادثات مع فرع أحمد فؤاد من التنظيم الطليعى الذى أبلغنا أن هناك موافقة على الوحدة مع حدتو على أساس الماركسية اللينينية. ثم سحب هذا الكلام بعد أسبوع. وقرر التنظيم الطليعى قبول البعض كنت منهم وكذلك زكى مراد، وكنا من الأربعة الذين انتخبوا كقيادة لحدتو.

وصاحب ذلك هجوم من بعض قيادات الاتحاد الاشتراكى على وجود تنظيم مستقل

للشيوعيين، وطالبوا باتخاذ إجراءات ضدهم. وكنا فى نفس الوقت ندعو لتكوين حزب واحد للاشتراكيين بقيادة جمال عبد الناصر. وكنا نؤيد سياسة عبد الناصر وتوجهاته.كان خطابنا للجماهير لا يختلف عن خطاب عبد الناصر. ومن هنا وجدنا أن الطريق الوحيد لتحقيق ذلك فى تلك الظروف هو إلغاء الوجود المستقل لتنظيمنا. وصدر تقرير بهذا المعنى وعقد كونفرنس لمناقشة التقرير وتقرر الغاء الوجود المستقل لحدتو كخطوة فى طريق تكوين حزب واحد مع المجموعة الاشتراكية، واتفق على أن يبقى شخص واحد ممثل لوجودنا المستقل هو كمال عبد الحليم الذى أعلن إلغاء الوجود المستقل وأرسل برقية بهذا المعنى إلى جمال عبد الناصر.

الانقسامية للحركة الشيوعية المصرية

الحركة الشيوعية المصرية فى مرحلتها الثانية فى الاربعينيات نشأت منقسمة واستمرت كذلك، وكان الانقسام يتعمق فى بعض الأحيان. وكان هناك توجه ثورى نحو الوحدة وتوجه انتهازى نحو تكريس الانقسام تحت شعارات مثل «النمو الذاتى» و«لاشيوعية خارج الحزب». وعندما انتصر الاتجاه التوحيدى ونتج عنه تكوين الوحدات بين اسكرا وح.م وتكوين حدتو ثم الوحدة التى أدت إلى قيام الحزب الشيوعى المصرى الموحد ثم الحزب الشيوعى المصرى المتحد ثم أخيراً الحزب الشيوعى المصرى فى ٨ يناير فقد نجحت الاتجاهات الانقسامية فى شق الحزب من جديد بالتآمر لضرب تيار حدتو.

ومن الأسباب التي أدت إلى نشأة الحركة منقسمة واستمرارها كذلك هو عدم الارتباط بمركز دولي واحد وعدم وجود مرجعية واحدة. ورغم أنه كان لذلك نواحٍ إيجابية تنحصر فى المواقف المستقلة للحركة الشيوعية المصرية إلا أنه كان لها سلبيات أيضاً مثل الانقسامية.

ولكننى رفضت وأرفض دائما تصوير أن الطابع الأساسى للحركة الشيوعية هو الانقسامية بل أرى أنه رغم الانقسامات فقد كان فى الحركة الشيوعية دائما تيار ثورى وتيار انتهازى وللتيار الثورى الفضل فى كل الانجازات الكبيرة للحركة الشيوعية المصرية فى الحركة الوطنية والثقافية والنقابية وفى حركة السلام وغيرها من المجالات.

(انظر بالتفصيل كتابى «اليسار والحركة الوطنية المصرية ١٩٤٠ - ١٩٥٠ الصادر عن دار الثقافة الجديدة).

أسباب أزمة الحركة الشيوعية المصرية قبل عام ١٩٦٥

كان الشيوعيون مواجهين بأمرين :

(١) اجراءات تقدمية (فى المجال الوطنى والاجتماعى) تتم بقيادة جمال عبد الناصر، بحيث أصبح هو الذى ينفذ البرنامج الوطنى الديمقراطى للشيوعيين ويلقى بسبب ذلك هجومًا ومؤامرات من جانب الاستعمار والرجعية المحلية.

(٢) جرت أهم هذه الاجراءات وهم فى السجن وقياداتهم موجودة بالكامل تقريبا فى السجون والمعتقلات بحيث أمكن شل فاعليتها.

واستمرت هذه الاجراءات بعد الافراج عنهم والتعاون معهم فى التنظيم الطليعى والاتحاد الاشتراكى والمؤسسات الصحفية وغيرها.

وكانت المعارضة وقتها أنها معارضة لهذه التوجهات التقدمية.

وأصبح خطابهم الجماهيرى لا يمكن التفريق أو التمييز بينه وبين خطاب عبد الناصر. ولم يكن فى استطاعتهم إقناع الجماهير بوجودهم المستقل خصوصا بعد أن خرجوا من السجن فى وضع ضعيف للغاية.

وكانت هذه الأزمة التى أدت بهم إلى حل تنظيماتهم سواء المؤيدين (حدتو) أو من كانوا معارضين (الحزب الشيوعى المصرى).

الرفاق الراحلون

من الرفاق الراحلين الذين أدوا أدوارًا هامة فى الحركة الشيوعية المصرية : شهدى عطية الشافعى - زكى مراد - فوزى جرجس - أحمد صادق سعد - هنرى كوربيل - ممدوح الجندى - يوسف حلمى - لطيفة الزيات - سيف الدين محمد صادق - عبد صالح مبروك - ابراهيم خلال - صلاح حافظ - حسن فؤاد - زهدى العدوى - يوسف حلمى وغيرهم.

أذكر من الرفاق الذين استشهدوا فى السجون والمعتقلات شهدى عطية الشافعى - د.فريد حداد - محمد عثمان - لويس أسحق.

ومن الشهادات التى أدليت بها للدارسين

شهادة للدكتور رفعت السعيد - نشرت. شهادة للدكتور فخرى لبيب - نشرت. شهادة لسلمى بوتمان (أمريكية) - لا أعرف إن كانت نشرت أم لا.

ما نشره الدكتور رفعت السعيد فى بعض أجزائه لم يكن دقيقًا وإن كان صحيحًا فى مجمله.

ومن أجل المزيد من التفاصيل أقترح محاولة أخذ شهادة

أحمد الرفاعى السيد - مبارك عبده فضل - مصطفى بهيج نصار - حسين غنيم - كمال عبد الحليم - جمال غالى - سعد كامل - محمود توفيق - محمد شطا - العزب شطا - سيد يوسف - أحمد سليم - عبد العظيم أنيس - عبد المنعم خربوش - محمد السيد يونس - شحاته هارون - عريان نصيف - حمدى عبد الجواد - أسعد حليم - شحاته عبد الحليم.

شهادة

وداد متري

البيانات الشخصية

الاســـــــــم : وداد مترى

تاريخ وموطن الميــلاد : ٩ أكتوبر ١٩٢٧ شبرا - القاهرة

السن عند الانضمام للحركة : بدأت معرفتى بالشيوعية فى سن ٢٣.

المؤهلات الدراسية والمهن التى عملت بها :

(١) ليسانس آداب - قسم فلسفة ١٩٥٢

(٢) دبلوم معهد الصحافة ١٩٥٦

(٣) دبلوم دراسات تربوية ١٩٦٢

المـــهـــن : عملت بالتدريس لمدة سبع سنوات من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٥٩ بمدارس ديروط فى الصعيد وشبين الكوم ومدارس التوفيق بالقاهرة.

* بعد الإفراج عني ١٩٥٩ أبعدت عن التدريس وعملت فى أعمال إدارية بمنطقة شرق القاهرة التعليمية، ثم فى العلاقات العامة بالمنطقة، وأخيراً موجهة أولي صحافة مدرسية بنفس المنطقة.

فترة السجن والاعتقال :

أمضيت فى السجن أربعة شهور وعشرين يومًا من ١٠ يوليو ١٩٥٩ حتى آخر نوفمبر، وكنت فى قضية (تحت التحقيق) وأخذت إفراج نيابة لعدم كفاية الأدلة ويهمنى أن أذكر هنا أننى قبل نقلى لسجن القناطر أمضيت ليلة فى المباحث العامة وثلاث ليال فى قسم الموسكى فى ظروف غير إنسانية حيث كنت أعانى من أزمة في الكلي والتواء فى ذراعي بسبب أخذى عنوة من الشارع ووضعى فى عربة المباحث بالقوة وكان فى نظرهم لابد من شل الذراع حتى يتم ذلك وحتى لا يزداد عدد الجماهير الذين وقفوا لمشاهدة هذا المنظر البشع. استمرت آلام الذراع لشهور طويلة ومازالت آثارها حتى الآن.

كان معى وقت القبض عليّ الزميل العزيز والمناضل الشريف فخرى لبيب وكان متماسكًا وعظيمًا بينما كنت فى حالة انهيار وارتباك شديد فقد كنت أفكر فى أسرتى التى كنت مسئولة عنها بعد وفاة والدى الذى لم يكن قد مر على وفاته شهران حيث أننى أكبر أخوتى

وكنت الوحيدة التى أعمل وأساعد فى مصاريف المنزل - وفى ليلة القبض علىّ كنا سنسافر إلى الاسكندرية بعد ساعات وقد أخبرتهم أننى سأخرج لفترة قصيرة لشراء بعض الطلبات ولكننى لم أعد وعبثًا حاولت التوسل إليهم لكى يتم الاتصال بمنزلى ليعرفوا ما حدث لى ولكنهم رفضوا وقد علمت بعد ذلك أنهم فور القبض علىّ توجهوا إلى المنزل وأثاروا الرعب والفزع لكل من فيه (الوالدة وشقيقتان أصغر منى)

واستولوا على كتبى السياسية وغير السياسية وأوراقى الخاصة ومذكراتى وكل ما أعتز به ويمثل قيمة كبيرة فى فترة خصبة من حياتى.

كيفية التعرف على الفكر الماركسى

تعرفت على الفكر الماركسى فى أوائل الخمسينيات وكنت طالبة فى الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٢ وكنت أشارك فى العديد من الأنشطة الثقافية والاجتماعية والرياضية وكانت مشاركتى السياسية فى حدود الحس الوطنى الطبيعى فى ظروف محتل أجنبى وحكم ملكى فاسد ولم تتعد مشاركتى الخروج فى المظاهرات والالتفاف حول القيادات الطلابية التى كانت تقود الكفاح الوطنى فى ذلك الوقت والإعجاب بها وتأييدها، دون علم بانتماءاتها السياسية وخلفياتها. فالكل أمامى كان يثور من أجل تحرير الوطن ويطالب بالحرية والعدالة. ومن خلال صداقات شخصية ببعض الماركسيين ومنهم الأستاذ عدلى برسوم الذى يرجع إليه الفضل فى إتاحة الفرصة لى للتعرف على الفكر الماركسى ومن خلال مطبوعات كانوا يمدوننى بها لأقرأها آمنت بهذا الفكر وتحمست له وكأننى كنت معدة له من قبل.

أما التنظيم الذى أتاحت لى الظروف أن أحتك به وأتعلم منه فقد كان تنظيم الحزب الشيوعى المصرى وكانت مجلته هى «الراية»، وفى هذه الفترة وحتى تخرجت من الجامعة كانت كل صلتى بهذا التنظيم هى القراءة فقط والتعرف على مجموعة من الزملاء ينتمون لهذا التنظيم.

بعد التخرج والعمل فى مجال التدريس تعرفت على تنظيمات أخرى وأصبحت أنشطتى موجهة نحو هدف معين وعرفت بالتحديد مع من أقف وضد من. وكنت أعتبر نفسى ماركسية دون أن أنضم لأى تنظيم لأننى كنت أكره الانقسامات السائدة ومحاولات الهدم المستمرة لكل

تنظيم تجاه الآخر، كما أن معرفتى بهذه التنظيمات لم تتم إلا من خلال صداقات شخصية وانحصرت فى ثلاث منظمات هى الحزب الشيوعى المصرى وحدتو وطليعة العمال والفلاحين.

استمر ارتباطى بالحزب الشيوعى المصرى وأصبح هناك مسئولون عنى بشكل منتظم وفقدت الاتصال بعد أن تم القبض على أعداد كبيرة من الذين كنت أعرفهم وبعد خروجهم من السجن لم تتح الفرصة لمعاودة الاتصال مرة أخرى بشكل منتظم ولكن كان قد تحدد موقفى وكنت أقوم بكل الأنشطة التى يستدعيها هذا الموقف : زيارات المسجونين ومساعدة عائلاتهم و المشاركة فى المؤتمرات الشعبية وكل الأعمال الجماهيرية التى تدعم هذا الموقف.

فى عام ١٩٥٣ التحقت بمعهد الصحافة الذى كان يتبع كلية الآداب ودرست به ثلاث سنوات، حصلت بعدها على دبلوم المعهد الذى يعادل ماجستير. وفى السنة الأخيرة أتى إلينا زميل علمت أنه كان خارجا من السجن وهو الزميل جمال غالى وكان ينتمى إلى حدتو وقد نشأت بيننا صداقة والتقت أفكارنا فى كثير من الأمور وامتدت هذه الصداقة بعد التخرج، وقد رأى أننى لابد أن أكون منتظمة بشكل ما. فعرفنى بشابة صغيرة (طالبة) كانت تصغرنى كثيراً لكننى أدين لها بالكثير وهى السيدة عفت الشال وقد تابعت نشاطى فى مرحلة شبين الكوم وكانت حلقة الاتصال بينى وبين حدتو. بعدها انتظمت مع مجموعة وكانت المسئولة الزميلة ليلى الشال، ورغم الاتصال المنتظم ونشاطى الذى أثار إعجاب المسئولين فى حدتو إلا أننى صممت على عدم الحصول على عضوية أى تنظيم حتى تتم الوحدة الكاملة لكل هذه التنظيمات المتفرقة، وقد تم ذلك فعلا بعد أن توحدت كل التنظيمات الشيوعية فى يناير ١٩٥٨ وأصبحت عضوة فى الحزب الشيوعى المصرى، ومن خلال معرفتى بزميل عزيز هو الدكتور فخرى لبيب شرفنى بمشاركته فى العديد من الأعمال وقفت على الجهد الخرافى الذى بذله هذا الزميل حتى تمت الوحدة.

دور التنظيم وسط الفلاحين

فى رأيى لم يكن هذا الدور بارزاً أو مؤثراً ربما بسبب الانقسامات التى سادت الحركة الشيوعية طوال مسيرتها وبمختلف فصائلها. إلى جانب الضربات التى كانت تتعرض لها من وقت لآخر وحصارها ومتابعتها. كما أن العمل السرى وسط الفلاحين أكثر صعوبة منه وسط فئات أخرى من المجتمع مثل العمال والطلبة، خاصة وأن طبيعة الريف المصرى بعيدة عن

السرية ويمثل مجتمع القرية أسرة واحدة يسهل مراقبتها ورصد أنشطتها فى ظل ظروف ونظم لديها الحساسية المفرطة نحو أى تحرك جماهيرى يسبب قلقا أو تهديداً لاستقرارها.

علماً بأن هذا الرأى ناتج عن انطباع شخص نتيجة عملى بالريف لمدة خمس سنوات أتيحت لى الفرصة فيها لأعمال جماهيرية واسعة فى المراكز والقرى والاختلاط بمختلف المستويات.

المجلات التنظيمية والجماهيرية التى كان التنظيم يصدرها والكتب والدراسات التى صدرت عنه ودوره فى نشر الثقافة الماركسية وتوعية أعضائه بها

كان للمجلات والنشرات التى أتيح لى التعرف عليها وقراءتها خلال معرفتى لبعض المنتمين لتيارين رئيسيين فى الحركة الشيوعية وهما حدتو والحزب الشيوعى المصرى أثر كبير فى ثقافتى الماركسية وتوعيتى بها بل وتحديد اتجاهى الفكرى وإنارة الطريق أمام نضالى المتواضع منذ بداية الخمسينيات وحتى الآن.

كانت حدتو على ما علمت أكثر التنظيمات إصداراً للمجلات العلنية وهى : الغد- الملايين - البشير - الميدان - الواجب - المستقبل، وكانت مجلتها السرية هى الكفاح.

أما الحزب الشيوعى المصرى فلم أعرف له مطبوعات علنية ولم أعرف إلا نشرته السرية وهى «راية الشعب».

دورى فى التنظيم والمستويات التنظيمية التى اشتركت فيها

المستوى التنظيمى الذى وصلت إليه هو عضو منطقة (شبرا)، أما الدور الذى قمت به فهو كل ما يستلزمه هذا المستوى التنظيمى، وظللت أمارس هذه المسئولية حتى باغتتنا حملة ١٩٥٩ بضراوتها وشتت الجميع.

بعد خروجى من السجن لم أفلح فى مواصلة العمل من خلال الحزب - لكننى لم أكف عن النشاط من خلال العمل الوظيفى ومن خلال الجمعيات والمؤسسات التى أنتمى إليها ومن خلال نقابة المعلمين والذى تحقق من خلال انتمائى إليها الكثير للمعلمين ولى. (كانت مواقفى القيادية فى النقابة كلها بالانتخاب)

موقف التنظيم وموقفى من وحدة ٨ يناير والانقسامات التى أعقبتها

وحدة ٨ يناير كانت الأمل والفرحة الكبرى لجميع الشيوعيين، أما بالنسبة لى فقد تحقق بها الشرط الذى وضعته أمامى والتزمت به وهو ألا أكون منظمة فى حركة طابعها الانقسام ويستنفذ كل تنظيم بها جهده ووقته فى هدم الآخر واتهامه بأبشع التهم.

لقد وافقت أن أكون عضوة بالحزب الشيوعى المصرى ابتداء من ٨ يناير وتم لى ذلك فعلا أما الانقسامات التي أعقبت هذه الوحدة فلا أعلم عنها شيئا.

موقف التنظيم وموقفى من اليهود والأجانب فى الحركة الشيوعية ودورهم فى التنظيم

إن معلوماتى عن هذا الموضوع غير كافية لذلك لا أستطيع أن أحدد موقفا واضحًا بخصوصه، وكل ما استطعت أن أعرفه من خلال قراءات لا معايشة وقد عرفت موقف حدتو من اليهود من خلال قراءة للدكتور رفعت السعيد. وبالتحديد فقد لمست تقديره الكبير لهنرى كوريل كما قرأت آراء أخرى ضد هذه الشخصية - أما أنا فلم أقابل هذا الشخص ولا أعرفه وبالتالى فليس لى رأى فى هذه الشخصية المحيرة. والذى أستطيع أن أسجله هنا عن معايشة فترة وجودى فى سجن النساء بالقناطر والخاص بالأجانب واليهود يتمثل فى الآتى :

عندما قبض علىّ وسجنت فى سجن النساء بالقناطر لم أكن معتقلة ولكننى كنت تحت التحقيق فى قضية ولذلك لم أودع مع المعتقلات بل وضعت فى مكان خاص بسجينات يمضين فترة عقوبة نتيجة أحكام وتصادف أن كلهن كانوا من الأجانب وهم :

١ - مارى بابا ديلو يونانية

٢ - ليفكى يونانية

٣ - ميمى كاتل إيطالية وقد اختارت لها اسمًا مصريًا بعد زواجها من كمال عبد الحليم وهو ماجدة عبد الحليم.

٤ - مارسيل بنينو - يهودية وهى واحدة من مجموعة قضية لافون.

كنت أنا المصرية الوحيدة مع هذه المجموعة وكنا نعيش فى شبه جناح مكون من غرف ثلاث: إحدى الغرف لمارسيل وغرفة أخرى لماجدة أما الغرفة الثالثة فكانت لمارى وليفكى ولى-

وقد اقتضت هذه الظروف أن نعيش نحن الخمسة معًا حياة جماعية - ولما كانوا جميعًا يمضون فترة عقوبة وأنا كنت تحت التحقيق فقد كانت لنا زيارات مسموح بها وفى كل زيارة تحضر لنا أسرنا الطعام الذى يكفى المجموعة كلها وهذه الزيارات كانت لثلاث منا فقط مارى وليفكى وأنا، وكان من فوائد هذه الزيارات أن والدتى كانت تحضر معها أطفال الزميلة ثريا شاكر فقد كانت محرومة من رؤية أطفالها لعدم السماح للمعتقلات بالزيارة - أما ماجدة فلم يزرها كمال عبد الحليم ولا أحد من طرفه وهذا ما كان يسبب لها آلامًا نفسية عميقة وكانت تصاب بنوبات اكتئاب تستمر معها أيامًا ولا يخرجها من هذه الحالة إلا عزفها على الكمان فقد كانت عازفة ماهرة- أما مارسيل فلم يزورها أحد وعلمت أنه قبل انضمامى لهم كان لها شقيق يعمل مدرسًا فى مدرسة الليسية بباب اللوق وكان يزورها ويوفر لها طلباتها ولكنه ترك مصر أو أبعد عن مصر ولذلك فقد كانت هى الأخرى تعانى معاناة شديدة من هذه الظروف.

هذه هى المجموعة التى عشت معها خلال فترة احتجازى وقد تخللتها بعض المتاعب والمنازعات والمناقشات ولكنها لم تتسم بالعنف أو العدوانية وكانت خلافاتنا الفكرية فى معظمها تابعة من الانتماءات للتيارات الفكرية التى يحملها كل منا وكانت هى نفسها التى تسود الحركة الشيوعية وأدت إلى انقساماتها على مدى تاريخها وكثيراً ما كانت هناك التنازلات التى كانت تقتضيها ظروف السجن العامة وظروف خاصة لكل منا.

فبالنسبة لماجدة فكان محكوم عليها بثلاث عشر عامًا وكانت دائمًا فى حالة اكتئاب وتشعر بعدم الوفاء لمن أحبتهم وارتبطت بهم، كما أنها كانت تعتمد فى معيشتها على المجموعة.

كذلك ليفكى فرغم أن لها زيارات من زوجها وطفلها إلا أنها كانت حامل وكانت دائمة البكاء، وكنا نراعى ظروفها الخاصة من ناحية توفير الراحة لها وكنا نخصها بالغذاء الذى يلزم لحامل فى ظروف صعبة.

أما بالنسبة لمارى فقد كانت أفضل الموجودات على المستوى السياسى وعلى المستوى الشخصى وتحمل لمصر وللمصريين حبًا عميقًا وكانت أزمتها الحقيقة هى تفكيرها الدائم فى اليوم الذى تنتهى فيه مدة عقوبتها وترحل من مصر. لقد ظلت علاقتى بها قائمة حتى الآن وهى تعيش فى اليونان مناضلة عظيمة فى صفوف الحزب الشيوعى اليونانى وفى منظمات

جماهيرية وهى عضو فى اللجنة اليونانية لمنظمة تضامن الشعوب الآسيوية الأفريقية وتحضر لمصر فى مؤتمرات المنظمة بالقاهرة وهذا يسعدها ويتيح لها فرصة اللقاء مع كل الأصدقاء والزملاء القدامى التى تحمل لهم أجمل وأعز الذكريات.

الحالة الوحيدة التى عذبتنى وأرقتنى هى حالة مارسيل بنينو فبعد دخولى السجن بعد أربعة أيام معاناة فى المباحث والحجز فى قسم الموسكى سعدت برؤية الزميلات المعتقلات وترحيبهم لى وتسابقهم لتسهيل كل أمورى، فوجئت أننى لن أكون معهم ولما تم تسكينى فى المكان المخصص لى كانت المفاجأة الكبرى أن أرى مارسيل أمامي وجهًا لوجه وأسترجع كل تفاصيل القضية أو الفضيحة الحقيرة التى هى جزء منها وأعرف أننى سأعيش معها فى مكان واحد- لم أكن أعرف من هذه المجموعة إلا مارى وقد شعرت بحالتى ودون أن أتكلم انتهزت فرصة انفرادها بى وقالت لى إن هذه الإنسانة التي أمامك ليست هى صاحبة القضية لأنها الآن إنسانة أخرى نادمة على مافعلت ومن خلال المناقشة مع مارسيل نفسها حاولت اقناعى كما أقنعت الباقين بأنها كانت ضحية عملية تضليل كبيرة وأن حب مصر فى دمها وأنها تؤمن بكل ما تؤمن به وخاصة بالنسبة لقضية فلسطين.

لم يكن أمامى إلا المعايشة ولم أملك المقاطعة وكانت كل تصرفات هذه الإنسانية تثبت صدقها ولم أكن أملك ترف التحليل وهل ظروف هذه الإنسانة التعسة وحاجتها لنا على الأقل فى غذائها هى التى تفرض عليها هذا الموقف أم أنها صادقة فعلاً - لا أدرى .. علمت أنها بعد أن خرجت من السجن ورحلت إلى إسرائيل استقبلت استقبال الأبطال وتزوجت وشرفتها جولدا مايير بحضور حفل زواجها.

وهذه هى بعض معلوماتى عن السؤال الخاص بموقف التنظيم وموقفى من الأجانب واليهود فى الحركة الشيوعية.

المعارك الجماهيرية السياسية والنقابية وانشطة التضامن القومي والأممى التى شارك فيها التنظيم ودورى فيها

كان التنظيم حريصاً على المشاركة فى المعارك الجماهيرية السياسية والنقابية.

بالنسبة لى كمدرسة فقد كنت أنتمى لمكتب المعلمين بالحزب كما كنت أنتمى لمكتب المرأة،

وكنت أشارك الأستاذة فاطمة زكى والأستاذ أديب ديمترى وآخرين فى مكتب المعلمين. وفى مكتب المرأة كنت أشارك إنجى أفلاطون وعنايات المنيرى وآخرين. وكانت هذه المكاتب تضم أعضاء من جميع التنظيمات الشيوعية ولم تقتصر على تنظيم واحد.

بالنسبة لى فقد خضت الكثير من المعارك الانتخابية وبفضل مساندة المعلمين وإيمانهم بأننى أدافع عن مطالبهم فعلا فقد تحقق لى الفوز فى كل الانتخابات التى خضتها باسم المعلمين ومن خلال تواجدى فى النقابة تحقق الكثير.

وفى إحدى المعارك الانتخابية الضارية والتى استخدمت فيها كل الوسائل الرخيصة لعدم نجاحى فقد فزت بالمركز القيادى فى النقابة بفضل مساندة المعلمين وبفضل إيمانهم بأننى أعمل فعلاً لمصلحتهم - لم يكن أمام المسئولين إلا سحب عضوية الاتحاد الاشتراكى منى وبذلك أصبحت تلقائيا خارج مجلس النقابة ولم تكن هذه آخر المعارك.

هناك مكسب آخر تحقق بعد جهد شاق يهمنى أن أسجله، وهذا المكسب هو النجاح فى إنشاء الجمعية الفلسفية العربية - وبما أننى كنت مدرسة فلسفة فقد فكرت مع زميلين لى فى إنشاء هذه الجمعية : هذان الزميلان هما الأستاذ الراحل إسماعيل المهدوى والأستاذ عيسى جبران وكنا نلتقى فى كازينو صغير مكان حديقة الأزبكية (نسيت اسمه) لدراسة كل خطوات هذا الموضوع - ولما واجهتنا عقبة ضرورة وجود مقر للجمعية حتى يتم التسجيل فقد تم الاتفاق مع بعض الزملاء فى جمعية المعلمين الذى كان مقرها ميدان الأوبرا على أن أشترك فى هذه الجمعية وقد عملت فعلا اشتراكًا باسمى وبعدها سمحت الجمعية بتخصيص إحدى غرفها كمقر للجمعية الفلسفية. وقد قدمنا كل المطلوب لوزارة الشئون الاجتماعية للتسجيل بعد أن طلبنا من الأستاذ محمد حسن ظاظا أن يكون رئيسًا للجمعية. لم يكن إقناعه سهلا ولكنه كان إنسانًا وطنيًا ومثقفًا وعلى معرفة شخصية بنا وبانتمائنا (كان المفتش الذى يتابع كل أعمالى طوال فترة تدريسى للفلسفة).

وفى الفترة التى كانت الجمعية فيها تحت التأسيس قمنا بأنشطة عديدة وأقمنا العديد من الندوات والترجمات، وانتعشت الجمعية وأصبحت ملتقى لمدرسى الفلسفة وغيرهم إلى أن أعددنا ندوة موضوعها مناظرة بين الماركسية والوجودية للأستاذ محمود أمين العالم والأستاذ أنيس منصور - كان الحضور كبيراً فى تلك الليلة وقبل ابتداء الندوة تم إلغاؤها بأمر المباحث

العامة. وما يهمنى أن أذكره فى هذه القصة أن العزيز اسماعيل المهدوى قام بالجهد الأكبر فى هذا الموضوع وأن الأستاذة مريم زوجة الأستاذ عيسى جبران هى التى ساعدتنا فى التسجيل لمعرفتها ببعض العاملين فى وزارة الشئون وأن الجمعية التى كافحنا فى إنشائها استولى عليها أساتذة الفلسفة بالجامعة ومن آن لآخر أقرأ أخبارها فى الجرائد ولم يعد لنا بها أية صلة - وأخيراً فإن الجمعية الفلسفية العربية مسجلة بوزارة الشئون الاجتماعية تحت رقم ٥٥٦ لسنة ١٩٥٩ وأحتفظ بكل مستندات تسجيلها (للذكرى فقط).

موقف التنظيم وموقفى من القضية الفلسطينية

لا أعرف أو لا أذكر شيئا عن موقف التنظيم من القضية الفلسطينية.

بالنسبة لى فالقضية الفلسطينية هى القضية التى سكنت كيانى وهى القضية التى ظلت وستظل من أهم القضايا فى حياتى، وقد بذلت ودفعت الكثير من أجلها منذ ١٩٤٨ حتى الآن ولن أتوقف عن النضال من أجلها بكل ما بقى لدى من جهد وحتى نهاية العمر.

موقف التنظيم وموقفى من حركة أنصار السلام فى مراحلها المختلفة

موقفى هو التأييد لحركة أنصار السلام، وشاركت فى حملات عدم استخدام الأسلحة النووية، ورغم أننى لم أكن عضوة بالحركة إلا أننى كنت عضوة فى لجنة الجزائر وكان مسئولى الأستاذ يوسف حلمى وكنت أجتمع فى مكتبه مع الأستاذة الراحلة جاكلين خورى ويشرفنى أننى قمت بنشاط مكثف في هذه اللجنة بإعداد المطبوعات وتوزيعها وتوزيع الكتيبات التى تلقى الضوء على قضية الجزائر وجمع التبرعات وقد كان عملى فى مجال التدريس يساعدنى على هذا النشاط (كنت قد نقلت من شبين الكوم إلى القاهرة)

وقد توج كل هذا النشاط بالمشاركة فى مظاهرة نسائية كبيرة طافت بشوارع القاهرة حتى وصلت لمقر الأمم المتحدة مطالبة بعدم إعدام المناضلة جميلة بوحريد والإفراج عنها، وقد شاركت طالباتى فى هذه المظاهرة كما حضرت تلميذتى العزيزة شاهندة مقلد من شبين الكوم للمشاركة فيها. وكانت سعادة طالباتى كبيرة عندما تم الإفراج فعلاً عن جميلة بوحريد واعتبرن أنهن

ساهمن فعلاً فى الإفراج عنها.

(أحتفظ ببعض مطبوعات هذه اللجنة وأحتفظ ببعض مجلات الحائط من عمل تليمذاتى ويبدو فيها من خلال الصور والمقالات والرسوم التوضيحية بشاعة الاستعمار الفرنسى)

موقف التنظيم وموقفى من سلطة يوليو ومن تنظيماتها فى المراحل المختلفة (هيئة التحرير - الاتحاد القومى - الاتحاد الاشتراكى)

كانت علاقتى بالتنظيم من خلال أصدقاء فى حدتو وفى الحزب الشيوعى المصرى.

بالنسبة لحدتو فقد كان الموقف من سلطة يوليو هو التأييد الكامل وبالنسبة للحزب الشيوعى المصرى (الراية) فقد كان الرفض الكامل - ووصفت حركة الجيش بأنها عصابة فاشية أتت إلى الحكم عن طريق انقلاب فاشى أوصى به وأيده الاستعمار الأمريكى.

بالنسبة لى فقد كان أول رّد فعل هو الفرح الشديد باعتبار أن ما حدث هو تتويج لكفاح الأجيال على مدى سنين طويلة وخاصة بعد تنازل الملك عن العرش وتركه البلاد. وأول صدمة واجهتنى وأربكتنى كانت أحداث كفر الدوار وإعدام خميس والبقرى ومما زاد فى ارتباكى أن أصدقائى فى التنظيمات الشيوعية لم يكن لهم موقف واحد وكان التناقض هو السمة الأساسية لمواقفهم.

بعد ذلك اختلفت مواقفى معها وضدها أمام إنجازات عظيمة قامت بها الحركة، وقهر وكبت لأى صوت مخالف واعتقال وسجن وتشريد لكل من تسول له نفسه أن يمارس حريته فى إبداء الرأى أو الحركة أو يتبنى المواقف الحقيقية للناس.

بالنسبة لتنظيمات سلطة يوليو فى المراحل المختلفة فقد انضمت للاتحاد الاشتراكى فى عام ١٩٦٨ وأصبحت الأمينة المساعدة لوحدة منطقة شرق القاهرة التعليمية (بالانتخاب) وباسم هذه الشرعية قمت بنشاط جماهيرى واسع ترك صدى واسعا ومؤثرا بالنسبة للمنطقة التعليمية بجميع مدارسها ومؤسساتها - لم تكن النتيجة طيبة بالنسبة لى، وسأرفق بشهادتى شريطًا مسجلاً به بعض الأنشطة والكثير من المعاناة وقد تم تسجيله فى أمسية طلب منى الكلام فيها مع شباب وشابات مركز دراسات المرأة (معًا).

وكشهادة يجب ألا أكتمها فقد كانت أكبر الطعنات التى تعرضت لها من التنظيم الطليعى الذى ضم معظم قيادات اليسار فى هذه الفترة، ولعل هذا ما أوقعنى فى الخطأ بخصوص ما حدث فى مايو ١٩٧١ (أى انقلاب السادات) وجعلنى للأسف أطلق عليه اسم ثورة مايو.

موقف التنظيم وموقفى من أحداث كفر الدوار

كانت أحداث كفر الدوار هى المحك الحقيقى لنية النظام فى قهر وإسكات أى صوت غير صوته، وقد بدأوا بالعمال فقاوموهم بكل الأسلحة المتاحة وامتد العقاب من الاعتقال والسجن إلى الإعدام فقد تم إعدام خميس والبقرى أول شهداء للعمال وظهر واضحًا الموقف من الطبقة العاملة وأن الصراع الطبقى بينهما يمكن أن يصل إلى آخر مدى - كل ذلك عقب انتفاضة عمالية عادية لها مطالب معينة تعبر عنها - وهنا لابد من تسجيل الخطأ الكبير الذى وقعت فيه حدتو إذ أوعزت للهيئة التأسيسية لاتحاد عام نقابات العمال بإصدار بيان تتنصل فيه من الانتفاضة العمالية وقد جاء فى هذا البيان كما سجله د. رفعت السعيد فى كتابه منظمات اليسار المصرى عن جريدة الأهرام بتاريخ ١٠-٨-١٩٥٢ :

«وصل إلي علم الهيئة التأسيسية للاتحاد العام للنقابات المصرية أن أفراداً من أعداء العمال و الوطن أرادوا أن يسيئوا إلى وطنية الطبقة العاملة محرضين من بقايا وأذناب الرجعية والاستعمار، والهيئة التأسيسية باسم العمال تستنكر هذه الأعمال الإجرامية التى لا تفيد إلا أعداء الوطن - كما ترجو أن يؤخذ هؤلاء المجرمون بشدة حتى نضمن تحرير الوطن وتوحيد صفوفنا فى ظل حياة دستورية كريمة»

.

موقف التنظيم وموقفى من هبة مارس ١٩٥٤

عبرت هبة مارس ١٩٥٤ عن اعتراض الجماهير على حرمانها من كل فرص التعبير عن أمانيها وطموحاتها وإجهاض حلمها فى حياة ديمقراطية سليمة - وقد عبر الدكتور فخرى لبيب فى كتابه (الشيوعيون وعبد الناصر) عن رأيه فى هذا الموضوع (الذى هو رأى الحزب) تعبيراً صادقًا - وأنا أتفق مع رؤيته التى أسجل نصها كما ورد فى كتابه القيم :

«جاءت هبة مارس عام ١٩٥٤ تعبيراً عن رفض الجماهير لهذا المفهوم الذى يعالج به الحزب الحاكم أمانيها الديمقراطية وارتفعت شعارات الحريات السياسية والجبهة الوطنية - أى رفض

عسكرة الحياة السياسية والحزب الواحد مهما كان هذا الحزب وطنيًا ورفض الوصاية مهما كان إخلاص هؤلاء الأوصياء.

إن الحزب الحاكم لم ينجح بعد عامين من وجوده فى السلطة وبسبب مفهومه هذا من فرض نفسه على جماهير القوى الوطنية والتقدمية فى مصر بالقسر والقهر - كما فشل أيضًا أن يكون له وجود حقيقى ومنظم فى الشارع السياسى المصرى».

موقف التنظيم وموقفى من ضرب السلطة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤

في إطار انفراد السلطة بالحكم ورفض الحياة الحزبية وتجريمها وعدم السماح لأى قوة سياسية على الساحة للتعبير عن رأيها - فقد كان من الطبيعى أن تضرب السلطة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤ كما ضربت كل القوى السياسية الأخرى وحرمتها من حق التعبير والمشاركة فى أمور وطنها ووصلت فى ذلك إلى حد الاعتقال والسجن والعزل السياسى والوظيفى..

لا أذكر بالضبط موقف التنظيم من ضرب السلطة للإخوان المسلمين، لكن موقفى أنا الشخصى هو الاعتراض لأن المفروض فى مفهومى أن تعبر كل القوى السياسية عن رأيها وتتصارع بشكل صحى وعلنى والجماهير فى النهاية هى التى تقف مع وتساند وتلتف حول من يتبنى مطالبها ويكافح من أجل مصالحها الحقيقية ويدافع عنها.

علاقة الحزب الشيوعى المصرى بالإخوان

بعد صدور قرار حل جماعة الإخوان فى ١٣ يناير ١٩٥٤ أصدر الحزب بيانًا يدعو فيه الإخوان إلى النضال المشترك ضد الفاشية. وذكر د.رفعت السعيد فى كتابه «منظمات اليسار المصرى» أنه «كانت هناك علاقة بين منظمة الحزب الشيوعى المصرى وبين سيد قطب وقد كشفت عن ذلك أوراق تم ضبطها».

موقف التنظيم وموقفى من تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثى

كان الموقف طبعًا هو التأييد الكامل لتأميم قناة السويس والمقاومة الباسلة لكل قوى الشعب ضد العدوان الثلاثى ويبرز دور الحركة الشيوعية وبدون انقسامات فإلى جانب الوحدة

التى تمت عقب هبة مارس من خمس منظمات وإعلان الحزب الشيوعى الموحد والعمل كجبهة مع النظام الحاكم إذا بالحزب الشيوعى المصرى ينضم للجبهة ويتم إعلان تكوين الحزب الشيوعى المصرى المتحد فى سبتمبر ١٩٥٦ وأعقب ذلك انتخابات ١٩٥٧ ورغم اعتراض الاتحاد القومى على أسماء معظم الشيوعيين إلا أن الفرصة أتيحت للعمل الجماهيرى بشكل موسع وبرز دور الشيوعيين فعلاً كقيادات واعية وسط الجماهير.

وبالنسبة لى فقد كانت هذه الفترة من أعظم فترات حياتى وقد شرفتنى الفنانة الراحلة انجى افلاطون بتسجيل بعضها فى مذكراتها «مذكرات انجى افلاطون- آخر صفحة ٦٣ وصفحة ١٦٤ :

«أما فى الأقاليم فقد برزت لجنة شبين الكوم بقيادة الرفيقة وداد مترى والتى كانت تعمل فى ذلك الوقت مدرسة فى شبين الكوم.

كانت وداد مترى مدرسة بمدرسة شبين الكوم الثانوية للبنات وقد قامت بتكوين لجنة شبين الكوم للمقاومة الشعبية، وكانت لجنة لمحافظة المنوفية وليس لعاصمة المحافظة وحدها. وكانت وداد هى رئيسة هذه اللجنة ومن أبرز أعمال اللجنة ما يلى :

- إعداد مركز للخدمة العامة والتعبئة الشعبية.
- إعداد الندوات والمحاضرات للتوعية.
- التشجيع على التطوع فى الهلال الأحمر والتمرين بالمستشفى الأميرى على أعمال الإسعاف والتمريض.
- المعاونة فى استقبال المهجرين من مدن القناة وتسكينهم وصرف المستلزمات السريعة لهم من ملابس وبطاطين وأغذية وأدوية.
- تنشيط الجهود الذاتية للتبرع بإعانات مالية لحساب المهجرين وتحديد الإعانات بعد عمل الدراسات الاجتماعية والقيام بصرفها للمستحقين.
- القيام بحملة تبرعات من التجار ومن المؤسسات.
- القيام بحملة لحث المواطنين على التبرع بالدم واستغلال مدارس القرى فى ذلك، وكانت فى المقدمة مدارس مليج وكفر المصيلحة وسرس الليان.
- كذلك شملت اللجنة فى تنمية الوعى الانتخابى بعد أن نالت المرأة هذا الحق - وكانت

محافظة المنوفية في طليعة المحافظات في عدد السيدات المقيدات بجداول الانتخابات وقدمت وداد صوراً لنماذج لمطبوعات أصدرتها اللجنة.

الأولي : طلب للقيد بجداول الانتخابات تملأه الطالبة وتقدمه.

الثانية : نداء يحث المواطنات على القيد بالجدول - لا تترددي وإلى الأمام - وعاشت مصر خالدة.

أما الثالثة فنداء لإيقاف التجارب الذرية - عاش كفاح الشعوب الحرة - عاشت الإنسانية المناضلة من أجل السلام.

هذا ما ذكرته المناضلة العظيمة إنجي أفلاطون عن هذه الفترة، وبهذه المناسبة يشرفني أن أسجل ،أن المناضلة العظيمة شاهندة مقلد كانت إحدى تلميذاتي في هذه الفترة وقد كتبت في مذكراتها أن نشاطها معي كان أول فرصة لها لمواجهة الجماهير والتفاعل معها.

موقف التنظيم وموقفي من انتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧

جاءت انتخابات ١٩٥٧ عقب العدوان الثلاثي في ١٩٥٦ وفي هذه المرحلة توحدت القوى الوطنية كلها صفا واحداً في جبهة واحدة مع النظام الحاكم ضد عدو واحد وفعلاً كانت فترة من أخصب وأعز الفترات في تاريخ مصر- وقد امتدت هذه الانفراجة إلى انتخابات ١٩٥٧ لدرجة نزول بعض الشيوعيين المعركة ببرامجهم العلنية وقد أتيحت لهم إلى حد ما الفرصة للدعاية لبرامجهم بكافة السبل - وهذا لم يمنع استخدام بعض الأساليب غير الشريفة في بعض المواقع مثل ما حدث في معركة الرايلي بالعباسية والتي كان مرشحاً فيها الدكتور عبد العظيم أنيس - هذا إلى جانب اعتراض الاتحاد القومي على معظم الشيوعيين.

بالنسبة لي فقد كانت فترة خصبة وعزيزة من حياتي عشتها في مدينة شبين الكوم بحكم عملي وعشت معاركها كما شاركت في المعركة الانتخابية في شبرا بحكم سكني وكان مرشحنا فيها الدكتور فايق فريد وتكونت لجنة لإدارة المعركة كان ضمن أفرادها الدكتور فؤاد محيي الدين والدكتورة حكمت أبو زيد والمناضلة العظيمة ليلى الشال.

من ذكريات هذه الانتخابات أيضاً أنها أول انتخابات تخوضها المرأة مرشحة وناخبة وقد

فازت فيها سيدتان بالانتخاب إحداهما المرحومة السيدة أمينة شكري بالاسكندرية والثانية السيدة راوية عطية بالجيزة (حيث كانت تناضل مع أسر الشهداء).

موقف التنظيم وموقفي من مشروعات الأحلاف العسكرية (أيزنهاور - الهلال الخصيب - حلف الشرق الأوسط)

موقف التنظيم وموقفي بل وموقف النظام أيضًا هو الرفض الكامل لمشروعات الأحلاف العسكرية.

الشهادات التي سبق أن أدليت بها لكتاب أو دارسين وهل تم نشرها؟ وملاحظاتي عليها

سبق أن أدليت بشهادة في ٤ أبريل ١٩٩٤ أثناء لقاء مع مجموعة من الشباب والشابات دعيت إليه من مركز دراسات المرأة العربية (معًا) وكان هذا اللقاء ضمن خطة وضعها المركز لتسجيل نشاط الحركة النسائية المصرية من خلال مجموعة من السيدات كبيرات السن حتى يقلن ما عندهن قبل فوات الأوان. وقد ألقيت في هذا التسجيل الضوء على الأنشطة الجماهيرية العلنية التي أتاحت لي الظروف أن أقوم بها وأعيشها في فترات عزيزة من حياتي وقد شملت الريف والحضر كما أنها تمت في فترات زهو وانتصار وفي فترات أخرى تخللتها الهزيمة والانكسار - وحرصت على تسجيل إنجازات ملموسة تم تحقيقها بمشاركة الناس كما حرصت على تسجيل أخطاء كثيرة وقعت فيها وتحملت نتائجها رغم أن النوايا كانت طيبة.

أرفق مع هذه الشهادة تسجيل هذا اللقاء، وأرجو أن يكون مفيداً وهو موجود داخل المركز.

شهادة

يوسف درويش

البيانات الشخصية

الاســــــــــم : يوسف موسى يوسف فرج درويش المشهور بيوسف درويش

محل وتاريخ الميلاد : مواليد القاهرة فى ٢ أكتوبر ١٩١٠

المــــؤهــلات : ليسانس حقوق

بيانات عائلية آخرى

ولدت فى حارة أبو خوذه بمحطة الجنزوري والمتفرع من شارع العباسية - قسم الوايلى بعمارة كان يمتلكها أحد أميرالات الجيش وأصبح ابنه واسمه عز الدين عاطف الملحق البحرى للملك فاروق، انتقلنا بعد ذلك وكان عمرى حوالى ٤ سنوات الى شارع محمد بالعباسية بعمارة مصطفى الجمال ثم بمنزل بجوار كلية التجارة بالعباسية بجوار الأرض التى كانت تخصص للاحتفال بمولد النبى والمعروفة باسم ارض مولد النبى. وأخيراً انتقلت مع عائلتى وكان عمرى ١٧ سنة إلى مصر الجديدة بشارع رشيد رقم ١٠ ثم إلى منازل اخرى فى نفس المدينة، وعندما تزوجت عام ١٩٤١ اتخذت لى سكنًا بشارع جلالة الملك رقم ٧ ببولاق أمام حوش فايد بالعمارة البلجيكية.

كنت فى بادئ الأمر تلميذاً بمدرسة الاعدادية الابتدائية بالعباسية ثم التحقت بمدرسة الفرير بالظاهر، وقضيت الدراسة الثانوية بمدرسة الفرير بالخرنفش حتى عام ١٩٢٩، وانتقلت إلى الكلية الفرنسية بالظاهر حيث حصلت عام ١٩٣٠ على شهادة البكالوريا (الثانوية العامة) قسم أدبى.

ذهبت إلى فرنسا لدراسة التجارة وكنت مبيت النية على دراسة القانون والتحقت بمدرسة التجارة بتولوز فى اكتوبر ١٩٣٠ وحصلت على دبلوم التجارة العليا من هذه المدرسة عام ١٩٣٢، وكنت قد التحقت في ذات الوقت بكلية الحقوق فى تلك المدينة ونجحت فى السنة الأولى فيها. انتقلت بعد ذلك إلى : أكس اين بروفانس Oix en provence فى فرنسا والتحقت بكلية الحقوق بها حيث حصلت على ليسانس الحقوق عام ١٩٣٤، كما التحقت فى ذات الوقت بمدرسة الدراسات التجارية العليا بمارسيليا Marseille وحصلت على شهادة الدراسات التجارية العليا عام ١٩٣٣ وقدمت آنذاك رسالة عن «القطن فى مصر» للحصول

على تلك الشهادة.

عدت إلى مصر فى أكتوبر ١٩٣٤ وعملت بعد بضعة شهور محامياً أمام المحاكم المختلطة التى كانت مزدهرة وقتئذ ودرست القانون المصري وحصلت على ليسانس الحقوق من جامعة الاسكندرية عام ١٩٤٤.

والدى كان فى بادئ حياته المهنية عاملا حرفيا فى المصوغات ثم أقام ورشة صغيرة لصناعة المصوغات وفتح بجوار تلك الورشة متجرا لبيع المصوغات على أنواعها ومن ثم أصبح من كبار الصاغة يمتلك ورشة متوسطة الاهمية والحجم ومتجرا للبيع بالقطاعى، وسرعان ما أصبح تاجراً بالجملة يبيع منتجاته أساسا لتجار الصاغة بمنطقة القنال فى كل من بورسعيد والسويس والاسماعيلية فيذهب مرة كل اسبوع إلى تلك المنطقة لتسويق منتجاته ولتحصيل مستحقاته حتى أن العائلة كثيراً ما كانت تقضى أجازاتها فى بورسعيد ضيوفًا على عائلات تجارها، وأذكر أنه فى الاجازة إلتى قضيتها فى مصر عام ١٩٣٢خلال دراستى فى فرنسا صاحبت والدى إلى بورسعيد وقدمنى فى القطار العائد إلى القاهرة للمرحوم الاستاذ حسن البنا الذى كان قد بدأ وقتذاك فى تكوين شعبة الاخوان المسلمين بالاسماعيلية. هذا وقد توفى والدى عام ١٩٤٠.

أنا من عائلة مصرية. كان لى عم اسمه إبراهيم، وله ولدان يوسف وثابت وعم آخر اسمه ثابت. من أقاربى مراد فرج الذى كان محاميًا للخديوى عباس الثانى وهو كاتب وباحث وشاعر، كتب فى القانون وكتب فى تاريخ الفدائيين، كما كان داوود حسنى قريبى أيضا وهو الموسيقار المشهور.

ترجع أصول عائلة درويش إلى وقت بعيد فى مصر والدليل موجود بوزارة الداخلية قسم الجوازات والجنسية فى الملف الخاص بتلك العائلة. إذ يتضح فى هذا الملف وجود عقد بيع عقار لفرد من عائلة درويش يعود إلى عام ١٨٤٧ فقد كنت قدمت أنا وإخوتى هذا العقد عام ١٩٤٦ إلي قسم الجوازات والجنسية للتدليل على أصولنا المصرية وبالتالي حصلنا علي شهادة بإثبات جنسيتنا المصرية.

أعطى هذا التفصيل لأبدد الأكاذيب التى أخذ البعض يروجها عن حقيقة أصولى المصرية.

وكانت عائلتى تنتمى إلى طائفة ديفانى «قرائى» ويطلق عليها «يهود قرائين»، القراؤون

يختلفون عن اليهود الربانيين حيث يقتصر اعتناقهم واعتمادهم على التوراة دون التلمود. وكان اليهود الربانيون لا يعتبرون القرائين يهودا وكذلك النظام العنصري فى ألمانيا النازية الذي لم يعد القرائين يهودا واستثناهم من الإجراءات التى كان قد اتخذها ضد اليهود عموما، وللعلم أشهرت إسلامى فى نوفمبر ١٩٤٧. أنجبت عام ١٩٤٣ ولدا أسميته «مجاهد» لأننى كنت فى ذروة النضال والنشاط، وفى عام ١٩٤٩ أنجبت بنتًا أسمتها والدتها «نوله» باعتبارها هدية تركتها لها قبل دخولى المعتقل عام ١٩٤٨.

اشتغلت محاميا أمام المحاكم المختلطة من اوائل ١٩٣٥ حتى نهاية هذه المحاكم عام ١٩٤٩، وعملت محاميا أمام المحاكم الاهلية ابتداء من عام ١٩٤٤.

عندما كنت طالبا بمدرسة الفرير بالظاهر وكان عمري آنذاك ٩ سنوات شهدت تطورات وأحداث ثورة ١٩١٩ من مظاهرات طلابية وإضرابات عمالية خاصة عمال ترام القاهرة والمدرسة الاعدادية الثانوية بأول العباسية، رأيت كيف كان الجنود الإنجليز يجبرون هؤلاء العمال على تسيير مركبات الترام، وشهدت بنفسى وكنت واقفا بمحطة ترام الحسنية أمام محل الاهوانى للبقالة كيف أن أحد الواقفين من الثوار هجم على الجندى الانجليزى الذى كان واقفا بجوار سائق الترام لإجباره على العمل، وقطع يده بالساطور. وشهدت فى تلك الفترة عندما كنت مقيمًا مع عائلتى بشارع سعيد بالعباسية بعمارة الجمال كيف أن أحد الشبان من الثوار سار وراء جندي انجليزي وذبحه بسيفه فى حقل بجوار المنزل وألقى به فى الساقية. وعندما كنت أتردد على محل والدى بالمتولي (قبل انتقاله للصاغة) إبان الثورة رأيت كيف كان الجنود الإنجليز منتشرين فى أجواء الحى شاهرين بنادقهم ومدافعهم الرشاشة فى وجه سكان وتجار الحى لإنزال الخوف فى قلوبهم. كما كنت أقرأ على حوائط المنازل والعمارت عبارات عن «اليد السوداء» وهى جمعية كانت تستهدف اغتيال الجنود الانجليز، كنت مهتمًا بالاحداث، وأذكر أنني ذهبت إلى ميدان محطة مصر فى الاستقبال الشعبى الحاشد لسعد زغلول عند عودته من المنفى، كما أذكر أنه حين أجريت الانتخابات البرلمانية عام ١٩٢٤ وتقدم (حسن حسيب باشا) مرشحًا عن الوفد فى دائرة الوايلى اهتممت بمشاهدة السرادق الكبير الذى أقيم بهذه المناسبة أمام المدرسة الايطالية بالعباسية واستمعت إلى الخطب والشعارات والهتافات.

وعندما التحقت بمدرسة الفرير الثانوية بالخرنفش كانت قراءاتى كثيرة ومتنوعة وتطلعاتى

نحو أهداف ومعانى الثورة الفرنسية فى المساواة والإخاء والحرية، حتى أنه عندما كنت عضوا فى جمعية ثقافية داخل المدرسة ألقيت محاضرة عن الثورة الفرنسية أغضبت كثيراً المدرس المسئول عن هذه الجمعية، وأخذ الطلبة منذئذ يشيرون إلىّ على أننى ثورى. كنت فى تلك الفترة صديقًا صدوقًا لكل من حامد سلطان (استاذ القانون الدولى) ومحى حسن وعثمان الارناؤوطى (اللذين عملا فى السلك الدبلوماسى بوزارة الخارجية) وجمال مدكور (المخرج السينمائى) وأحمد بدرخان (السينمائي الشهير) وأقمنا سويا مع زميل آخر اسمه نبيه عوضى جمعية ثقافية خارج نطاق المدرسة سرعان ما عملت إدارة تلك المدرسة علي تحذير الطلبة من الانضمام اليها.

كانت قراءاتى فى تلك الفترة فى الأدب الفرنسى وفى الأدب العربى فاطلعت على كل الكلاسيكيات بشكل عام (مونتسكيو، روسو ، فولتير، باسكال، لامارتين، برجسون، عباس العقاد، المنفلوطى، أحمد شوقى ....) كما كنت أطلع بانتظام على كافة الجرائد والمجلات التى كانت تصدر فى ذلك الوقت ومنها البلاغ وكوكب الشرق والكشكول.. لم يكن لى أية قراءات فى الماركسية فلم أكن أعلم عنها شيئًا بل انصبت قراءاتى السياسية والاجتماعية على قضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان فاطلعت على العديد من مطبوعات الحزب الراديكالى الفرنسى، وكانت تصلنى نشرات جمعية حقوق الإنسان الفرنسية، كما كنت أطلع باستمرار على «جريدة القاهرة» الفرنسية Le Journal d'Egypte التى كان يصدرها فؤاد يكن وكذلك على مجلة علم مصر باللغة الفرنسية Flamlean d'Egypte التى كان يصدرها أحمد راشد وهى مجلة تقدمية تدعو إلى التقدم واحترام حقوق الإنسان، واسترعتنى آنذاك مقالة بعنوان «دفاعا عن الاتحاد السوفييتى» وكان ذلك عام ١٩٢٧ علي وجه التقريب.

فى هذه الفترة كنت أهتم اهتمامًا خاصًا بالمحاضرات التى تلقى فكنت دائم الحضور فى «الجمعية الجغرافية الملكية» حيث كان يحاضر فيها كبار المفكرين والأدباء مصريين وأجانب وخاصة فرنسيين، كما تابعت غالبية المحاضرات فى قاعة «ايوارت» Ewert بالجامعة الأمريكية، وأذكر بصورة خاصة من بين المحاضرين محمود عزمى الذى كان وقتئاك من دعاة الإشتراكية والذى عمل فترة بعد ذلك سكرتيرا خاصا للخديوى عباس حليم الثاني. وقد بلغ اهتمامى بالأدب بشكل عام أننى دعيت للحضور فى حفل الاستقبال العام الذى أعد للشاعر

الهندى الكبير رابيندارات تاجور Rabimadrat Taghore وكان ذلك في حديقة الأزبكية كما كنت أواظب على الاستماع إلى أنواع الموسيقى الكلاسيكية التى كانت تقدم فى قاعة تلك الحديقة، وحضرت أيضا كثيراً من عروض الأوبرا. وبجانب ذلك كثيرا ما كنت أتردد على مجلس النواب للاستماع إلي المناقشات التى تجرى فيه ومشاهده رجال السياسية والدولة منهم سعد زغلول، ويصا واصف، مكرم عبيد، عبد العزيز جاويش .. وكنت حاضرا مصادفة فى جلسة النواب الذي هاجم فيها عباس العقاد الملك وسمعته يقول كلمته الشهيرة «إذا وجب علينا فسوف نقضى على أكبر رأس فى البلد».

بدأت في ذلك الوقت معالم تفكيري تتحدد نحو قضية الاستقلال وجلاء الانجليز عن بلادنا وهى القضية التى كان يعبر الوفد عنها، كما تحددت أيضًا وتجلت أكثر من ذى قبل قضايا الحرية والديمقراطية والمساواة من أعمال الكتاب الفرنسيين أساسا من تاريخ الثورة الفرنسية.

كنت وفديا كباقى غالبية شباب مصر، فالوفد كان كل شئ.. وهو الحزب الشعبى الوحيد فى الساحة.إذ التفت حوله الجماهير العريضة من العمال والفلاحين والمثقفين والتجار وأصحاب الورش وغيرهم من مختلف فئات الشعب. أذكر حين توفى سعد زغلول فى ٢ اغسطس ١٩٢٧ أننى اشتركت فى الجنازة الشعبية الكبرى التى نظمت فى القاهرة وكان حزنى كبيرا على وفاته فارتديت الملابس السودا - شهرا كاملا ثم الكرافتة السودا - سنة كاملة. إن تعلقي بالوفد حزبا شعبياً مطالبًا بالاستقلال والجلاء كان قويا للغاية كما اتضح عداتى للسراى وللملكية، وأذكر بهذه المناسبة أنه عندما أقيلت وزارة النحاس باشا فى خريف عام ١٩٣٠ قبيل سفرى إلى فرنسا بأيام كنت أشاهد جلسة مجلس النواب مع صديقى حامد سلطان حين اعلن إقالة الوزارة الوفدية فخرجنا من البرلمان ونظمنا مظاهرة احتجاج سارت بجوار قصر عابدين منددة بقرار الاقالة.

سافرت إلى فرنسا فى اكتوبر ١٩٣٠ للدراسة وتوجهت إلى مدينة تولوز Toulouse فى الجنوب وكان معى حامد سلطان ويحيى حسن، ثم انتقلت عام ١٩٣٢ إلى اكس ابن بروفانس Qix en Provence التى تبعد قليلا عن مارسيليا حتى عودتى النهائية إلى مصر فى اكتوبر ١٩٣٤.

فى فرنسا استمرت قراءاتى فى الأدب الفرنسى واطلاعاتى على كتب السياسة والاجتماع

والاقتصاد، ولأول مرة بدأت اقرأ الكتب الماركسية وتاريخ ثورة أكتوبر السوفيتية ومنها مؤلفات من ماركس وانجلز ولينين وبوخارين وتروتسكي كما اطلعت أيضًا على ما كتبه ويكتبه كل من موسوليني وهتلر. درست دراسة متأنية الجزء الأول من كتاب «رأس المال» La Capital. وكتاب «حياتي» لتروتسكي وكذلك «الدولية الثالثة أو تنظيم عدم التنظيم». وكانت تصلني بانتظام من مصر جريدة الأهرام وبعض الكتب الأدبية وفي الشئون العامة والتاريخ، ويمكن القول أن نشأتي الأولى التي اتضحت في ذلك الوقت كانت مزيجًا من التعلق الوطني والاتجاه الماركسي العام. وأذكر هنا أنه حينما التحقت بالسنة الأولى في كلية حقوق بمدينة تولوز استقبلتني سكرتيرة الكلية بترحاب على أنني مصري ومن بلد «مصطفى كامل» وكانت تعرفه حينما كان يدرس في تلك الكلية.

كان تعلقي بمصر والعروبة بشكل عام أمرا أساسيا فكونت مع كل من حامد سلطان وتوفيق عبد الواحد (قرانى) ومحيد شفيق (الذى أصبح بعد ذلك موظفًا ببنك مصر) وبهاء الدين كامل (والد الدكتور حسين كامل بهاء الدين) جمعية فى تولوز عام ١٩٣١ تحت اسم «جمعية الطلبة العرب» انضم إليها الغالبية الكبرى من الطلبة العرب فى تلك المدينة ومن بينهم جزائريون أصبحوا بعد ذلك من قادة الثورة الجزائرية.

شاءت الظروف أن يحضر إلى تولوز الخديوي السابق عباس حليم الثانى وكان بصحبته محمود عزمى سكرتيره الخاص صاحب الاتجاه الاشتراكى فالتقت بهما مجموعة من الطلبة المصريين وكنت من بينهم، ودار حديث طويل عن الأوضاع في مصر ووجوب العمل من أجل إجلاء الانجليز عن البلاد.

وعندما بدأت تظهر الهتلرية فى المانيا كنت أحد معارضيها باعتبارها عنصرية ومنافية للديمقراطية، واشتركت فى تولوز فى كافة الفعاليات والتظاهرات التى نظمت آنذاك خاصة مع حضور المحامى الفرنسى الكبير موروجيافيرى Moro Giafferi الذى كان يتهيأ لتولى الدفاع عن جورج ديمتروف امام محكمة نورمبرج.

بدأت اتجاهاتي تتضح نحو الفكر الإشتراكي وتعاليم ماركس عندما كنت فى إكس اين برفانس Oix en Provence فتشكلت أفكاري بشكل نهائي حول ذلك حيث كان التأثير المباشر من الدراسات التى تلقيتها مع آخرين من أحد الالمان الهاربين من نير الهتلرية واسمه

بورشر Borsher الذى أخذ يلقن لنا فى منزله بتلك المدينة مبادئ الماركسية وكانت الفائدة كبيرة للغاية، وفى هذه الفترة كونت مع بعض الطلبة الفرنسيين «لجنة الطلبة ضد الفاشية والحرب» عام ١٩٣٣ وتمكنت بمساعدة صديقة شيوعية من الحضور كمستمع فى بعض اجتماعات خلية الحزب الشيوعى فى هذه المدينة.

عدت إلى مصر فى اكتوبر ١٩٣٤ وأنا مقتنع تماما بوجوب العمل على استقلال مصر والانتهاء من نظام الامتيازات والاهتمام بقضية الطبقة العاملة والسلام العالمى، قضية الاستقلال لأنها هى القضية التى طالما كان الوفد ينادى بها ومن حوله الشعب كله، قضية الطبقة العاملة فقد أتى الاهتمام بها من خلال قراءاتى ودراساتى واتصالاتى.

أما عن وجوب الانتهاء من نظام الامتيازات الأجنبية فلقد استرعى نظرى ما كان قد حصل لى خلال إجازتى فى مصر عام ١٩٣٢ حيث ذهبت مع اخوتى وبعض الأصدقاء إلى نادى إيطالى بمصر الجديدة ولم أكن أعرف ولم يبلغنى احد أنه نادى فاشى واسمه دبولافورو،

فى ملتقى شارعى طنطا وسعد زغلول بمصر الجديدة عند انتهاء الحفل الراقص عزفت الموسيقى نشيد جيوفمستا giovimetsa وهو نشيد الشباب الفاشى.

وقف الجميع إجلالا لهذا النشيد بينما امتنعت أنا تماما عن الوقوف.. رغم إصرار من كان يصاحبنى، وبعد الانتهاء من عزف هذا النشيد جاءنى شابان إيطاليان ضخما الجسم وصفعانى على وجهى وألقيا بى أرضا وسحلانى من الصالة إلى خارجها حتى الطريق العام وأخذ الشباب الفاشى يركلنى بالارجل ويضربونى ضربا مبرحا، وعندما حضر رجال البوليس سرعان ما هرب المعتدون وتوجهت إلي قسم بوليس مصر الجديدة لتحرير محضر بالواقعة، والذى أدهشنى تماماً أننى استدعيت إلى قسم البوليس لأبلغ أن «المحضر حول إلى جهة الإختصاص وهى القنصلية الإيطالية للتصرف» أحسست مباشرة بهول الامتيازات الاجنبية، وأخذ هذا الشعور يزداد قوة حين كنت أشاهد المليشيات الفاشية الايطالية ذات الرداء الأسود تجوب فى شوارع القاهرةوفى وسط المدينة بميدان الاوبرا، كما كان بعد ذلك ما بدر عام ١٩٤٢ من محكمة الجنح المختلطة فى قضية النقابى محمد مدبولى الذى فصل من عمله فى شركة البواخر البحرية بشبرا الخيمة لنشاطه النقابى. فقد كان رئيس هذه المحكمة إنجليزيا والمتهم وهو مدير تلك الشركة إنجليزى وأصدر حكما بالبراءة لأنه انجليزى ليس أكثر أو أقل كما اعترف لى شخصياً بعد ذلك.

انطلاقا من هذه المفاهيم العامة التى قد ترسخت فى وجدانى عملت فور عودتى النهائية إلى مصر على الاتصال بحركة العمال فذهب شخصيا ومنفرداً إلى الاتحاد العام للنقابات بمقره بعمارة متاتيا بالعتبة الخضراء. وكان قائده آنئاك الأمير عباس حليم من العائلة المالكة. استقبلت استقبالا حسنا. استقبال العمال لشاب من غير طبقتهم يرغب فى اللقاء بهم. فى نفس الفترة كنت أبحث عن مقر أنصار السلام فعثرت عليه مصادفة وأنا مترجل بشارع شريف باشا، وكان هذا المقر فى العمارة التى تسبق مباشرة عمارة الايمبيليا بالقاهرة فتوجهت إليه وطلبت الانضمام إلى أنصار السلام وهى جماعة كانت تضم مختلف الجنسيات من يونانيين وقبارصة وانجليز وإيطاليين وسويسريين وأنصاف الأجانب وبعض المصريين أذكر منهم المحامى كونستانتان فرجوبولو Constantin Vergopul o والمحامى ليسوحازان Lisso Hazan وتيودوسى بيريدسTheodossi Pierrides وبول جاكو Paul Jacot ورعون دويك وعبد الرازق السنهورى وعبد الوهاب العشماوى وفاطمة نعمت راشد والأمير عباس حليم. يبدو أن سلوكى الشخصى استرعى نظر كل من بول جاكو وتيودوس بيريدس حيث كنت لا أتعالى على الآخرين بالنظر إلى مركزى الاجتماعى كمحام ولا أمتنع خلاف البعض من المحامين عن القيام بأبسط الاعمال فى سبيل حركة السلام، بالاضافة طبعاً إلى اتجاهى الفكرى العام. وللعلم كان للتروتسكيين مقراً فى نفس العمارة وكانوا يصدرون مجلة «التطور» ذات الغلاف الأصفر اللون والتى صدر منها ثلاثة أو أربعة أعداد وكان منهم لطف الله سليمان، رمسيس يونان، جورج حنين، كامل التلمسانى وغيرهم، وكانت علاقاتنا بهم عادية على الرغم من العداء الشديد بيننا.

كانت جمعية أنصار السلام بالقاهرة ومثلها جمعية أنصار السلام فى كل من الاسكندرية وبورسعيد مرتبطة «بعصبة أنصار السلام العالمية» التى تأسست فى أوائل الثلاثينيات من هذا القرن فى أمستردام بهولاندا وكان رئيسها «نهرو» الزعيم الهندى المعروف، ومن أهدافها السلام بين جميع الشعوب ومكافحة الحرب، والكفاح ضد الفاشية، والكفاح ضد العنصرية.

لقد كافحت جمعية أنصار السلام بشكل جدى ضد الصهيونية باعتبارها شكلا من العنصرية، ورفضت رفضا قاطعا مشروعات إقامة وطن لليهود فى الاراضى العربية وفى فلسطين، وساندت حركات التحرر والحرية ومنها الثورة الاسبانية والجمهورية الاسبانية.

كانت جمعية انصار السلام بالقاهرة توزع العديد من المنشورات المساندة للقضية الفلسطينية والرافضة لمشروعات التقسيم وحملات الهجرة اليهودية فى فلسطين «انتهزت الجمعية فرصة مرور قادة الثورة الفلسطينية بالقاهرة فأوفدت كلاً من ريمون دويك وكاتب هذه السطور للالتقاء بهم، وتمت مقابلة كل من موسى الخالدى وأحمد الحسينى بفندق الكونتننتال بميدان الأوبرا، وأجرينا معهما حديثا مطولا عرضنا فيه أهداف أنصار السلام ووقوفهم بحزم بجانب الشعب الفلسطينى. كما أن نشاط جمعية أنصار السلام اشتد ضد هجرة اليهود إلى فلسطين خاصة بعد ظهور الفاشية فى المانيا ونزوح كثير من اليهود إلى فلسطين بتشجيع من السلطات الالمانية والدول الاوروبية، وكنت مع زملائى نوزع فى شوارع وميادين القاهرة وعلى الأخص فى وسط المدينة بشارع عماد الدين المنشورات التى تحتج على هذه الهجرة وترفض مشاريع التقسيم.

فى هذه الفترة أيضاً (١٩٣٦) حضرت إلى مصر لجنة موفدة من «عصبة الأمم» للتحرى عن رأى الشعب المصرى بشأن مشاريع تقسيم فلسطين التى كانت قد بدأت تطرح على الساحة العالمية، وتوجهت مع ريمون دويك باسم أنصار السلام إلى مقر تلك اللجنة بفندق شبرد القديم قبل حرقه (شارع ابراهيم باشا سابقاً وشارع الجمهورية حالياً) وأدلينا برأينا الذى يتلخص فى التمسك بحق شعب فلسطين فى وطنه كاملا ورفض أي مشروع للتقسيم .

لابد أن أذكر هنا أن من بين الكتب الرئيسية التى تولينا دراستها بشكل جماعى كتاب «نهاية اليهودية» La fin du Yudaisme تأليف «اتو هللر Otto Heller وهو كاتب ماركسى المانى.

يقف هذا الكتاب بشكل صريح وواضح مستنداً إلى الوثائق والمسببات التاريخية موقفاً معادياً للصهيونية كاشفاً حقيقتها ونافياً حق اليهود فى قيام وطن قومى خاص بهم. لقد أثر هذا الكتاب تأثيراً كبيراً للغاية فى وجداننا جميعا، وكانت الفائدة كبيرة جداً حتى أن أحمد صادق سعد حين وضع كتابه عن فلسطين بعد ذلك استند فى مواضع كثيرة وفى أطروحات كثيرة إلى ماتضمنه هذا الكتاب من معلومات وحجج.

تلك كلها عوامل كان لها الأثر الفعال فى تبنى «طليعة العمال» بعد ذلك قضية الشعب الفلسطينى وحقه فى وطنه وفى تقرير مصيره.

كان لأنصار السلام موقف معاد ثابت وأصيل ضد الفاشية والنازية وأصدرت العديد من المطبوعات باللغات العربية والفرنسية والانجليزية فى هذا الشأن وخاصة تلك المنشورات التى تدعو إلى مقاطعة السلع والمنتجات الألمانية.

كما ناصرت جمعية أنصار السلام بالقاهرة ومثيلاتها بالاسكندرية وبورسعيد الثورة الاسبانية وحكومتها فى الحرب الضروس التى شنتها ضد الفاشيين الاسبان وأصدرت المنشورات والبيانات. وللذكرى والتاريخ نقول إن اثنين من أعضائها احدهما يونانى لا أذكر اسمه وكان فنانا والآخر واسمه مصطفى التحقا بقوات الثورة الاسبانية للنضال فى صفوفها. اهتمت جمعية انصار السلام بجمع التبرعات من نقود وملابس وأدوية لمساعدة هؤلاء الثوار وأقامت حفلا تضامنياً معهم بسينما ميامى بالقاهرة حيث امتلأت القاعة إلى آخرها لتشاهد فيلم عن تلك الثورة واسمه «حصار بارشلونه» Blockhead وكان البطل هنرى فوندا. واستمعت إلى خطاب تأييد ومساندة ألقاه بول جاكو عن جمعية أنصار السلام وجمعت هنا أيضا التبرعات. وأذكر أيضاً بمناسبة الحديث عن الثورة الاسبانية ومساندة أنصار السلام لها أنه قد التقى فريق منا بالمناضلة الاسبانية الشيوعية العظيمة «لاباسيونارا LA Passionrra بالسفارة الاسبانية بالقاهرة، كما كان لكاتب هذه السطور وبعض زملائه من المحامين علاقات سياسية وطيبة للغاية بالقاضى المختلط فريتاس Freitas وكان أسبانيًا وعندما انقضت جحافل الفاشيين على الثورة وحكومتها أعلن فى جلسة علنية فى المحكمة «إن الجمهورية قد سقطت وأخذ يبكى بدموع حارة».

ومن الأعمال القيمة التى قامت بها جمعية أنصار السلام المقابلة التى أجراها بول جاكو ممثلاً لتلك الجمعية بين كل من نهرو الزعيم الهندى المعروف وبين مصطفى النحاس باشا زعيم الوفد، وقد تمت تلك المقابلة فى مطعم الكورسال بشارع الالفى عام ١٩٣٧ وانطلقت منذ ذلك اليوم صداقة حميمة بين الزعيمين لصالح البلدين ولصالح السلام العالمى.

وللعلم كان من أكثر الناس نشاطًا فى جمعية أنصار السلام بالاسكندرية كل من سيلين حاسين وألن وتلتون Allgn Whittelton ولطفى عزوز واقبال حاسين وأليس جمبارازى Alice Gambarazi وأنا ستوليار Anna Stolirr وغيرهم الكثيرون.

هذه هى بشكل عام جماعات انصار السلام فى مصر بما لها من أهداف وما تقوم به من

نشاط وأعمال، غير أنه عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ وأصبح من غير المفهوم الدعوة للسلام والحرب تدور سجالاً رأى القائمون على تلك الجمعية تحويل نشاطها وخبرتها واتصالاتها وأعضائها إلى ميدان الثقافة والدراسة فتكونت «جماعة الدراسات» واتخذت لنفسها مقرا فى ذات مقر جمعية أنصار السلام والذى كانت قد انتقلت إليه بشارع المغربى (عدلى حاليا) بجوار مكتب التليفونات والتلغرافات. نشطت «جمعية الدراسات» نشاطا كبيراً بين المثقفين وبدأت علاقات مكثفة بالمثقفين المصريين من الشباب وألقيت العديد من المحاضرات القيمة فى دارها التى تتناول العديد من المشاكل، وأذكر بهذه المناسبة أننى ألقيت فيها محاضرة عن «تدفق رؤوس الاموال الاجنبية إلى مصر فى أواخر القرن التاسع عشر» استقيت عناصرها واستنتاجاتها من كتب المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعي ومن كتاب «خراب مصر» تأليف روزشتاين، واستندت إلى كتاب ليونتيف Leontiev فى الاقتصاد السياسى، وجدير بالملاحظة أن هذه المحاضرة استرعت نظر المستمعين اليها من أعضاء «جماعة الدراسات» وخاصة الرفاق منهم الذين كنت بدأت العمل معهم فى مجال الدراسة الماركسية والنشاط فى الميدان العام فزادت ثقتهم فىّ، وتأكدت لهم نهائيا انتماءاتى الفكرية والتنظيمية.

ومع اندلاع الحرب ووجود جحافل الجيوش الانجليزية فى مصر لصد الغزو النازى من ليبيا رأينا أنه يتوجب علينا توضيح أوضاع مصر الحقيقية لهؤلاء الجنود فتم تكليف أحد اعضاء «جماعة الدراسات» وهو هارى واينت Harry Wayment انجليزى الجنسية وكتب بمعاونة بعض الرفاق وخاصة بول جاكو كتابا باللغة الانجليزية بعنوان «مصر الآن» Egypt Now وتم توزيع هذا الكتاب توزيعا واسعا، وكان له تأثير بالغ الأهمية.

طول هذه الفترة ابتداءً من عام ١٩٣٥ كانت هناك فى البداية مجموعة صغيرة لدراسة الماركسية والاطلاع على الكتب الخاصة بها وكانت تتكون من كل من بول جاكو، ريمون دويك، فكتور دويك، وكاتب هذه السطور، انضم اليها فيما بعد فى بداية الحرب العالمية الثانية كل كونستانتين فيروجوبولو Constantin Vergopoulo وهو المحامى المختلط الذى أشرنا اليه قبلا وصادق سعد الذى كان قد وصل من الاسكندرية على الثر. كانت دراساتنا تنصب كما قلت على مختلف الكتب الماركسية (رأس المال، ما العمل، القضية الوطنية، أسس اللينينية،

نهاية اليهودية، المادية التاريخية، الدولة والثورة، ضد ديورنج، أصل العائلة وكذلك كتب جارودى Garaudy وليففر Lhefivre إضافة إلى الكتب التى تعالج الاوضاع فى بلادنا (كتب الرافعى أساسا، والكتب التى تتناول مشكلة الفلاحين مثل كتاب الأب عيروتى ويوسف نحاس..)

لم يكن لنا فى ذلك الوقت اتصال بالطبقة العاملة أو بالجماهير الشعبية. إلا أننى أذكر أننى كلفت من بول جاكو فى أحد الأيام بإعداد منشور باللغة العربية عن الاحتلال واستقلال مصر لتسليمه للرفاق اليونانيين لتوزيعه بمعرفتهم وكانت لهم علاقات فى هذا المجال، وقمت بنفسى بتسليم هذا المنشور إلى أحد الرفاق اليونانيين، وكان يعمل فى شباك سباق الخيل بوسط المدينة.

كنا نطلع بانتظام على كافة الجرائد والمجلات التى كانت تصدر وقتذاك باللغة العربية، وكنا ننكب من فترة إلى أخري على وضع التقارير السياسية استناداً إلى تلك القراءات وهو ما اعتدنا عليه منذ الأيام الاولى لوجودنا. كنا شديدى الاهتمام بالوفد باعتباره الحزب الشعبى الوحيد فى مصر وحضرنا العديد من فعالياته العامة من مؤتمرات وندوات ومهرجانات شعبية. واسترعى نظرنا المؤتمر الذى عقده الوفد لأول مرة عام ١٩٣٥ حيث تناول بالمناقشة كافة قضايا الوطن فى السياسة الداخلية والخارجية، وحصلنا على كل هذه الوثائق وتدارسناها واستخرجنا منها ما يفيدنا.

فى هذه الفترة أيضًا كان صموئيل هور Samuel Hoare وزير الخارجية البريطانية قد أصدر تصريحا (١٩٣٦) ينفى حق مصر فى الاستقلال فأيدت المجموعة قيامى مع صديقى حامد سلطان ومعه خيرت سعيد وهو أيضًا أستاذ فى القانون الدولى بجمع توقيعات من المحامين احتجاجًا على هذا التصريح.

وفى عام ١٩٣٦ كلفتنى المجموعة بإجراء دراسة تاريخية أولية عن تطور أحداث الحركة العمالية والنقابية فى مصر فتوجهت إلى دار الكتب (الكتبخانة) بباب الخلق واطلعت على كافة الجرائد التى صدرت فى الفترة من ١٩١٩ حتى ١٩٣٦ وخاصة جريدة الاهرام وحصلت بذلك على العديد من المعلومات والبيانات والاسماء عن الحركة الاضرابية والنقابية.

فى سنوات ٣٦-١٩٣٧ بدأت المجموعة تتشكل أكثر فأكثر، واستقر الرأى عندما قامت

الحرب العالمية عام ١٩٣٩ على وجوب أن يكون العمل المستقل مستقلاً تماما عن مجموعة شيوعية في مصر مكونة من العاملين في هذا الحقل خاصة من الاجانب فكان فيها اليونانيون أساسا والقبرصيون والانجليز والسويسريون والايطاليون واليوغوسلافيون وأنصاف الاجانب ومعهم بعض المصريين وأيضاً نحن الثلاثة ريمون دويك وصادق سعد وكاتب هذه السطور.

تعود هذه المجموعة الشيوعية الكبيرة تاريخياً إلى عناصر من الحزب الشيوعي المصري الأول واستمرت تعمل طيلة فترة الثلاثينيات والاربعينيات في أشد صنوف السرية. كان في هذه المجموعة كل من بول جاكو Paul Jacot السويسري الجنسية والمهندس الكهربائي وكان والده يعمل مهندسا ايضاً بوزارة الاشغال العمومية في آواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي بالقاهرة. كما ضمت هذه المجموعة كل أشقاء بيريرس حيث كان يعمل جورج بيريرس محاسباً في إحدى شركات القطن بالقناطر الخيرية وآخر كان له محل للحلويات بدرب البرابرة في وسط القاهرة. ضمت هذه المجموعة ايضاً كل من زينون كرامنيان[1] Zenon Caramenian أديل ميزان[2] Ade'le Misan وجري كرامنيان Jerry Caramanian الشقيق الاصغر للسابق ولامبيس راباس LAMBIS RAPPAS ريني كرتيكوس YANNI CRITICOS[3] وألن وتليتون ALLEN WUITTELTON[4] ورناتو فرفرا RENATO FARFARA[5]

(١) ارمني الاصل . كان يعمل بمطابع ماترسيان بروض الفرج. قدم للحركة الشيوعية ولكفاح الشعب المصرى خدمات جليلة على المستوى الفكرى والعلمى وقدم لها اثنين من العناصر الجيدة احدهما عبد الحميد عوض الذي عمل بوزارة التموين وآخر عامل اسمه يونس وسافر كرامنيان إلى أرمينيا السوفيتية عام ١٩٤٨ ثم انتقل مع عائلته إلى فرنسا وتوفى هناك.

(٢) زوجة السابق، من عائلة شرقية متفرنسة. قدمت العديد من الخدمات وساهمت بدراساتها وافكارها وقدمت تقريرا هاما للغاية عن القضية الزراعية في مصر.

(٣) شارك في الحرب مع الجيوش اليونانية الحرة واستقر في اليونان حيث يعمل أستاذ فلسفة .

(٤) انجليزي الجنسية كان مقيماً بالاسكندرية وعمل فيها مدرساً للغة الانجليزية بالمدارس الحكومية سافر إلى انجلترا عام ١٩٤٦ واستمر في نشاطه في الحزب الشيوعي الانجليزي.

(٥) ايطالي الجنسية كان يقيم بالاسكندرية ثم انتقل إلى القاهرة حيث كان يعمل أحد مدراء شركة البوتاغاز، انضم للحركة الشيوعية منذ شبابه الأول وعمل في الاوساط العمالية وتعلم اللغة العربية وكان عضوا بعد ذلك في «طليعة العمال» حتى عودته إلى ايطاليا بعد عام ١٩٥١ . قام بأعمال هامة للغاية في مجال المساعدات الفنية محتفظاً عنده بأرشيف كامل في الفيلا التي استأجرها بالمعادي وكان يقوم بأعمال الطباعة وتسليم المطبوعات للموزع المركزي. ساعد العديد من الرفاق الذين افتقدوا وظائفهم على إيجاد عمل لهم لتأمينهم ضد الضربات البوليسية منهم محمد مدبولي، عبد العزيز عطية، ابراهيم علي، ابراهيم مرسي وغيرهم.

وسترلتي زربيني STRATTI ZERLINI[٦] وأنا كاينكو ANNA KAYENKO[٧] وسوقراط SOCRATE وميللي وفينا فورتي DINA FORTE[٨] وكستانتان فرجويولو CONSTAMTIN VERGOFOULA[٩] وأليس جمبارازي OLICE GAMBARA-ZI[١٠] ونيقولا باندليدس وستافرو باندليس وينى حاجيا نديريا YANNI HADJIAM-DRIA[١١] وجاكو طوبى JAEST TUIIE[١٢] وسلين حاسين[١٣] ودورا ستوليار DORA

---

(٦) يوناني الجنسية من عائلة زربيني المشهورة والتي كانت تمتلك قبل التأميمات شركة الاقطان والزيوت بكفر الزيات، كان مهندساً كهربائيا وعلى الرغم من ثروته الكبيرة ودخله الكبير من أرباح شركة كفر الزيات فقد كان يعيش على أساس مجرد مرتب مهندس كهربائي متبرعًا بباقي دخله للحركة الشيوعية. تم استبعاده من مصر عام ١٩٤١ بعد أن وشى به أحمد المصرى الذى كان يعمل لحساب البوليس المصرى وعباس حليم. استقر فى فرنسا ومات بها، ومما يذكر أنه قد اوصى بنصف تركته إلى الحزب الشيوعي اليوناني والا فللحزب الشيوعى السوفيتى غير أن محكمة السين بفرنسا الغت الوصية.

(٧) زوجة السابق. من أصل روسى ومن عائلة شيوعية مقيمة فى مصر منذ فترة طويلة. كانت مدرسة صادق سعد.

(٨) ايطالية الجنسية. كانت مقيمة بالاسكندرية. عادت إلى بلادها قبل ١٩٤٦ بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة لتكافح فى صفوف الحزب الشيوعى الايطالى. كانت لها اتصالات عامة ومنتظمة بحركات التحرر الافريقية خاصة انجولا والموزمبيق حيث عملت مؤخراً لمدة طويلة فى هذا البلد الاخير.

(٩) يوناني الجنسية. كان محامياً أمام المحاكم المختلطة، كان والده من أثرياء تجار القطن بالوجه القبلي. بعد رحيله من مصر غداة الحرب العالمية الثانية أقام فى سويسرا ولايزال فيها. ألف هناك كتاباً بعنوان «الرأسمالية المشوهة والقضية الزراعية» الجديدة - قبل اليونان» عام ١٩٦٣.

(١٠) يوغوسلافية الجنسية من سكان الاسكندرية استمرت تنشط وتقدم المساعدات حتى عادت إلى بلادها عام ١٩٥٤ وعملت هناك في صفوف عصبة الشيوعيين اليوغوسلاف»

(١١) يونانى الجنسية. من أقطاب المنظمة الشيوعية المتعددة الجنسيات. نشيط وذو قدرات كبيرة فى التنظيم. ترك مصر بعد عام ١٩٤٩ وعاش فى فرنساوتوفى بها. صدر عنه كتاب عن أحداث مصر وأوضاعها بعنوان «مدن فى مهب الريح» عام ١٩٦٣.

Cites a'la dirive متخذا له اسم ستراتي تسيركسي Stratti Tsirkas .

(١٢) انجليزي الجنسية. ذو ثقافة عالية فى الادب الانجليزي والفرنسى من اهالى الاسكندرية من عائلة شديدة الثرا. فقد كان والده يمتلك بنكا. اقتنع بالدعوة الشيوعية وترك كل شئ لينشط فى صفوف تلك الحركة. استمر يعمل فى إطار «طليعة العمال» فيما اطلق عليه عبارة «المسر». لم يترك مصرالا بعد عام ١٩٥٢ وأقام فى فرنسا وتوفى فيها.

وتيودوس بيريدس وزوجته السكندرا[١٤] ALEYANDRA STOLIAR وبول جاكو[١٥].

كان الهدف الرئيسى لهذه المجموعة الشيوعية المتعددة الجنسيات فى مصر النشاط فى مختلف الأوساط لنشر الدعوة الشيوعية وتمكين أعضائها من النشاط المنظم وفقا للتعاليم الماركسية فى إطار جنسية وبلد كل منهم. وكانت نظرتها للوضع فى مصر واضحة تماما حيث كانت تدعو باستمرار للعمل على إخراج الانجليز من البلاد وإلغاء الامتيازات الاجنبية توصلا لمجتمع ديمقراطى.

لقد أكد لى بول جاكو أكثر من مرة وجود هذا التنظيم المتعدد الجنسيات فى مصر، وحين استقلت المجموعة المصرية عن هذا التنظيم وصارت تعمل بمفردها وبإمكانياتها وبقياداتها الخاصة سلمنى بول جاكو عام ١٩٤١ وثائق هذه المجموعة الشيوعية الكبيرة مما يخص مصر، وكانت عبارة عن ١٣ وثيقة بعضها باللغة العربية والاخرى بالفرنسية منها بالتحديد وثيقة باللغة الفرنسية عن حركة الإضرابات العمالية فى مصر من ١٩٢٩ إلى ١٩٣٤ مما يؤكد على وجود هذا التنظيم فى تلك الفترة وأنه هو التنظيم الذى نشأنا فى أحضانه بعد ذلك بصورة فى

(١٣) مصرية الجنسية تزوجت بألن وتلتون Ollin whitheelton وسافرت إلي انجلترا حيث يقيم فيها وانضمت فور حضورها انجلترا مباشرة بالحزب الشيوعى الانجليزى حيث نشطت فى لجنة الشرق الاوسط درست التاريخ المصرى خاصة فترة على بك الكبير فى القرن الثامن عشر. ساعدت فى انجلترا كافة الحركات الشيوعية العربية خاصة مصر والعراق.

(١٤) قبرصى الجنسية. كان من أقطاب المنظمة الشيوعية المتعددة الجنسيات. كان يعمل موظفا بالمحاكم المختلطة نشط نشاطا كبيراً فى الجالية اليونانية وعمل على تكوين «جمعية خريجى مدرسة أبت» اليونانية ورابطة مستخدمى المحلات العمومية اليونانيين بالقاهرة. «مؤلف وشاعر»: مرض مرضا عويصًا وتوفى فى مستشفيات رومانيا وكان كاتب هذه السطور قد قابله فيها عام ١٩٦٧.

(١٥) سويسرى الجنسية. مهندس كهربائى درس الموسيقى فى برلين (ألمانيا). كان والده يعمل مهندسًا بمصلحة الاشغال العمومية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ترك الاسكندرية وأقام بالقاهرة حيث تولى قيادة «جمعية انصار السلام» و«جماعة الدراسات» ونشط نشاطا ملموسًا فى تنظيم صفوف الشيوعيين خاصة بين المصريين منع من دخول مصر عام ١٩٤٦ بعد أن تم تفتيش منزله بشارع الوالدة بجاردن سيتى تفتيشاً دقيقاً. أقام فى فرنسا ونشط فى الحزب الشيوعى الفرنسى. استمر يقدم الخدمات الجليلة للحركة الشيوعية فى مصر ممثلة فى «طليعة العمال». له كتاب باللغة الفرنسية لم يصدر بعد عن تاريخ مصر فى القرن التاسع عشرة. توفى فى باريس عام ١٩٨٥.

غاية السرية والامان، كما أكد لى آنذاك أنه كان لنا رفاق يونانيون كانوا يعملون فى شبابهم فى صفوف الحزب الشيوعى المصرى الأول.

فى هذه الفترة لم تكن لنا أية علاقة بالعمال وانصب اهتمامنا كما قلت على دراسة أحوالهم ومشاكلهم وتحركات نقاباتهم كما انصب أيضا على دراسة أحوال الفلاحين باعتبار مصر بلداً زراعيًا وباعتبار الفلاحين حلفاء للطبقة العاملة. وتوطئة لهذا الاتصال ولمزيد من معرفة حقيقة الأوضاع فى مصر كونا آنذاك «جمعية نشر الثقافة الشعبية» والتى أسست فى فترة الحرب العالمية الثانية مدرسة بالسبتية فى القاهرة لمحو الأمية وتعليم اللغة العربية والحساب والتاريخ، وكان يتردد على هذا المركز عديد من عمال السكك الحديدية المقيمين فى هذا الحى، وقام بالتدريس كل من ريمون دويك ومحمد إسماعيل (الذى أصبح بعد ذلك رئيسا لهيئة الاذاعة) وعبد الحميد عوض وكاتب هذه السطور. كما أنشأنا مدرسة أخرى على نفس النمط فى بولاق أمام حوش فايد بشارع جلال رقم ٧ بالعمارة البلجيكية فى غرفتين مستقلتين بشقة يوسف درويش الذى كان يعمل فى هذا المركز ومعه محمد اسماعيل وريمون دويك. وفى ميت عقبة (الجيزة) والتى كانت وقتذاك قرية فلاحية أقمنا مركزاً لمحو الامية كان يؤمه أكثر من ٤٠ فلاحا وتولى كاتب هذه السطور إدارة هذا المركز وأخذ يدرس اللغة العربية والحساب، وألقى محاضرة مبسطة على نمط كتاب «الدولة والثورة». وفى ذات الوقت أقامت تلك الجمعية مركزاً فى طنطا وفى أبو مسير الملق.

وخلال الحرب العالمية الثانية بدأ خطر هجوم الجيوش النازية على مصر عام ١٩٤٢ نازحة من ليبيا بقيادة روميل Rommel وكان من المنتظر أن تنتصر تلك الجيوش على الانجليز وتدخل الديار المصرية وتصل إلى القاهرة.

رأينا أن خطراً يهددنا لانتمائنا الشيوعى (كان الاتحاد السوفيتى قد دخل الحرب عام ١٩٤١) فقررنا نحن الثلاثة، ريمون دويك وصادق سعد ويوسف درويش أن لا نغادر إطلاقا البلاد وأن نبقى فى مصر على أساس أن يقيم ريمون دويك بالصعيد وصادق سعد فى الاسكندرية ويوسف درويش فى القاهرة لنبدأ بتنظيم الصفوف من أجل المقاومة الشعبية، وبدأنا بالفعل بتنفيذ هذا القرار على أن الأحوال تغيرت بفشل جيوش المحور من غزو الاراضى المصرية إثر هزيمة العلمين.

أوضحت قبلا أنه كان هناك مجموعة شيوعية متعددة الجنسيات يديرها أساسا تيودوس بيريدس Theodossi Pilrides وبول جاكو Paul Jacot. كان لابد أن تكون تلك المجموعة شديدة المركزية نظراً لتنوع الجنسيات فيها وللاوضاع المعادية للديمقراطية وللشيوعية فى البلاد، وهذا يجعلنا نجهل كثيرا من التفاصيل عنها. ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية وتحددت المعسكرات ودخلت فى الحرب البلاد التى ينتمى إليها أفراد هذه المجموعة بدأ رفاق كل جنسية من تلك الجنسيات وأساسا اليونانيون (والقبرصيون) وأيضا الايطاليون يكونون لهم مجموعات مستقلة وإن بقت علاقات تنسيق بين الجميع. هكذا كان الشأن بالنسبة لنا نحن الثلاثة فقد عقد بول جاكو اجتماعا معنا عام ١٩٤١ وأذكر أنه قال لنا «لقد حان الوقت لتقوموا بنفسكم دون إشراف من أحد بالنشاط فى واقع بلدكم، وإننى سوف أكون تحت تصرفكم فى أى مهمة ترونها وتقديم النصيحة لكم إذا طلبتم ذلك».

بدأنا نعمل مستقلين تماما ولكن فى علاقة تنسيق مع المجموعة الشيوعية المتعددة الجنسيات عبر كل من بول جاكو والذى استمر يهتم بنا اهتماما بالغا وتيودوس بيريدس Thedoci Pirrides وغيرهما. أذكر أنه فى هذه الفترة ذهب بول جاكو إلى سوريا والتقى بخالد بكداش سكرتير عام الحزب الشيوعى السورى وكان يعد آنذاك قائد الحركة الشيوعية فى البلاد العربية، وعرض عليه الاوضاع العامة فى البلاد وأوضاع مجموعتنا المصرية الصغيرة. وأبلغنا بول جاكو بعد عودته بحديثه المطول مع خالد بكداش الذى قال له:

«إذا كان عندكم عشرة رفاق قابضين على الماركسية وواضحة أمامهم أوضاع البلاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية فعليهم أن يكونوا حزبًا شيوعيًا».

كما قلت قبلا أنشأنا «جمعية نشر الثقافة الشعبية» ومراكز محو الأمية فى كل من السبتية وبولاق وميت عقبة وطنطا وأبو مسير الملق. وأذكر بهذه المناسبة أننا أجرينا نحن الثلاثة مقابلة عام ١٩٤٤ مع الدكتور طه حسين، وكان آنذاك سكرتيراً فنيا لوزارة المعارف فى حكومة الوفد وقدمنا له مذكرة أوضحنا فيها أهمية محو الأمية فى مصر وقد اهتم اهتماما كبيراً بهذا الطرح. ويبدو أن هذا من بين التأثير الذى جعل طه حسين يهتم عن طريق وزارة المعارف بالعمل على محو الامية فى البلاد.

أقمنا خلال تلك الفترة (١٩٤٥) بالتعاون مع أعضاء من منظمة «حركة تحرير الشعب»

(حتش) «لجنة نشر الثقافة الحديثة» التى اتخذت مقراً لها بشارع قصر العينى أمام القصر العينى القديم فى شقة سعيد خيال. لقد اصدرت تلك اللجنة بعض أعداد من مجلة «الأسبوع» التى استأجر كاتب هذه السطور رخصتها. ومن أهداف هذه الجمعية الارتباط وتبادل الافكار وتنظيم الندوات وإلقاء المحاضرات. كان من أعضائها بالاضافة إلى كاتب هذه السطور كل من طارق سعد، ريمون دويك الذى انسحب بعد ذلك ليهتم بالطلبة الوفديين (كما انسحب أيضاً يوسف درويش ليهتم بالحركة العمالية)، سعيد خيال، محمد اسماعيل، نعمان عاشور، ابراهيم حلمى عبد الرحمن، عبد المعين المويلحى، أحمد رشدى صالح، ابراهيم سعد الدين، أسعد حليم وغيرهم.

عندما اجتمعنا مع بول جاكو عام ١٩٤١ لنستقل بعملنا ونشاطنا قررنا تأسيسا على ما جاء فى كتاب «ما العمل» وجوب الاهتمام بشكل خاص بالحركة النقابية وكلف كاتب هذه السطور بالتخصص فى هذا الشأن أستناداً إلى مقولة لينين فى هذا الشأن بأنه استثناء من القاعدة العامة يمكن تعيين واحد يأخذ على عاتقه مسئولية الحركة النقابية. كنت بالفعل مهيئا ذهنيًا وفكريا ودراسة لهذه المهمة منذ ١٩٣٦ وأخذت أستكمل المعلومات وأعد البيانات بأسماء النقابات وأسماء قادتها وأعضاء مجالس إدارتها، وتحديد مطالب كل منها مستعينا فى ذلك بكل ما يكتب فى هذه الامور فى الجرائد اليومية والمجلات العالمية ومنها مجلة «شبرا» ومجلة «الجيل الجديد» التى كانت تصدر بالاسكندرية.

ولما جاءت لحظة الالتقاء بالعناصر العمالية كان كاتب هذه السطور معداً إعداداً كافيا لالتقاط الفرصة الأولى التى تهيأت له عام ١٩٤١ حين التقى بـ «محمود العسكرى» الذى كان قد قرأ اسمه مرارا وتكراراً) وبالنقابة العامة لعمال نسيج شبرا الخيمة التى كان سكرتيرها العام. أما كسب ثقة العمال بعد ذلك فهو شئ ليس بالهين فهم يعتقدون فى أول وهلة أن من يعمل على الإقتراب منهم أما أنه يبغى استغلالهم (وهم المستغلون من أرباب الاعمال) أو أنه يريد الترويج لأفكار بعيدة عنهم وهم الذين عانوا كثيراً من تدخل الفئات البرجوازية فى شئونهم. كان همى الأول إذن هو كسب ثقتهم. فأخذت أساعد النقابة على إقامة مدرسة فى دارها لمحو الامية بين العمال ولتعليمهم المبادئ الأولى فى اللغة الفرنسية، وكانوا يرغبون فى تعلمها لفهم ما يدور من حديث بين أصحاب المصانع التى كانوا يعملون بها والذين كانوا

يتحدثون اللغة الفرنسية. ثم لما توطدت الثقة واستقرت العلاقات اختارتنى النقابة لأتولى قضايا اعضائها أمام المحاكم خاصة وأن محاميها السابق كان قد أهمل فى عمله ولأن معظم قضايا عمال النسيج آنذاك كانت تعرض على المحاكم المختلطة لجنسية أرباب الاعمال.

توثقت عن طريقى علاقة المجموعة الثلاثية الماركسية بتلك النقابة وبزعمائها، وبلغ عدد النقابات التى كنت محاميا عنها (حتى عام ١٩٤٨) ما يقرب من خمسين نقابة أذكر منها بالاضافة إلى النقابة العامة لعمال النسيج والتريكو بالقاهرة وضواحيها، نقابة عمال البواخر البحرية، نقابة عمال شركة النيل للنقل النهرى، نقابة عمال الكراكات، نقابة عمال المحلات العمومية بالقاهرة وضواحيها، نقابة عمال الفنادق والاندية بالقاهرة، نقابة عمال المساحة بشارع رشدى بالقاهرة، رابطة المستخدمين اليونانيين بالمحلات العمومية، نقابة عمال الأحذية، نقابة عمال المطابع، نقابة الحلاقين، نقابة عمال السويس بالاسماعيلية.

في هذه الفترة توطدت علاقتى ومن ثم علاقة المجموعة الثلاثية بكل من محمود العسكرى ومحمد يوسف المدرك، وانتهزت المجموعة الثلاثية مرور المحامى الانجليزى الكبير بريت Pritt بالاسكندرية فى طريقه إلى كينيا لتولى الدفاع عن جومو كنياتا Gomo Kenyata وكان هذا المحامى عضواً بحزب العمال الانجليزى ومقربا للشيوعيين فأعدت مذكرة بالتعاون بين كاتب هذه السطور ومحمود العسكرى ومحمد يوسف المدرك، مذكرة مستفيضة عن حقيقة حزب العمال بقيادة عباس حليم الذى كانت له ارتباطات بحزب العمال الانجليزى ومبينة الاتجاهات الفاشية فيه، وقدمت هذه المذكرة عن طريقى إلى هذا المحامى مما أسفر عنه وقف علاقات حزب العمال الإنجليزى بعباس حليم وكان ذلك عام ١٩٤٢ بالاسكندرية. بدأت علاقاتنا تقوى أكثر فأكثر بالاضافة الي محمود العسكرى ومحمد يوسف المدرك بكل من طه سعد عثمان ومحمود قطب (نقابة النسيج) ومحمد حمزة وياسين مصطفى (نقابة الاحذية). ومحمد رفعت (نقابة المحلات العمومية) وكونا أول مجموعة للقراءة والاطلاع والدراسة الماركسية بالإضافة إلى بحث أوضاع الحركة النقابية والعمالية، كما تكونت بعد ذلك عدة مجموعات من هذا النوع. عندئذ فقط كشفت لهم عن حقيقة انتمائى واعتناقى الفكر الشيوعى، وتكونت مجموعات من المرشحين دون الكشف لهم عن هذه الصفة أو عن واقع التنظيم تحت التكوين مكتفيا بقراءة الكتب الماركسية ومناقشة الأوضاع الإجتماعية والعمالية التى تهمهم والاتفاق معهم على

كيفية العمل وأسلوبه وتحديد مختلف الشعارات المحركة لهذا العمل. وللعلم لم يكن هؤلاء الرفاق ماركسيين فى أول الامر فقد كان كل من محمود العسكرى وطه سعد عثمان ومحمود قطب من قادة عمال النسيج وتربطهم، بصورة أو بأخرى علاقة بالاخوان المسلمين. أما محمد يوسف المدرك فقد كان يؤيد الوفد سياسيا بشكل عام وكانت له مواقف طبقية واضحة فى قضية العمال ونقاباتهم ولعل ذلك راجع إلى ما كان له من علاقات ببعض قدامى الشيوعيين من الحزب الشيوعى الاول من أمثال حسين السروجى.

بعد أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ وقيام وزارة الوفد برئاسة النحاس باشا أجريت انتخابات برلمانية، وتقدم للترشيح عن دائرة شبرا الخيمة فضالى عبد المجيد عبد الجواد رئيس النقابة العامة لعمال النسيج بشبرا الخيمة والذى كان قد أبى الانضمام إلى نقابة رؤساء النسيج وهو منهم وفضل الالتحاق بنقابة العمال، كما تقدم بالاسكندرية مصطفى محمود عامل النقل، وهى المرة الأولى فى تاريخ الحياة النيابية المصرية التى«جرؤ» العمال على ترشيح أنفسهم. لم يكن فضالى شيوعيا ولا ماركسيا بل كانت كل انتماءاته لا تتعدى قضايا العمال بشكل عام وقضية عمال النسيج بشكل خاص مع تمسكه بالكفاح من أجل استقلال مصر وإجلاء الانجليز عن ديارنا. اهتمت المجموعة الثلاثية اهتماما كبيرا بتلك الانتخابات وأيدت ترشيح هذين العاملين النقابيين ومساندتهم وخاصة فضالى عبد المجيد عبد الجواد وقد قمت مع محمود العسكرى وطه سعد عثمان بإعداد البرنامج الانتخابى وتحديد وسائل العمل ومنها تكوين اللجان الإنتخابية للدعوة لهذا المرشح. لقد انحصرت المساعدات التي قدمتها المجموعة الثلاثية على المشاركة فى إعداد البرنامج الانتخابى وعلى النصائح لدفع العملية الانتخابية إلى الأمام، فلقد تحمل عمال شبرا الخيمة بما جمعوه بينهم من قروش كافة الاعباء المالية ولم تدفع خزينة المجموعة الثلاثية مليما واحداً.

فى هذه الفترة كانت الأوضاع المعيشية وظروف العمل ومستويات الأجور متدنية للغاية حتى أن الحكومة الوفدية اضطرت أن تصدر العديد من الأوامر العسكرية لمنح علاوات معيشية للاجراء. تدارست المجموعة الثلاثية بالاشتراك مع العمال الملتفين حولها هذا الوضع وحصلت على أسماء وعناوين كافة النقابات العمالية المنتشرة فى أرجاء البلاد وكان عددها ٢٩٧ نقابة منها الكبير والصغير والهام والأقل أهمية فأعددنا منشوراً إيثارياً وتنظيمياً دعونا فيه العمال

ونقاباتهم للدفاع عن أجور والمطالبة بزيادتها. تحت شعار «كونوا لجان الاضراب كونوا صناديق الاضراب» وتم توزيع هذا المنشور على كافة تلك النقابات عن طريق البريد مع التحوط من مصادرة الخطابات من الرقابة إذ أرسلنا تلك المنشورات في مظاريف تحمل عناوين محلات تجارية ونشاطات مختلفة وهمية. علمنا بعد ذلك بشهر أنه قد تم بالفعل استجابة لهذه المنشورات تكوين ما يقرب من ٥٠ لجنة إضراب وصندوق إضراب في مختلف أنحاء البلاد على الرغم من عدم تواجدنا عضويا في النقابات والتكتلات العمالية المعنية، على أنني أذكر بهذه المناسبة وكنت وقتئذ المستشار القانوني لنقابة المحلات العمومية وأحضر بتلك الصفة اجتماعات مجلس ادارتها أن قرأ سكرتير الجلسة من بين البريد الوارد هذا المنشور ومن ثمة اطلع عليه جميع الحاضرين وسرعان ما انتشر في أوساط أوسع. إن تكوين لجان الاضراب وصناديق الاضراب بهذا القدر وبهذه السرعة إن دل على شئ فهو يدل على أهمية تحديد الشعار وأسلوب إنزاله للناس حتى وإن كانت العلاقة العضوية تكاد تكون منعدمة، غير أن تحديد الشعار السليم يتطلب الدراسة المتأنية ومعرفة الواقع الملموس وهو الامر الذي لا يمكن بلوغه سوى بالاتصال بالجماهير المعنية. لقد كان هذا المنشور محل موافقة تامة من المجموعة الثلاثية كما أقرت أن يذيل باسم «طليعة العمال» وهو الذي اخترناه مع رفاقنا العمال. لقد استمر هذا الاسم ملصقا بنا حتى يومنا هذا على الرغم من اختيارنا اسم «الطليعة الشعبية للتحرر» عام ١٩٤٦ عند التأسيس ثم اسم «الديمقراطية الشعبية» عام ١٩٤٨ وأخيرا اسم «حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري» في مؤتمر عام ١٩٥٧. ولابد أن نذكر في هذا الشأن أن الاسم الذي أطلق علينا في أوساط المثقفين هو ««جماعة الفجر الجديد» نسبة إلى المجلة التي أصدرناها عام ١٩٤٤، كما أطلق محمود العسكري وكان عضواً في اللجنة المركزية اسم «نحن» في معتقل ١٩٤٨ بالهايكستيب إمعانا في السرية والامان. وهنا يتوجب الإشارة إلى الاحتياطات الدقيقة التي كنا نتخذها منذ اللحظة الأولي من نشأتنا في إطار أوضاع البلاد غير الديمقراطية والشديدة الخطورة للغاية بحيث كان يختفي الاسم من لائحة المنظمة عام ١٩٤٧ حتى أنه عندما ألقي القبض عليّ عام ١٩٤٨ وعثرت المباحث في دولاب الملابس على تلك اللائحة استعصى على النيابة توجيه اتهام محدد وقضى بالافراج من قاضي المعارضة.

في هذه الفترة أيضاً (١٩٤٤) كانت حكومة الوفد تعرض على البرلمان بمجلسيه مشروعاً لقانون عقد العمل الفردي، وعندما فاتتنا الفرصة أمام مجلس النواب وعرض المشروع على مجلس الشيوخ أعددت بموافقة المجموعة الثلاثية وبمعاونة رفاقنا العمال وبعد مشاورات واسعة مع الجماهير العمالية حولنا والتي أخذت في الاتساع مذكرة مستفيضة عن رأى نقابات العمال في مشروع القانون استناداً إلى الواقع الملموس ومقارنة بالتشريعات العمالية في العديد من بلاد العالم. لقد وقع على تلك المذكرة التي أرسلت رسميا إلي مجلس الشيوخ أكثر من ٤٠ نقابة وأخذ هذا المجلس ببعض ما جاء بها.

كنا جميعاً (المجموعة الماركسية الثلاثية ورفاقنا الجدد من العمال أساسا ومن المثقفين ومن حولهم من المتعاطفين) نهتم بالأحداث التي تمر البلاد بها. كانت صورة الوفد بدأت في الاهتزاز نظراً لمساوماته مع السراي. وبمناسبة إنتخابات ١٩٤٤ قرر حزب الفلاح (وكان حزبا ناشئا) خوض المعركة الانتخابية فأجرينا أكثر من مقابلة مع رئيسه الاستاذ قطب المحامي في مكتبه وكان مقرا للحزب بميدان العتبة الخضراء، حتى نتعرف على برنامج هذا الحزب وكان هذا المقر هو الذي كان قد آوى محمد يوسف المدرك وزملاءه المضربين عن الطعام وكانوا يطالبون منذ عام ١٩٣٩ بقانون الاعتراف بالنقابات وفي عام ١٩٤٤ عندما انتقل الاستاذ قطب بمكتبه وحزبه إلى عمارة «الأنيون» بجوار المحكمة المختلطة (محكمة القضاء العالي حاليا) بشارع ٢٦ يوليو توجهنا (ريمون دويك، محمد اسماعيل، يوسف درويش) إليه لاستطلاع الأخبار ومعرفة نوايا هذا الحزب بشأن خوض المعركة الانتخابية بأعضائه وعناصره. وعلى الرغم من المظاهر الفاشية التي أراد المحامي قطب أن يتظاهر بها حيث جئ ببعض الشباب برداء الكشافة ووقفوا لتقديم التحية والسلام فلقد قررنا أن نشاهد بأنفسنا إحدى المعارك الانتخابية لهذا الحزب لمعرفة مدى فاعليته وتأثيره. كانت مدينة طوخ هي الدائرة الانتخابية التي اختارها قطب ليرشح نفسه فيها، ذهبت مع محمد اسماعيل إلى طوخ وقضينا ليلتين بين تلك المدينة والقرى المجاورة لها وشاهدنا كيف أن حزب الفلاح ليس له أى رصيد لا في مدينة طوخ ولا في ريفها وأن الوفد لا يزال هو الحزب الذي يحرز على ثقة الجماهير وخاصة الفلاحين.

مع اقتراب نهاية الحرب وكانت الظروف المعيشية المتدنية للغاية والأجور دون المستوى المطلوب اندلعت العديد من الإضرابات العمالية في كافة أنحاء البلاد فأضرب عمال نسيج

شبرا الخيمة وعمال الكراكات وعمال شركة البواخر البحرية (الانجلوامريكان) وغيرها وغيرها فى المناطق الصناعية الكبرى. كنت أحضر هذه الإضرابات باعتبارى محاميا عن العمال والنقابات، ولم أكن معروفا لاجهزة الأمن بانتماءاتى الفكرية والتنظيمية حتى أنه عندما طلبت من وزارة الداخلية قسم الجوازات والجنسية شهادة دالة على إثبات جنسيتى المصرية علمت من قريب لى كان يعمل بوزارة الداخلية وهو ابراهيم حسنى ابن الموسيقار داوود حسنى أنه ليس لى ملف بالقلم المخصوص. كان هذا فى ذروة عملى الشيوعى ونشاطى الجماهيرى.

لايجب أن ننسى أنه بمناسبة مطالب العمال وإضراباتهم احتل قادة عمال شبرا الخيمة بقيادة محمود العسكرى بيت الامة وهو بيت سعد زغلول والذى اتخذ الوفد مقرا له، وأذكر أنه حينما طلب النحاس باشا إلى العمال الصعود إليه فى الدور العلوى كان رد العمال أن يأتى إليهم النحاس باشا، وقد كان واستجاب إلى مطالبهم.

كان نشاطنا واسعا فى هذه الفترة فبالإضافة إلي اقتحامنا مجال الجماهير العمالية والفئات الكادحة (شبرا الخيمة، السبتية، ميت عقبة، بولاق، حلوان ، المحلة، كفر الدوار...) أصدرنا مجلة «الفجر الجديد» فى يونيو ١٩٤٤ وكان مقرها فى غرفة صغيرة أعلى منزل بشارع شريف باشا بالقاهرة. كان يتولى رئاسة تحريرها أحمد رشدى صالح ومعه كل من صادق سعد، نعمان عاشور، سعيد خيال، أبوسيف يوسف، عبد الرحمن الشرقاوى، سعد لبيب مكاوى، أمين تكلا، محمد إسماعيل، عبد المعين الميلحى، على الراعى، يوسف الشارونى، محمود امين .. وتكونت حول تلك المجلة «جمعيات قراء الفجر الجديد» وكتبت فى المجلة مقالين أحدهما بعنوان «الثورة الفرنسية والكادحون» عدد ١٥ يوليو ١٩٤٥ باسم حسن زكى والآخر بعنوان «التشريعات العمالية فى مصر» عدد أغسطس ١٩٤٥ باسم حسن زكى أيضاً، كما أصدرنا أيضاً مجلة «الضمير» فى ١٩٤٥/٩/٢٦ حتى ١٩٤٦/٦/٢٤. كان يتولى مسئوليتها أساسا محمود العسكرى بمشاركة كل من طه سعد عثمان ومحمد يوسف المدرك ومحمود قطب وشاركت فيها بكتابة العديد من المقالات باسم «محمود خير»، فى ذلك الوقت أيضا أقمنا داراً للنشر تحت اسم «دار القرن العشرين» تولى مسئوليتها ريمون دويك وكان مقرها خلف البنك المركزى ودار الاذاعة وقتئذ وأصدرت تلك الدار العديد من الكتب فى شتى الشئون المصرية والعامة، وكانت توزع داخل البلاد وخارجها خاصة فى العراق ولبنان وسوريا والاردن.

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية (مارس ١٩٤٥) انطلق تفكير المجموعة الثلاثية ومعها المرشحون من العمال والمثقفون وأيضا من حولنا من المتعاطفين للقيام بعملين أساسيين وهما :

(١) المشاركة الجادة فى تكوين إتحاد نقابات مصر والعمل مع الإتحاد العمالى للنقابات تحت التكوين.

(٢) تكوين هيئة سياسية علنية.

كان حولنا فى ذلك الوقت أكثر من مائة نقابة عمالية فعملنا بالاتفاق التام مع مرشحينا العمال ومع من حولهم على تأسيس «اللجنة التحضيرية لاتحاد نقابات عمال مصر» التى أخذت على عاتقها منذ اللحظة الأولى من تكوينها انتداب أحد قادة العمال لتمثيل عمال مصر فى المؤتمر العالمى للنقابات الذى انعقد فى باريس فى سبتمبر ١٩٤٥. ضمت «اللجنة التحضيرية» ١٠١ نقابة واتخذت مقراً لها فى مجمع النقابات بحارة الخازندار بميدان الخازندار بالقاهرة.

أذكر بهذه المناسبة أن كاتب هذه السطور وجه للنائب العام شكوى على يد محضر لتدخل رجال البوليس فى شئون النقابات واجتماعاتها. انتخبت «اللجنة التحضيرية» محمد يوسف المدرك مندوباً عن عمال مصر لحضور هذا المؤتمر والمشاركة فيه. وجدير بالملاحظة أن كلاً من محمود العسكرى وسعد عثمان قد أصبحا عضوين فى المنظمة الصغيرة تحت التأسيس. كان محمد يوسف المدرك حقا قائدا سياسيا بالاضافة إلى كونه قائداً نقابياً فقد عايش كافة الاحداث السياسية والنقابية منذ العشرينيات وتبوأ العديد من المراكز القيادية فى الحركة النقابية. كان كثير الاطلاع واسع الافق عليم بالأحداث والتطورات فكان يمثل النموذج الصادق للعامل المثقف وحائز على احترام وتقدير الجميع فكان اختياره سليما ومبشراً. ذهب محمد يوسف المدرك إلى فرنسا على الرغم من المعوقات العديدة التى تمثلت فى المناورات التى قامت بها مجموعة «حدتو» ومنهم «داقيد ناحوم» الذين حملوا السفارة الفرنسية على أن تضغط على شركة الطيران الفرنسية لعدم صرف تذكرة له بحجة عدم وجود أمكنة ليعجز عن حضور المؤتمر فى ميعاده المحدد فذهبنا كل من كاتب هذه السطور وطه سعد عثمان ومحمد مدبولى إلى بيت السفير الفرنسى الساعة السابعة صباحاً بعد إرسالنا برقية احتجاج إلى وزير الطيران الفرنسى وكان شيوعيا فأصدر السفير أمره للطائرة بقبول محمد يوسف المدرك راكبا عليها،

كانت المجموعة الثلاثية ومن حولها من أعضاء ومرشحين وعاطفين مهتمة اهتماما بالغا بهذه الرحلة تراقب الأوضاع عن كثب وتقدم المساعدات والأفكار غير أنه يتوجب هنا الاشارة إلى أن المنظمة الصغيرة تحت التكوين لم تصرف مليما واحدا من خزائنها فلقد تحملت جماهير العمال بقروشها كافة مصاريف الانتقال والاقامة. لقد وقع (٨٠ الف عامل) على تفويض المدرك. كانت «اللجنة التحضرية لنقابات عمال مصر» قد أعدت برنامجا نقابيا وقوميا من عشر نقاط أبرزها استقلال مصر ومساندة القضية الفلسطينية والحرية النقابية ورفع مستوى المعيشة. للعلم كان قد سافر أيضًا «دافيد ناحوم» كما سافر «أحمد المصرى» موفداً من عباس حليم بالاتفاق مع المباحث العامة. وأحمد المصرى هذا كان يقيم بالأسكندرية هو الذى سلم رفيقنا ستراتى زربينى STRATTI ZERBINI عضو المجموعة الشيوعية الكبيرة المتعددة الجنسيات إلى المباحث العامة وقضى بنفيه من مصر. إلا أن محمد يوسف المدرك أختير مندوبا أساسيا عن مصر، وانتخب عضوا فى المجلس العام لاتحاد النقابات العالمى، وعندما عاد من رحلته استقبلته الجماهير العمالية استقبالا حاراً سواء فى الاسكندرية أو القاهرة، ونظمت من أجله مهرجانًا خطابيا احتشدت فيه جموع العمال، وكان ذلك فى إحدى صالات روض الفرج على ضفاف النيل. استمر المدرك مندوبا عن مصر وحضر مؤتمر إتحاد النقابات العالمى الذى عقد فى براغ (تشيكوسلوفاكيا) عام ١٩٤٧ وذلك على الرغم من معوقات الإدارة وأجهزة الامن وحين عودته إلى مصر قبض عليه ثم افرج عنه.

أما الامر الثانى الذى تركز الاهتمام عليه فهو العمل على تكوين هيئة سياسية علنية فتأسست «لجنة العمال للتحرير القومى» – الهيئة السياسية للطبقة العاملة – وأعلن عن هذا التأسيس فى أكتوبر ١٩٤٥. حددت لحظة الإعلان بالغا، الأحكام العرفية وقامت مجموعة من ٦٠ عاملا من عمال شبرا الخيمة الذين أصبحوا من المرشحين وخاصة من العاطفين بالذهاب إلى مختلف مناطق القطر حاملين معهم بيانا وبرنامجًا طبع من الأول ٣٠٠٠٠ نسخة ومن الثانى ١٥٠٠٠ نسخة تم توزيعها فى ذات اليوم وفى ذات الساعة تقريبا فى كافة المدن الكبرى والمناطق الصناعية من أسوان إلى الاسكندرية إلى دمياط وبورسعيد والسويس. كان قد تم إعداد هذا البرنامج بعناية فائقة واشترك فى ذلك العديد من الرفاق نذكر منهم أحمد رشدى صالح، صادق سعد، يوسف درويش، محمود العسكرى، محمد يوسف المدرك، طه سعد

عثمان. كان برنامجًا شاملا تضمن العديد من القضايا التى تهم البلاد وتهم الطبقة العاملة المصرية سواء على مستوى السياسة الداخلية أو الخارجية فتكلم عن استقلال مصر ومحاربة الاستعمار القديم والجديد ومساندة القضية الفلسطينية، كما تحدث عن الاصلاح الزراعى وتأميم قنال السويس والشركات الاحتكارية واستقلالية الحركة النقابية ورفع مستوى المعيشة. استمرت «لجنة العمال للتحرير القومى» تعمل بنشاط حتى بلغ عدد طالبى الانضمام اليها ٤٠٠٠ مواطن أكثرهم من العمال ومنهم المثقفون. وكانت مجلة «الضمير» السابق الإشارة إليها لسان حال تلك اللجنة، كما أصدرت عدة مطبوعات لعل أهمها «الرد على خطاب العرش» أى الرد من جانب الشعب مباشرة (وليس فقط من جانب النواب وفقا للقواعد الدستورية المعمول بها) على الخط السياسى للحركة بالصورة التي تقدمها به فى بداية الدورة البرلمانية. وكان لهذا الكتيب وضع وتأثير هام وكان مذيلا باسم «لجنة العمال للتحرير القومى» وقد أعد كاتب هذه السطور مشروع هذا الخطاب وتم تعديله والموافقة عليه من رفاقه.

ولما تأسست «لجنة العمالّ والطلبة» فى بداية عام ١٩٤٦ شارك فيها بعض رفاقنا ومرشحينا من العمال جاء تمثيلهم لعمال نسيج شبرا الخيمة. كان «محمد مدبولى» يحضر اجتماعات اللجنة إذ كان قد قبض قبلا (ديسمبر ١٩٤٥) على كل من محمود العسكرى ومحمد يوسف المدرك وطه سعد عثمان بتهمة إثارة الطبقات، وظلوا فى السجن ستة شهور كاملة بعد أن تم تبرئة كل من محمود العسكرى ومحمد يوسف المدرك وحكم على طه سعد عثمان بالسجن ثلاثة شهور لما نشره من شعر طبقى فى مجلة «الضمير» . هذا وقد سبق هذا الاعتقال بشهر تقريبا أن استدعى «محمود النقراشى باشا» رئيس الوزراء كل من القادة العماليين الثلاثة بالاضافة إلي محمود حمزة باعتبارهم أعضاء مجلس ادارة «لجنة العمال للتحرير القومى» وحاول النقراشى دون جدوى إبعاد هؤلاء العمال عن العمل الذى يسيرون فيه بعد أن حدثت بينهم مناقشات مستفيضة فى القضايا الرئيسية، ولاشك أن هذا الاستدعاء وتلك المقابلة من النقراشى رئيس الحكومة وممثل البورجوازية المصرية لقادة الطبقة العاملة آنذاك تعد الأولى من نوعها فى تاريخ مصر، وهى إن دلت على شئ فهى تدل على رعب البورجوازية خاصة من بلورة الطبقة العاملة وصعودها.

بقى أن نقول إنه فى اوائل هذه الفترة فى عام ١٩٤٤ اتصل بنا «سلامه موسى» وكان يملك

مجلة اسبوعية باسم «العهد الجديد» وعرض علينا أن نعمل مع بعض التروتسكيين على إصدارها مناصرة للاتحاد السوفييتى الذى كانت الفاشية قد شنت حربها عليه عام ١٩٤١.

كان التروتسكيون منقسمين بمناسبة تلك الحرب إلى قسمين أحدهما يستمر فى معاداة الاتحاد السوفيتي والثاني يدافع عنه باعتباره أول وطن للاشتراكية، وقد تولى كاتب هذه السطور تحرير العقد مع سلامه موسى، وكما شاركت المجموعة الماركسية الثلاثية فى تحرير تلك المجلة بالاشتراك مع العناصر التروتسكية المتعاونة منهم لطف الله سليمان ورمسيس يونان وآخرون، صدر عن تلك المجلة ثلاثة أو ربعة أعداد ثم توقفت، وكان مقر تلك المجلة غرفة فى أعلى عمارة التأمين على ناصية شارعى علوى وقصر النيل بجوار البنك المركزى.

فى أواخر هذه الفترة وابتداء من نهاية الحرب فى مارس ١٩٤٥ كانت الإضرابات تشمل القطر كله وأضرب عمال شبرا الخيمة، وتوجهوا بحشود كبيرة إلى محطة مصر عبر شارع شبرا وحاول اسماعيل صدقي باشا وكان وقتئاك رئيس الحكومة وفى ذات الوقت رئيس اتحاد الصناعات أن يجرى حديثا معهم فى وسط الطريق لينهيهم عن الإضراب والتظاهر ولكنهم رفضوا الالتقاء به رفضا باتا.

وفى يوليو ١٩٤٦ انتهز إسماعيل صدقى باشا فرصة الإجازة البرلمانية واستصدر مرسوماً بالقانون رقم ١٩٤٦ الذى يجرم الدعوة للشيوعية والتنظيمات الشيوعية، وأصدر قرارات وزارية بغلق كافة المجلات والصحف الديمقراطية والتقدمية ومن بينها مجلتا «الفجر الجديد» و«الضمير» وأيضا الهيئات النقابية ومن بينها «دار القرن العشرين» و«لجنة نشر الثقافة الحديثة».

عندئذ كنا أمام واقع جديد فأبواب العلنية قد أغلقت تماما وسلبت من المناضلين والعمال هيئاتهم ومؤسساتهم فكان لابد عندئذ من التفكير فى نهج جديد وأسلوب جديد خاصة وأن العناصر الاساسية لتكوين تنظيم شيوعى كامل قد توافرت من حيث الكوادر العاملة والعلاقات الجماهيرية والنفوذ السياسى وإنضاج الرؤية..

قررنا نحن الثلاثة (صادق، ريمون، يوسف) وجوب إقامة تنظيم شيوعى كامل واتصل كل منا بمن حوله من الأعضاء والمرشحين لمناقشتهم فى الوضع الجديد ودعوتهم ليأسـوا معنا هذا

التنظيم فالتقيت فى هذا الشأن بكل من محمود العسكري وطه سعد عثمان فى اغسطس ١٩٤٦ بكفر ابو محمود بالدلتا حيث استضافنا أحد الاصدقاء المقربين وتداولنا لمدة يومين كاملين حول هذه الأمور، وتم الاتفاق على كل شئ، وهذا لاشك إنجاز هام من حيث البعد الجماهيرى والنضال العمالى والنقابى واتصلنا بعد ذلك لنفس الهدف بكل من محمود حمزة، عبد المقصود أبوزيد، عبد العليم عمارة، محمد فوده، محمد طايل، فؤاد عبد المنعم شحتو، محمد عبد الغفار، محمد مدبولى وغيرهم، كما اتصل صادق سعد، ريمون دويك بكل من أبوسيف يوسف، حلمي ياسين، أحمد رشدي صالح، إقبال حاسين، دينا محوى، إسحاق مشعال، أديب ديمترى، المرحوم عبد العزيز فهمى (الصحفى باخبار اليوم)، سيد عبد الله وغيرهم من أجل نفس الاهداف. لقد كان كل هؤلاء أعضاء فى منظمتنا الصغيرة وبالتالى كان يتوجب مشاورتهم فى أدق الأمور وأخطرها وهو ما حصل بالفعل.

كان عدد المنتمين إلى التنظيم أصحاب العضوية الكاملة بخلاف المرشحين والعاطفين ٢٤ عضوا موزعين على مجموعة من الخلايا وجدت فيها مناقشات مستفيضة حول المقومات الرئيسية وإبداء الرأى فيها والموافقة عليها بعد التعديل، ومن ثم عقد أول اجتماع مؤتمرى فى سبتمبر ١٩٤٦ بالسكاكينى بالقاهرة بمنزل شقيق صادق سعد واستمر الاجتماع طيلة اليوم وتمخض عنه اعتماد الرسالة السياسية التي كان صادق سعد قد أعد مشروعًا لها والرسالة النقابية من إعداد يوسف درويش ومحمود العسكري ومحمد يوسف المدرك، والرسالة التنظيمية من إعداد يوسف درويش، ورسالة العمل الجبهوى والعلاقة بالوفد من إعداد ريمون دويك وأحمد رشدي صالح، محمود العسكرى، محمد يوسف المدرك وكاتب هذه السطور، وتم فى الاجتماع انتخاب أول لجنة مركزية من كل من صادق سعد مسئول سياسى ومحمود العسكرى مسئول جماهيرى ونقابى ويوسف درويش مسئول تنظيمى، وجرى أيضا فى هذا الاجتماع اعتماد أول لائحة لهذا التنظيم أعد مشروعها يوسف درويش، واتخذ التنظيم لنفسه اسم «الطليعة الشعبية للتحرر»

وفور قيام التنظيم ضم اليه خمسين رفيقا كانوا يعدون من المرشحين فأصبح على الفور عدد أعضائه ٧٥ عضوا وجرت دراسة المقومات الرئيسية من قبل هؤلاء المرشحين السابقين فى

خلاياهم الناشئة. كان هذا الاجتماع المؤتمرى قد ناقش أيضا باستفاضة وضع الرفاق من أنصاف الاجانب الذين ناضلوا جنبا إلى جنب معنا طيلة الفترة السابقة وقدموا خدمات جليلة لا يمكن إنكارها بحال ويعود تاريخ نضال العديد منهم إلى عام ١٩٣٥ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر كل من زينون كرامنيان ZENON CARAMANIAN، جرى كرامنيان GERRY CARAMANIAN أديل ميزان ADEL MISAN هنريت ميزان HENIELTE MISAN ريناتو فرفاراREMATO FARFARA، اليس جمبارازيALICE GAMBARAZI مارجو شيردMARGOT SHEPPERD وغيرهم وكان عددهم حوالى ٢٠ رفيقا. قرر الاجتماع المؤتمرى عدم التخلى عن هؤلاء الرفاق لأن من حقهم أن يناضلوا كشيوعيين طالما هم موجودون فى ربوع البلاد. وقد تم تنظيمهم على انفراد تحت مسئولية المسئول التنظيمى مباشرة، وأطلقنا على هذا الشكل الفريد فى نوعه عبارة «الممر». بمعنى أن على هؤلاء الرفاق أن يبقوا على هذا الوضع وأن تكون مهمتهم الأولى تعلم اللغة العربية وإيجاد علاقات بالواقع المصري فإذا ما تم لهم ذلك ينتقلون إلى صفوف التنظيم بحق العضوية الكاملة. ذلك أن أعضاء «الممر» لم يكن لهم حق التصويت غير أنه كان يؤخذ رأيهم فى الأمور الهامة دون الدخول فى التفاصيل. أما مهمتهم النضالية فقد انحصرت فى تقديم العون والمساعدة سواء على صعيد العمل الفنى من طباعة وتوزيع أو على صعيد المشاركة الفكرية بإعداد التقارير وجمع البيانات. لقد وافق هؤلاء الرفاق تماما على هذا التفكير وعلى إسلوب العمل معهم، ويذكر أن من بين إنجازاتهم إصدار نشرة دورية باللغة الفرنسية فى الشئون العالمية وخاصة في ميدان النضال الشيوعى. ونص القرار الذى صدر فى هذا الشأن على أنه إذا تعذر على أحد منهم طيلة فترة «الممر» تعلم اللغة العربية والارتباط الوثيق بالواقع المصري فعليه أن يغادر البلاد متوجها إلى وطنه للعمل فى صفوف الشيوعيين فيه. لقد سافر إلى الخارج العديد من هؤلاء الرفاق الذين لم يكتب لهم النجاح فى هذا الامتحان. فعلى سبيل المثال سافر كل من زينون كرامنيان وشقيقه جرى وزوجته اديل ميزان إلى أرمنيا السوفييتية عام ١٩٤٨ ثم انتقلوا إلى فرنسا وسافر الن ويلتون ALLEN WHILTELTON مع زوجته سيلين حاسين إلى انجلترا وعملا بنشاط كبير فى الحزب الشيوعى الانجليزى وقدما من خلاله خدمات لا تنكر لحركة التحرر المصرية وللحركة

الشيوعية ولتنظيمنا على وجه الخصوص، وسافرت اليس جمبارازى ALICE GAMBARA-ZI إلى يوغوسلافيا موطنها حيث نشطت فى صفوف «عصبة الشيوعيين». كان موقف هؤلاء الرفاق الأعزاء صلبًا ومشرفًا للغاية سواء على صعيد القضايا المصرية أو قضية فلسطين. فكانوا شديدى التمسك بحق الشعب الفلسطينى فى وطنه وأرضه وحق تقرير مصيره رافضين وقتئاك مجرد وجود إسرائيل فى قلب الشرق الاوسط. وبهذه المناسبة استمر موقف تنظيمنا متماسكا تماما حتى ابريل ١٩٤٨ حيث اضطررنا بطريقة ذيلية وعلى أساس قيادة الاتحاد السوفيتى الفكرية أن نتخلى عن موقفنا السابق الذى كان يرفض تمامًا مشاريع التقسيم ومشاريع قيام دولة اسرائيل. غير أن الموقف الذى استجد بعد هذا التاريخ لم يكن يوما ما ثابتا بحيث ظهر العديد من الإرهاصات الفكرية والعملية ضد إقامة دولة اسرائيل.

عندما أغلق إسماعيل صدقى باشا كافة المنافذ القانونية وقرر تصفية كافة المؤسسات والمجلات التقدمية فكرنا فى إقامة مكتب عمالى أطلقنا عليه اسم «مكتب الخدمات النقابية» تولى إدارته محمد يوسف المدرك الذى كانت له علاقات قوية جداً بمختلف النقابات فى القطر وخاصة نقابات القاهرة حيث كان يقوم بتنظيم ومسك دفاتر حسابات العديد منها، وكان بمثابة المستشار النقابى لهم. وكان مقر هذا المكتب فى وسط المدينة بكلوت بك. وقد صدر عنه عدة كتيبات تباع بقروش للعمال والذين يحتاجون إليها، ومن الكتيبات التى أصدرها كتاب «دليل النقابات» و«تشريعات العمل» و«قانون إصابات العمل» و«إضراب عمال المحلة الكبرى». وكان يؤم مقر هذا المكتب قادة الحركة النقابية ومناضلوها.

وقبل إعلان الحرب على إسرائيل عام ١٩٤٨ فى مايو ألقى القبض علي كل من صادق سعد وريمون دويك ومحمود العسكرى، طه سعد عثمان، أحمد سالم، محمد عبد الغفار، عبد الغفار سلام، عبدالمقصود أبو زيد، عوض الباز، عبد العليم عمارة وغيرهم من أعضاء التنظيم وأودعوا جميعًا فى معتقل هايكستب قرب مصر الجديدة، وألقى القبض على كاتب هذه السطور وطه فوده ومحمد مدبولى فى نوفمبر ١٩٤٨ وبعد الإفراج من قاضي المعارضات حولنا إلي المعتقل.

على أنه يتوجب أن نذكر أنه خلال عام ١٩٤٧ وكان عبد الهادى رئيسا للديوان الملكى أمكن لتنظيمنا أن يفسد خطة السراى فى إلقاء القبض على الشيوعيين جماعات حيث إنه

عندما علمت من عبد الرحمن الشرقاوي بخبر مشروع هذه الخطة بادرت بإعداد منشور صغير أفضح فيه المؤامرة وتم توزيعه بأوسع نطاق علي الصحافة وخاصة على وكالات الأنباء الأجنبية التى سألت عبد الهادى عن حقيقة الأمر فنفاه وفشلت المؤامرة..

فى معتقل هايكستب كان الجو ملبداً بالغيوم فقد كانت به أكثر من تنظيم فبالإضافة إلى العناصر المنتمية إلى تنظيمنا كانت هناك عناصر من «حدتو» و«التكتل» «عصبة الشيوعيين» و«الحزب الشيوعى لشعوب وادى النيل» و«اسكرا» الخ كانت المناقشات تدور بحمية وحماس واشتركنا في هذه المناقشات عن طريق صادق سعد وريمون فى عنبر الادارة وعن طريق مجموعة عناصرنا فى عنبر «السمكرجية» كما كان يطلق عليه من قائد المعتقل على اعتبار أن من يقيمون فيه ينتمون إلى الطبقة العاملة. وقد أطلق محمود العسكرى على تلك المجموعة من عناصرنا عبارة «نحن» حرصًا على الأمان. وأذكر بهذه المناسبة أنه حدثت فى هذا العنبر مشادات بيننا وبين عناصر «حدتو» حول بعض شئون المعتقل والمنظور السياسى، وكان هذا الحوار بين ممثل «طليعة العمال» وكان كاتب هذه السطور، وبين عناصر «حدتو» وممثلها «مبارك عبده فاضل» وأنهينا المناقشة وقلنا لهم :

«إننا نتكلم لغتين مختلفتين ولن نلتقى أبدا»

كانت العلاقات قد ساءت للغاية في المعتقل بين محمود العسكرى وصادق سعد فقررت اللجنة المركزية التى مازال بعضها خارج السجن التعامل مع كل فريق على حدة إلى أن تعود الأمور إلى طبيعتها. اتخذنا هذا القرار استناداً إلى حقنا المشروع فى هذا الشأن على أساس القاعدة التي كانت اللجنة المركزية كانت قد اعتمدتها منذ الأيام الأولى من وجودها بعد التأسيس والتى تقضى بأن القيادة تتمثل فيمن هم موجودون علي الساحة خارج السجن وأن على الرفاق الذين داخل السجن أن يمتثلوا لقراراتها رغم المناصب التى كانوا يتبوؤنها قبل اعتقالهم. عندئذ قررنا أنه توجد مجموعتان داخل معتقل هاكستيب إحداهما بقيادة صادق سعد والاخرى بقيادة محمود العسكرى.

عندما أعتقل صادق سعد ومحمود العسكرى تسلم أحمد رشدى صالح المسئولية السياسية، وتفرغ للعمل الحزبى، واختفى هروبا من ملاحقات البوليس، كما اختفى فى ذات

الوقت أبوسيف يوسف وأقام بمفرده فى شقة بشارع الخليج تاركًا عائلته تقيم وحدها بشارع عبد العزيز. وفى غضون صيف ١٩٤٨ عقدنا أول اجتماع للجنة المركزية بعد حملة الاعتقالات وكان ذلك بالاسكندرية بحى بحرى فى منزل محمد مدبولى، وقد حضر هذا الاجتماع كل من أحمد رشدى صالح، أبو يوسف ومحمد مدبولى وآخرين وأجريت مناقشات حول الأوضاع السياسية وتطور العملية التنظيمية.

أعتقلت فى نوفمبر ١٩٤٨ بعد أن تم القبض علىّ مع محمد مدبولى وطه فوده وإيداعنا السجن بتهمة الشيوعية والافراج عنا من قاضى المعارضات ومن ثمة جرى تحويلنا إلى معتقل هايكستب بعنبر «السمكرجية» حولت بعد ذلك بفترة طويلة إلى عنبر الادارة حيث نظم بعض المعتقلين إضرابا عن الطعام انطلقت فيه «حدتو» من شعار الافراج وانطلقت أنا بقرار من المجموعة الحزبية داخل المعتقل من شعار «تحسين الاوضاع المعيشية» وبعد فك الإضراب تم تحويلنا إلى معسكر «عيون موسى» فى شبه جزيرة سيناء.

استمر الاعتقال العام من مايو ١٩٤٨ إلى ديسمبر ١٩٤٩ على أننى لم اعتقل إلا فى نوفمبر ١٩٤٨ وأفرج عنى فى نوفمبر ١٩٤٩ إثر الحملة التى قامت بها «رابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية».

وعندما انعقدت اللجنة المركزية بعد خروج جميع الرفاق من المعتقل قررت أن اتفرغ تماما للعمل الحزبى بل وأن أختفى خوفا من القبض علىّ مرة ثانية.

وللعلم كان مكتبى فى غاية الازدهار فقد كنت محاميا لعدد كبير من النقابات بالاضافة إلى القضايا العادية، واضطررت عندئذ التنازل عن مكتبى عام ١٩٥٠ للاستاذ مصطفى كامل منيب الذى كانت تربطنى به علاقة، والذى استقال من وظيفته فى بنك التسليف الزراعى وقيد اسمه فى نقابة المحامين. لم يكن مصطفى منيب عضوا معنا فى التنظيم ولا فى أى تنظيم آخر إلا أنه كان ماركسيا ووطنيا وديمقراطيا وأصدر مجموعة من الكتب، وترجم العديد من المؤلفات. جاء هذا القرار تلبية لنية الاعلان عن أنفسنا حزبًا شيوعيًا فاختفيت بمصر القديمة بحارة الفرنساوى المتفرعة من شارع الفرنساوى فى شقة أرضية بحديقة صغيرة كان يسكنها رفيقنا المرحوم عبد الرحمن عزت الذى كان عضوا معنا بعد انضمام المنظمة التى كان فيها

إلينا وهى منظمة «حركة تحرير الشعب» (حتش) وكان هو أيضا عضوا فى لجنتنا المركزية. تركت إذن مكتبى كما تركت منزلى مما اضطر زوجتى نظرا لظروفها الخاصة للانتقال إلى الاسكندرية فى منزل عائلتها. وفى نوفمبر ١٩٥٠ تم القبض علىّ بمنزل مصر القديمة وعثر البوليس السياسى على مخبأ فيه يضم بعض الأوراق الحزبية ومنها مشروع لائحة الحزب الشيوعى، وكنت مكلفًا بإعداد مشروع لها. والطريف أن البوليس عندما عثر على مشروع اللائحة ظن أنها خاصة بالحزب الشيوعى المصرى (الراية) والذي لست عضوا فيه أو أن البوليس وهذا الأرجح أراد أن يزيد الاوراق التى ضبطت بمعرفته فى منازل أعضاء الحزب الشيوعى المصرى (الراية) ودس عليهم هذه الوثيقة للاستفادة منها للتدليل على قيام حزبهم. وتم فى ثانى يوم لإجراء تفتيش منزلى والقبض علىّ، القبض على كل من فؤاد عبد المنعم واحمد رشدى صالح وحلمى ياسين الذين حضروا للاجتماع لمناقشة بعض الامور. كانت معاملة المتفرغين والمحترفين على أساس تقاضيهم أجر مستوى العامل الفنى وكان ذلك استرشادًا بقاعدة عمل بها الحزب الشيوعى الفرنسى بالنسبة لأعضائه المنتخبين فى البرلمان حيث كانوا يدفعون لخزينة الحزب الذى يزيد عن هذا القدر. وعملت «طليعة العمال» بهذه القواعد باستمرار. وللعلم كان أول المحترفين هو الرفيق صادق سعد الذى تفرغ تماما للعمل الحزبى منذ عام ١٩٤٣ وتلاه أحمد رشدى صالح وأبو سيف يوسف عام ١٩٤٨ وكاتب هذه السطور عام ١٩٥٠ ثم حلمى ياسين الذى كان يعمل آنذاك فى وزارة الصحة العمومية وكان تفرغه فى مدينة المحلة الكبرى.

كان المتهمون فى قضية ١٩٥٠ كلاً من يوسف درويش وفؤاد عبد المنعم وأحمد رشدى صالح، وقدمت تلك القضية لمحكمة جنايات القاهرة فى ٢٨ يناير ١٩٥٢ أى بعد يومين من حريق القاهرة فكان لابد للمحكمة أن تتأثر بهذه الاحداث وتستغلها النيابة في مرافعتها ضدنا خاصة وأن «ابراهيم امام» رئيس القلم السياسى آنذاك حضر إلى سراى المحكمة صبيحة المحاكمة، ودخل على الدائرة قبل نظرها الدعوى فأصدرت المحكمة حكما بالسجن ثلاث سنوات على كل من المتهمين. حضرت المحاكمة إجباريا لانى كنت محبوسًا احتياطيًا على ذمة تلك القضية. ولم يحضرها فؤاد عبد المنعم الذى امتثل لقرار اللجنة المركزية بعدم المثول أمام

المحكمة والاختفاء من ملاحقات البوليس. أما أحمد رشدى صالح فلم يذعن لهذا القرار وحضر المحاكمة ظنا منه أنها سوف تفرج عنه. كانت هذه أول بادرة بعدم الالتزام لهذا الرفيق بقرارات القيادة الحزبية التى كان هو جزءاً منها. حكم أيضًا على عبد الرحمن عزت الذى كان قد تم القبض عليه بعد بضعة شهور من القبض علىَّ وصدر عليه حكم بنفس العقوبة. وللعلم قضت محكمة النقض بإلغاء حكم الادانة والاحالة إلى دائرة أخرى من محكمة الجنايات وقضت تلك المحكمة بالبراءة بعد أن كنا قضينا فى السجن العقوبة بأكملها.

أما عن أحداث السجن فقد أضرب المسجونون الشيوعيون عن الطعام عام ١٩٥١ لعدم قيام إدارة السجن بتطبيق اللائحة (أ) الخاصة بالسجون على العمال واقتصار تطبيقها على الفئات البورجوازية ومنهم المثقفون الشيوعيون، وهى تلك اللائحة التى كانت الحكومة قد أصدرتها مؤخراً والتى تحدد نظام الإعاشة فى السجن من دخول الطعام الخاص وتخصيص المبيت فى زنزانات مستقلة وللفراش السليم. لقد أبى المثقفون الشيوعيون أن تكون معاملة رفاقهم العمال أدنى من المعاملة التى يتمتعون بها. وأضرب الجميع عن الطعام فاستجابت مصلحة السجون إلي هذا المطلب وطبقت اللائحة منذ ذلك الوقت على كافة المسجونين الشيوعيين.

وعندما توفى ستالين عام ١٩٥٣ - وكنا جميعا هيئات ومنظمات نقدر ستالين - نظمنا احتفالا كبيرا فى السجن اشترك فيه الجميع، وكان عدد الشيوعيين المسجونين وقتذاك يزيد على مائة، وجرى هذا الاحتفال فى مشهد مهيب فى حوش السجن حيث أنشدنا النشيد الجنائزى المعروف لدى البروليتاريا العالمية. لقد رضخت إدارة السجن تماما بموافقة مصلحة السجون على قيامنا بهذا الاحتفال.

لما وقع حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ وقبض علي مئات من المواطنين زج بهم فى سجن مصر حيث كنا فيه، ومن بينهم عبد المنعم تمام وكان شيوعيا من «حدتو» أقحمه البوليس إقحاما فى أحداث الحريق لتوجيه اتهام القيام به إلى الشيوعيين عموما، غير أن هذه المحاولة فشلت تماما.

علمنا باندلاع ثورة ٢٣ يوليو ونحن فى السجن وتابعنا أحداثها ممن كانوا يفدون إلى السجن من المتهمين فى مختلف القضايا. أرسلنا برقية إلى محمد نجيب باعتباره قائد الثورة

آنذاك نؤيد فيها العمل من أجل إخراج الانجليز واستقلال مصر، أذكر أنه حضر الينا فى أعقاب الثورة مجموعة من الصحفيين ومنهم سعد التائه عن مجلة «التحرير» ودارت المناقشات وأخذت الاحاديث والتقطت الصور وهو ما نشر آنذاك في تلك المجلة.

وفى السجن عملنا أعضاء «طليعة العمال» على إيجاد تنظيم خاص ديمقراطى يدافع عن الحياة العامة وكان أول تنظيم فى السجون من هذا القبيل «فالحياة العامة» فى السجون والمعتقلات التى يعمل بها حتى الآن ترجع إلى هذا التاريخ. ومبدأ «الحياة العامة» مبنى على تطبيق المساواة فى الدفاع عن الحقوق والمعاملة على كافة المسجونين الشيوعيين أيا كانت إنتماءاتهم التنظيمية ولم يخرج على هذا الإجماع سوى «المنظمة الشيوعية المصرية» (مشمش) وقد أردنا نحن «طليعة العمال» أن تجرى انتخابات قيادة هذا التنظيم بحرية تامة دون التقيد بقرارات تنظيمية، وطبقنا هذا المبدأ علي أنفسنا ولم تطبقه «حدتو» على نفسها رغبة منها فى إحلال محل هذا التنظيم الديمقراطى لجنة تنسيق بين المنظمات المتواجدة فى السجن. أذكر أنه كان من بين المسجونين من «طليعة العمال» كل من كاتب هذه السطور وأحمد رشدى صالح وحلمى ياسين (فترة قصيرة) وفؤاد عبد المنعم وعبد الرحمن عزت وسيد عبد الله ومن المنظمات الاخرى عبد المنعم شتله، عدلى جرجس، توفيق فانوس من «النجم الاحمر»، وفؤاد حبشى، أسعد حليم، موريس يوسف، شهدي عطيه (بعد عودته من سجن طره)، مبارك عبده فضل من «حدتو»، وظريف عبد الله، مارسيل اسرائيل، من «نحو حزب شيوعى مصرى» (نحشم) ومصطفى طيبة وغيره من «الحزب الشيوعى المصرى»، «الراية»، ونينوكوهين، ماركوكوهين، نيقولا جازيس، بولص لطف الله، شوارتز وغيرهم من «المنظمة الشيوعية» (مشمش)

جدير بالذكر أن الحكومة كانت قد أصدرت عام ١٩٥٢ قانونًا بالعفو عن الجرائم السياسية طبق على الفور دون إجراءات تذكر على كافة عناصر الاخوان المسلمين بينما لم تطبقه محكمة الجنايات على الشيوعيين، وهى المحكمة التي نص القانون عليها للنظر في طلبات العفو أمامها بحجة واهية مؤداها أن الشيوعية جريمة اجتماعية (مثل جرائم التموين) وليست جريمة سياسية، وذلك على الرغم من أحكام الإدانة التى صدرت ضد الشيوعيين والتى كانت تنص بصريح العبارة على أنها جريمة سياسية، ليس أدل على ذلك من الحكم الذى صدر ضد كاتب

هذه السطور فى ٢٨ ينابر ١٩٥٢ والذى نص صراحة على أن الجريمة سياسية والذى ارتكبها سياسى، ولابد من أن نذكر هنا أن موقف أحمد رشدى صالح فى هذه المحاكمة من أجل العفو كان سيئا للغاية إذ تركزت مرافعته على أساس ذاتى مبجلا الثورة وأعمالها ونافيًا أية علاقة له بالفكر التقدمى، وقد استرعى هذا الموقف نظر كافة المشاهدين، من مسجونين وعائلاتهم. إنها السقطة الثانية لأحمد رشدى صالح وقد سبقه موقفه الفردى والمنعزل والمتعالى داخل السجن وهى كلها مقدمات تنبئ عن مصيره فى قضية الطبقة العاملة وفى الانتماء إلى تنظيمها. وحين خرجنا من السجن أرادت اللجنة المركزية أن تعبر عن تقديرها لموقفى وسلوكى داخل السجن وفى المحاكمة فأطلقت علىّ اسم «الحديدى» اسما حركيا.

حين قامت ثورة ٢٣ يوليو كان موقف منظمتنا هو الترقب للحكم عليها، واقترحت برنامجا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا مشيرة بتأييدها للثورة بالقدر الذى تقترب منه وتنفذه وجرت اجتماعات عامة عدة نظمها رفاقنا وخاصة بين عمال شبرا الخيمة ولعل أهم تلك الاجتماعات كان بمقهى «عوف» بشبرا الخيمة، كما شارك أعضاؤنا ومنهم محمد يوسف المدرك ومحمود العسكرى فى الاجتماع العام الذى عقد وقتذاك بمقر نقابة المعلمين بجوار برج القاهرة.

وقعت فى نفس هذه الفترة أحداث كفر الدوار حيث تم فيها إعدام كل من خميس والبقرى من عمال شركة نسيج كفر الدوار، وهو الامر الذى اتضح منه اتجاه الثورة ضد الطبقة العاملة خاصة بالمقارنة لموقفها الذى اتسم باللين والمرونة إزاء عدلى لملوم وهو من كبار الاقطاعيين عندما احتل بقواته الخاصة قسم بوليس مغاغة بالوجة القبلى واقتصر الحكم عليه بعشر سنوات.

واستنادًا إلى هذه الاحداث وغيرها وصفت «طليعة العمال» القائمين على ثورة ٢٣ يوليو بالفاشيين، على أنه لابد وأن نذكر أنه عند عودة عبدالرحمن الشرقاوى وكان عضوا فى التنظيم من رحلة قام بها فى فيينا للمشاركة فى مؤتمر السلام، أبلغنا برأى الرفاق السوفييت الذين كانوا يرون أن هؤلاء القادة «فاشيين غير عاملين» non militant fascist كما أكد قولهم أن هذه المجموعة وطنية موضوعيا.

إن أول مظاهر المواقف الوطنية لتلك المجموعة بشكل عام رفضهم بزعامة جمال عبد الناصر دخول مصر فى حلف «السنتو» حتى أنه حين أرسلت بهذه المناسبة برقية تأييد لعبد الناصر

عن هذا الموقف وافقت اللجنة المركزية على هذا. كان ذلك فى أواخر ١٩٥٣ بعد خروجى من السجن فى أبريل من نفس السنة، غير أنه عندما رفضت الحكومة تحقيق المطالب الديمقراطية وإعادة تكوين الأحزاب وقامت بعمليات الإرهاب المنظم خاصة من عمال النقل وقد استدرجتهم الحكومة فى شراكها استنكر تنظيمنا هذه الاعمال استنكاراً شديداً، كذلك الشأن بالنسبة للمحاكمات غير العادلة التى نصبت للاخوان المسلمين- على الرغم من العداء المتبادل - أصدرت المنظمة منشوراً خاصاً تندد فيه بهذه المحاكمات وبالاسلوب غير العادل وغير الديمقراطى الذى اتبع فيها.

إنعقد مؤتمر باندونج فى هذه الفترة، وحضره جمال عبد الناصر شخصياً وشارك مشاركة جادة فى هذا المؤتمر والتزم بمواثيقه. اعتبر التنظيم أن هذا خطوة إلى الامام لا يجوز إنكارها ومن ثمة اتخذ التنظيم موقفا مختلفا من الثورة متخلياً عن مقولته بأنها مجموعة فاشية للتأكيد على أنه حكم وطنى، وكان أول تنظيم شيوعى مصرى فى تلك المرحلة من مراحل ثورة يوليو يؤكد على هذه الحقيقة .وتلاه بعد ذلك «الحزب الشيوعى المصرى» (الراية) و«الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى» (حدتو) والمنظمات الصغيرة الأخرى. وقد شاركنا مع آخرين فى العمل على تعبئة الجماهير وتنظيم صفوفها حول شعارات باندونج، وشاركت مع آخرين منهم الاستاذ عصمت سيف الدولة والسيدة تحية كاريوكا وعبد العزيز بيومى وعصمت الهوارى فى إقامة تنظيم ديمقراطى مؤيد لباندونج وتم الاجتماع الاول بمكتب عبد العزيز بيومى.

وحين بدأت الأمور تتأزم بين نظام عبد الناصر والامبريالية العالمية وأساسا الولايات المتحدةالامريكية التى كانت تراوغ وتساوم فى تقديم القرض اللازم لبناء السد العالى وبعد أن دخلت مصر فى سلسلة عمليات المساندة والدعم لكافة حركات التحرر الوطنى وخاصة الجزائر مما سبب انزعاج وغضب الحكومة الفرنسية ... أفرجت عن جميع المعتقلين فى اوائل ١٩٥٦ وعملت على حشد الجماهير حولها. انعقد فى هذا مؤتمر فى نقابة المحامين وبمبادرة من نقيبها آنذاك الاستاذ الحناوى ضم ممثلين عن مختلف النقابات المهنية والنقابات العمالية. تحدث فيه الحاضرون عن وجوب إقامة نوع من الجبهة تضم كافة تلك النقابات على أنواعها لمواجهة الامبريالية ومساندة الحكم الوطنى، وألح ممثلو العمال وكان منهم محمود العسكرى وياسين مصطفى وطه سعد عثمان ومحمد يوسف المدرك وعبد المقصود أبو زيد وغيرهم بأن يكون فى

مجلس إدارة هذه الجبهة أغلبية من ممثليهم. كان اجتماعا حاشدا غير أنه لم تثمر عنه أية نتيجة عملية.

جاء بعد ذلك تأميم قناة السويس وهو الأمر الذى حاز حماس وإعجاب وتقدير كافة الجماهير الشعبية، وأيدته كل المنظمات الشيوعية. وعندما هاجمت فرنسا وانجلترا ومعهما إسرائيل الديار المصرية تم تنظيم المقاومة الشعبية وشارك أعضاؤنا فيها وأصدر جمال عبدالناصر القرار بضرورة إشراك الشيوعيين فى هذا النضال حتى أن كاتب هذه السطور وكان فى اجتماع للمحامين بنقابتهم لهذا الغرض استدعى من الاجتماع للتوجه إلي مقر هيئة التحرير بعابدين حيث تمت مقابلة مع عبد الله طعيمه وابراهيم الطحاوى اللذين كانا يشرفان على شئون الاتحاد القومى آنذاك وطالبا كاتب هذه السطور بالمساهمة فى أعمال المقاومة فكرا وكتابة وعملا. وبالفعل كان يتوجه كل يوم إلى مقر المقاومة بالاتحاد القومي ويعد المنشورات، وكان من المقرر أن يسافر إلى بورسعيد للمشاركة فى المقاومة هناك لولا ما طرأ من الظروف، وكان فى كل تحركاته وأعماله ونشاطه فى هذا المجال دائم الاتصال بمسئول المنظمة آنذاك أبوسيف يوسف.

وعندما انتهى العدوان على مصر بالفشل نتيجة مقاومة الشعب ونتيجة تدخل كل من أمريكا وخاصة الاتحاد السوفيتى، ولما استقرت الامور للحكم الوطنى لم ينس لحظة واحدة أنه حكم برجوازى معاد للطبقة العاملة وللاشتراكية فبدأ هجومه علي الشيوعيين فور الإنتهاء من العدوان وتمثل ذلك أساسا فى غلق مكتب كاتب هذه السطور للمحاماة فى ٢٦ نوفمبر ١٩٥٦ تحت ستار مقتضيات الحراسة. هنا لابد لي أن اذكر أننى لقيت كل العون من رفاقى لمساعدتى فى تلك المحنة وأخص بالذكر صديق العمر حسن صدقى حين جاء هو وزوجته مصادفة إلي منزلى يوم غلق المكتب فكان أول من عرف بهذا الخبر وعرض على إيوائى وعائلتى فى شقة بمنزل عائلته بالدقى إذا ما اقتضى الامر. إلا أن المكتب فتح بعد اسبوع من غلقه فى ٢ ديسمبر ١٩٥٦ رغم رغبة السلطة فى أن يصبح مغلقا «إلى أبد الابدين» على حد تعبير الحناوى نقيب المحامين المعين فى ذلك الحين. الحقيقة أن المكتب لم يتقرر فتحه إلا بفضل الرفاق ومعهم الجماهير الشعبية حيث قدمت إلى رئاسة الجمهورية عريضة وقع عليها ما يقرب من عشرة آلاف عامل وأخرى موقع عليها من ٢٧٠ محاميا يطالبون بفتح المكتب

ويؤكدون على وطنيتي وولائي لبلدي. إن دل ذلك على شئ فهو يدل على مردود العمل الدؤوب والصبور بين الجماهير وخاصة في الأوساط العمالية وهو ما يؤكد مرة أخرى على الإسلوب الذى كان يتبعه تنظيمنا في الالتصاق بالجماهير العريضة وبالواقع الملموس. وأذكر بهذه المناسبة أن ثاني يوم غلق المكتب جاء إلى منزلي الاستاذ شحاته هارون المحامي الذي كان قد أغلق مكتبه أيضًا ودعاني لتقديم شكوى إلى الهيئات العالمية ولكنني رفضت ذلك رفضا تاما مفضلا أن تأخذ الامور مجراها الطبيعي بالاستناد إلى الرفاق والجماهير.

فى هذه الفترة أيضًا هجمت القوى الامبريالية على المجر مما حمل حلمى ياسين بتكليف من التنظيم بوضع كتاب عن هذا الحدث وربط الهجوم على المجر بالعداوان على مصر فى عملية إمبريالية مزدوجة، وقد نشرت هذا الكتاب « المؤسسة القومية للنشر والتوزيع» وهى المؤسسة التى أنشأها التنظيم ووضع مسئوليتها في رقبة ريمون دويك. اتخذت هذه المؤسسة مقرا لها بشارع زكى بالتوفيقية بالقاهرة ثم انتقلت بعد التوسيع بشارع شريف باشا. كان يتعاون مع ريمون دويك فى هذه المؤسسة كل من حسن صدقى وحسين توفيق طلعت وصلاح خطاب ومحمد حسين شريف وميلاد حنا وغيرهم. لقد استمرت المؤسسة تسجل نجاحا بعد آخر إلى أن تم حلها بالأمر العسكرى الذى صدر باعتقال الشيوعيين فى ديسمبر ١٩٥٩.

فى صيف ١٩٥٧ جرت فى مصر إنتخابات برلمانية عامة تتم لأول مرة بعد استيلاء الضباط على السلطة فى يوليو ١٩٥٢ وفتح مجال الترشيح لكل العناصر أيا كانت انتماءاتها باستثناء من كان يصدر اعتراض عليه من الاتحاد القومى. كانت «طليعة العمال» قوية وقتذاك فكان لها مقومات مستقرة في كافة مجالات الحياة السياسية والاجتماعية وتتمتع بتأثير واسع على الجماهير خاصة العمالية منها وعلى وجه الخصوص فى شبرا الخيمة وحلوان وكفر الدوار وكانت تضم عددا كبيرا من العمال والمثقفين وقليلاً من الفلاحين ومن حولهم المرشحون والعاطفون. قررت المنظمة الدخول فى المعركة الانتخابية بمرشحين من أعضائها وأعدت برنامجا انتخابيا عاما وقررت مساندة أى مرشح من غير أعضائها يوافق على هذا البرنامج. كلفت المنظمة كاتب هذه السطور ليتولى مسئولية إدارة المعركة الانتخابية بمساعدة بعض الرفاق، وتحول جزء كبير من مكتبى للمحاماة بشارع شمبليون رقم ٢٠ إلى مقر انتخابى عام لمنظمة «طليعة العمال» فتم فيه استقبال أعضائه المرشحين مثل حلمى ياسين وحسين

توفيق طلعت وسعيد خيال وطه سعد عثمان .. وكذلك عدد من الذين أيدوا برنامجنا الانتخابى من غير أعضائنا ومنهم على سبيل المثال مجدى حساتين ومجدى غيث وغيرهما وخاصة عبد العظيم أنيس وقد أيدت المنظمة هؤلاء المرشحين وغيرهم مثل شفيق أبو عوف وأمين نور الشريف ومصطفى كامل مراد وأبو الفضل الجيزاوى.

ولما اعترض الاتحاد القومى على كل مرشحينا ومنهم طه سعد عثمان (شبرا الخيمة) وحسين توفيق طلعت (الساحل) وحلمى ياسين (روض الفرج) قررت «طليعة العمال» على الرغم من ذلك الاستمرار فى خوض المعركة الانتخابية البرلمانية بمناصرة «أقل العناصر سوءاً» من بين الذين لم يعترض الاتحاد القومى عليهم وأبقت على اللجان الانتخابية التى كانت كونتها وحولتها إلى لجان الوعى الانتخابى لتستمر فى شرح برنامجنا الانتخابى ومطالبة المرشحين بتبنيه، ومما يذكر أن نشاط «طليعة العمال» كان كبيرا جداً فى هذا الشأن لا سيما فى دائرة الساحل حيث استمر حلمى ياسين يعمل بنشاط مكثف فى هذا السبيل، وكذلك حسين طلعت.

على أنه يتوجب هنا الإشارة إلى المعركة التى خاضتها «طليعة العمال» فى دائرة الوايلى مساندة لعبد العظيم انيس الذى لم يكن عضوا فى «الحزب الشيوعى الموحد» الذى رفض ترشيحه وتأييده مفضلا عليه عبد العزيز مصطفى من عمال الترام. وحين أقبل عبدالعظيم أنيس علينا مؤيداً برنامجنا الانتخابى قررنا تركيز نشاطنا الأساسى على دائرته خاصة بعد غلق باب الترشيح أمام أعضائنا. وبالفعل انتقل كاتب هذه السطور إلي مقر عبد العظيم أنيس بدائرة الوايلى ليدير تلك المعركة وعاونه العديد من الرفاق أعضاء التنظيم منهم على سبيل المثال المرحوم شفيق اسماعيل وبعض من أهالى الدائرة، وقمنا بكافة الاعمال التنظيمية والدعائية بالاتفاق التام مع عبد العظيم انيس وشقيقه المرحوم محمد أنيس أستاذ التاريخ بجامعة القاهرة. كانت معركة دامية حقا جرت فيها الإعادة بين عبد العظيم انيس وعبد العزيز مصطفى وانحازت الحكومة بأجهزة الامن إلى هذا الاخير معبرة بسفور عن معاداتها لعبد العظيم أنيس وكان عبد الرحمن عشوب رئيس قسم مكافحة الشيوعية بوزارة الداخلية يحضر كل يوم مع عنصر آخر من هذا القسم إلى الوايلى للتجول فى الدائرة وإصدار التعليمات لعملائه للوقوف ضد عبد العظيم أنيس ولتخريب معركته الدعائية ومن ذلك أنه حين أقمنا مهرجانا جماهيريا انتخابيا فى سرادق كبير أعد خصيصا فى أحد المواقع ضم الآلاف من أهالى

الحى ومن المؤيدين من خارجه وحضره الشيوعيون من كل الاتجاهات (عدا الحزب الشيوعى الموحد) ليعبروا عن تعاطفهم معه افتعلت المباحث حادثًا لتشويه صورة المهرجان وفضه من الحاضرين حيث أشهر أحد عملائها السلاح فى وجه الحاضرين، وافتعلت مشادة مما أتاح الفرصة لتدخل رجال الامن.

لقد تم فى هذا اليوم القبض على ما يقرب من مائة من الشيوعيين من بينهم كاتب هذه السطور ونبيل الهلالى والمرحوم مجدي أبو العلا الذى كان وقتئاك وكيلا للنيابة وتم احتجازهم فى قسم الوايلى وتولت النيابة التحقيق موجهة الاتهام الأساسى إلى كاتب هذه السطور باعتباره المتهم الأول والذى كان رده فى التحقيق إتهام وزير الداخلية شخصيًا بتدبير تلك المؤامرة.

كان لابد لعبد العظيم أن يفوز فى المعركة الانتخابية وأن يتغلب على خصمه فى الإعادة إلا أنه كان بحق يخشى التزوير خاصة بتغيير صناديق الاقتراع. ألححنا على عبد العظيم انيس بـ«النوم» على الصناديق وعلى أن نقوم بمساعدته بالعناصر العديدة التى كانت حولنا، غير أنه رفض ذلك رفضا باتا. لقد تغيرت الصناديق بالفعل وشاهدنا ذلك بأنفسنا من شبابيك المنازل التى تطل علي مقر اللجنة الإنتخابية بقسم الشرطة.

نشط كافة الرفاق فى المعركة الانتخابية بالتنظيم والإثارة والدعاية واختص البعض منهم فى تجنيد العناصر الصالحة لتنضم إلى صفوف منظمتنا. كانت الحصيلة عظيمة للغاية وهو ما جعل العضوية تصل إلى ما يقرب من ٢٠٠٠ عشية الوحدة عام ١٩٥٨ إضافة إلى تدريب عناصرنا على رفع مستوى الأداء وتحسين أسلوب علاقاتهم بالجماهير العريضة.

وبعد انتهاء المعركة الانتخابية رأت قيادة المنظمة أنه يتوجب استثمار هذا الحدث التاريخى إلى أقصى حد وهو إجراء انتخابات برلمانية فى مصر لاول مرة منذ عام ١٩٥٢ ومن هنا تقرر تكوين لجنة خاصة وهى «اللجنة التحريكية» التى أخذت على عاتقها العمل على استمرار قيام اللجان الانتخابية أو لجان الوعي الانتخابي لتنشيط الجماهير العريضة فى المجال السياسى حول القضايا الأساسية فى البرنامج الانتخابى. كان من أعضاء تلك اللجنة كل من حسن صدقى، ثريا المنيرى (ثريا ادهم) فؤاد عبد الحليم، رفيعة النحاس، عادل الضبع، محمد عبد الغفار، عوض الباز، أحمد سالم، طه فوده، لبيب رمزى، وقد تولى كاتب هذه السطور

مسئولية تلك اللجنة التى كانت تعقد اجتماعات بمنزل حسن صدقى بشارع ابن مروان رقم ٧ بالدقى وبمنزل والده بشارع الرافعى بالدقى أيضاً. وبعد فترة من الزمن تقرر فض تلك اللجنة لانتهاء المأمورية الموكولة اليها وبالنظر لعقم الأوضاع الديمقراطية آنذاك.

فى يوليو ١٩٥٨ بعد إتمام عملية الوحدة بين المنظمات الشيوعية لها اندلعت الثورة فى العراق بقيادة «عبد الكريم قاسم» وشارك الحزب الشيوعى العراقى فى الثورة وعمل على توطيد أركانها وقد أيد كافة الشيوعيين هذه الثورة. كان جمال عبد الناصر فى الاتحاد السوفيتى ثم فى يوغسلافيا وعاد إلى مصر بعد أيام من قيامها. قررنا إظهار تأييدنا لسياسة عبد الناصر المعادية للامبريالية والتى تنتهج نهج الصداقة مع المعسكر الاشتراكى وحماية الاتحاد السوفيتى، كنت آنذاك مسئولا سياسيا فى لجنة منطقة شبرا الخيمة الحزبية والتى قامت عملا بهذا التوجه العام بتنظيم حشد عمالى كبير ينتقل من شبرا الخيمة إلى محطة مصر والوقوف فى ميدانها للتعبير عن شعورها عند مرور جمال عبد الناصر من المطار إلى منزله. اتفقنا على تركيز الهتافات بتحية الصداقة المصرية السوفيتية. كان كل شئ معداً تماما وانتظرت فى منزلى بشارع يوسف الجندى ساعة الصفر لألتحق بالجماهير المحتشدة وبرفاقنا غير أننى فوجئت بحضور عبد الرحمن عشوب من قسم مكافحة الشيوعية ومعه موظف أمن آخر وأخذانى أنا وخادمة المنزل إلى مبنى وزارة الداخلية بلاظوغلى، وفوجئت بتوجيه الاتهام إلىّ من رئيس قسم مكافحة الاجرام بتدبير مؤامرة لاغتيال عبد الناصر. غير أن «حسن المصيلحى» وكان وقتذاك رئيس قسم مكافحة الشيوعية تصدى لهذا الاتهام قائلا:

(١) إن الشيوعيين علي علاقة طيبة للغاية بالنظام وبعبد الناصر.

(٢) إن الشيوعيين لا يؤمنون بالارهاب الفردي.

(٣) أن يوسف درويش ليس هو الشخص الذى يقوم بمثل هذا العمل، وعلي الرغم من اقتناع رئيس قسم الاجرام بهذا الطرح استبقيت في وزارة الداخلية حتى تأكد لرجالها أن عبد الناصر قد وصل إلى منزله وآوى إلى فراشه ومن ثمة تم الافراج عنى. اتضح فيما بعد أن الذى قدم البلاغ ضدى كان بإيعاز من «مصطفى أمين» صاحب أخبار اليوم حيث كان يعمل بها فى قسم الحسابات موظف صغير باسم «زكى..» كانت تربط ابنتى «نوله» بأولاده علاقة زمالة فى مدرسة «الليسية» بباب اللوق ومن ثمة بدأت العلاقات بين العائلتين. لقد عمد هذا الموظف

على مراقبتى بعد أن اشتري إلى جانبه خادمة المنزل «أم مصطفى» والتى هرعت إليه عشية القبض عليّ لسماعها مكالمة تليفونية بينى وبين عبد الرحمن عزت وكان يعمل آنذاك محاميا بمكتبى قلت له فيها «أن كل شئ معد» مشيراً إلى الاحتفال بعيد ميلاده فى منزله وترجم «مصطفى امين» بطريقته الخاصة هذه العبارة بأن كل شئ معد لاغتيال عبد الناصر وحمل هذا الموظف على تقديم البلاغ المذكور وقد تبين ذلك من حديث طارئ بعد اعتقالى فى آخر ديسمبر ١٩٥٨ بين إحدى بنات هذا الموظف والسيدة «عايدة» التى كانت تعمل سكرتيرة فى مكتبى وبعد غلقه اشتغلت خياطة وأصبحت تتردد على منزل هذا الموظف. كان الهدف الذى يرمى اليه «مصطفى أمين» وهو المعادى الشرس للشيوعية والذى أخذ يجمع فى أرشيف أخبار اليوم ملفات كاملة بأسماء الشيوعيين وعناوينهم ومهنهم ونشاطهم، كان الهدف باتهامه كاتب هذه السطور الوصول إلى وضع نهاية للعلاقات الحسنة التى كانت سائدة وقتئذ بين عبد الناصر والشيوعيين.

خلال عام ١٩٥٧ وفى بدايته كان هناك حدث هام بالنسبة لمنظمتنا حيث عقدت «طليعة العمال» مؤتمراً حضره ٣١ عضوا أذكر منهم بالاضافة إلى كاتب هذه السطور كل من أبوسيف يوسف، صادق سعد، ريمون دويك، حلمى ياسين، نبيل قرنفلى، حسن صدقى، ثريا المنيرى (ادهم)، رفيعة النحاس، جمال البراد، رجائى طنطاوى، أحمد سالم، محمد بدر، محمد عبد الغفار، فؤاد عبد المنعم، رشدى خليل، حسين توفيق طلعت، عبد الباسط خلاف، عوض الباز، لويس اسحاق..

عقد المؤتمر جلساته لمدة ثلاثة أيام كاملة بشقة استأجرها نبيل قرنفلى باسمه بعمارة الايموبيليا بشارع شريف بالقاهرة، سبق عقد المؤتمر إجراء مناقشات واضحة ومستفيضة لمشروعات التقارير المقدمة في مختلف القضايا.

وأجرى بعدها انتخاب المندوبين فى الكونفرنسات التداولية التى قامت بدورها بمناقشة الأوراق وبانتخاب المندوبين إلى المؤتمر الذى أقر الوثائق النهائية ومنها الخط السياسى والخط التنظيمى وأسلوب العمل الجماهيرى وقضية توحيد الشيوعيين. وتغير اسم المنظمة من «طليعة العمال» إلى اسم «حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى» وانتخب أبو سيف يوسف سكرتيراً عاما كما انتخبت لجنة مركزية من ضمنهم بالاضافة إلى السكرتير العام كل من

كـاتب هذه السطور وصـادق سعـد وريمون دويك وحلمى ياسين وحسن صـدقى وثريا المنيرى (ادهم) وعوض الباز وأحمد سالم ومحمد بدر ومحمد عبد الغفار وحسين توفيق طلعت...

وبهذه المناسبة لابد أن أذكر أنه تم فى تاريخ «طليعة العمال» خلاف هذا المؤتمر انعقاد الاجتماع المؤتمرى التأسيسى عام ١٩٤٦ وانعقاد كونفرس مندوبى خلايا القاهرة في نهاية عام ١٩٤٧ والذى حضره حلمى ياسين ومحمد يوسف المدرك وتولى طه سعد مسئولية انعقاده وقد ركز هذا الكونفرس الاهتمام حول كيفية تطبيق المقومات السياسية والتنظيمية والجماهيرية على الأوضاع فى القاهرة والعمل على إجراء مسح شامل لها علي المستوى الاجتماعي اساسا.

(٢)
من عام ١٩٥٨ إلى ١٩٦٤

إذا بدأت بقضية الوحدة .. فإنه ينبغي على أن أؤكد على أنها كانت على الدوام إحدى القضايا المحورية وغاية فى الأهمية بالنسبة للشيوعيين المصريين.. حيث إن ضرورة التوحد طرحت فى أوقات متباينة وعلى مدار فترات زمنية مختلفة.

وأذكر أنه فى عام ١٩٤٦ قام تنظيم «حدتو» بتوزيع خطاب .. قال إنه مرسل من الحزب الشيوعى الفرنسى .. يطالب الشيوعيين المصريين بالتوحد. وفى هذه الأثناء كان للحزب الفرنسى ثقل خاص على المستوى الدولى .. وربما كان يشكل من حيث الأهمية الحزب الثانى فيما يلى الحزب السوفيتى.

وتم توزيع هذا الخطاب .. رفضنا فى حزبنا «طليعة العمال» مضمون الخطاب، رغم ما كان يمثله من ضغط علينا، وقام زملاؤنا فى الخارج بسؤال الحزب الشيوعى الفرنسى حول إصداره لمثل هذه الورقة، وكان رد الحزب وقتها أنه لا يتدخل فى شئون الأحزاب الشيوعية الأخرى، وكذلك أنه لم يصدر أبداً مثل هذا الخطاب.

ونحن فى «طليعة العمال».. كان لنا تقييمنا الخاص «لحدتو» .. حيث كنا نراها مجرد منظمة برجوازية لها توجهات تقدمية، وليست منظمة شيوعية.

ولكن خلال السنوات التى سبقت الوحدة ظل الخلاف قائماً ما بين المنظمات الشيوعية حول طبيعة عملية الوحدة. كان تصورنا أنه لكى تتم عملية من الوحده بين المنظمات الماركسية. فإنه لابد من أن تتم على أساس القواعد، بحيث تلتحم الخلايا القاعدية فى نضال سياسى مباشر، مع إحتفاظ أعضاء كل حزب بتوجهاتهم وخطهم السياسى والفكرى. وأنه خلال هذا العمل المشترك سيحدث نوع من الصراع الفكرى، وإذا حدث التقاء فى الرؤية فإن القواعد ستفرض هي على القيادات الوحدة. وهوما يفترض أن يحدث في الاحزاب التي تخوض هذه التجربة. إلا أنه فى عام ١٩٥٧ تم رفض هذا التوجه من قبل «حدتو» وكذلك من المنظمات الأخرى. وأوكد هنا أن «طليعة العمال» تخلت عنه ضمنياً بدورها .. ضمنياً وليس صراحة.

لم أكن مشاركًا فى مفاوضات الوحدة .. حيث إنها كانت تتم على مستوى «السكرتارية

المركزية».. التى كانت تضم فى «طليعة العمال» كلاً من - «حلمى ياسين» و«أبو سيف يوسف». كنت فقط عضواً فى اللجنة المركزية وبالتالى لا أعرف الكثير من التفاصيل الخاصة بوحدة المنظمات الشيوعية. إلا أننى أذكر أنه خلال آخر مؤتمر عقده تنظيم «طليعة العمال» فى عام ١٩٥٧ .. صدرت ورقة من بين أوراق المؤتمر، لا أتذكر جيداً مضمونها، إلا أننى أعتقد أنه كان بها نوع من التخلى عن الخط القديم للحزب فيما يخص وحدة الشيوعيين. وكانت هذه الورقة تمهيداً للوحدة مع المنظمات الأخرى.

وإذا نظرنا الآن إلى وحدة الشيوعيين ١٩٥٧/١٩٥٨ فأنها كانت وحدة فوقية، تمت عن طريق ائتلاف اللجان القيادية، بناءً على الثقل الخاص لكل حزب من حيث العضوية.

وقدتم عمل استطلاع للرأى داخل حزبنا، حول مسألة التوحد، وجاءت نتائج هذا الاستطلاع مؤيدة للوحدة.

وخلال مفاوضات الوحدة اقترحت قيادة «الراية» عدم دخول من هم من أصل يهودى إلى اللجنة المركزية، وكانت بهذا الاقتراح تعنى تحديداً ثلاثة من الأشخاص .. «أحمد صادق سعد»، «ريمون دويك» وأنا . وكان «صادق سعد» وكذلك «دويك» قد أعلنا إسلامهما قبل الوحدة بفترة قصيرة .. وكنت أنا قد أسلمت فى عام ١٩٤٧، إلا أن جملة «سعد زهران» فى توصيف ما يعنيهم القرار هى «من هو منحدر من أصل يهودى».

وأعتقد أن هذا التصور يعبر عن قمة العنصرية. وقد كان هذا الاقتراح وكذلك الاستجابة له بمثابة جرح لنا نحن الثلاثة. فبعد تضحيات كثيرة ونضال طويل، يتم التعامل معنا باعتبارنا شيوعيين درجة ثانية أو ثالثة.

وكون حزبنا «طليعة العمال» يقبل بهذا الشرط، فإن هذا أيضاً انزلاق فى هذا الخطأ العنصرى. والعناصر الوحيدة التى سجلت اعتراضها على هذا الشرط.. هى العناصر العمالية، أنا لم أعترض وكذلك «دويك» و«صادق سعد» حيث تصورنا أنه لا ينبغى أن نعوق الوحدة.

وحين جاء إلىَّ «حلمى ياسين» يبكى وهو يخبرنى بهذا الشرط .. لم أسجل أى ملاحظة أو اعتراض على اقتراح «الراية». وبالفعل قبل «حلمى ياسين» و«أبو سيف يوسف» هذا الشرط. ولم يكن لتنظيم «حدتو» أى تدخل فى هذه المسألة. حيث لم يكن لديها مشكلة فى التعامل مع اليهود أو الأجانب.

وفى نفس هذا السياق كان يحدث ضغط من قبل الحزب الشيوعي الإيطالى من أجل إتمام عملية الوحدة. وحضر إلى مصر أحد قيادات هذا الحزب ليقوم بالضغط باسم حزبه .. وتحدث فى اتجاه الموافقة علي مثل هذا الشرط.. مادام ليس شرطاً جوهرياً أو مبدئياً.

وربما ما يبرر تراخي «طليعة العمال» فى قبولها بمثل هذه الشروط أنه حدثت أصلاً حالة من التراخى والتسيب داخل الحزب بعد مؤتمر الحزب وإنتخابات ١٩٥٧.

وقد تكرر هذا الموقف العنصرى مرة أخرى، ولكن داخل السجن هذه المرة. فبعد اعتقالنا ضمن المجموعة الأولى فى «قضية الشيوعية الكبرى». تم تقديمنا إلي المحكمة العسكرية فى الأسكندرية. وجاء تكليف من «أبو سيف يوسف» بصفته السكرتير العام للحزب الشيوعى الموحد بأن على جميع أعضاء اللجنة المركزية المقبوض عليهم وكذلك كل عضو له صفة جماهيرية أن يقدم دفاعاً سياسياً واعترافا بعضوية الحزب. وكنت وقتها شخصاً له صلات جماهيرية واسعة بالعمال فى شبرا الخيمة. فكان من المنطقى أن أقدم دفاعاً سياسياً واعترافاً بالعضوية.

ومن أجل تنظيم وإعداد الدفاعات السياسية تم تشكيل خلايا داخل سجن مصر، لتجتمع وتناقش هذه المسألة. وكنت فى خلية تضم «محمد سيد أحمد»، «عبد العظيم أنيس»، «نبيل الهلالى» وآخرين.

وقدم «عبد العظيم أنيس» اقتراحاً إلى الخلية .. بألا أعترف بعضوية الحزب .. حيث إننى من أصل يهودي، ووافقت الخلية على هذا الاقتراح. وكان هذا هو الموقف العنصرى الثانى، فخرجت عنه وقدمت دفاعاً سياسياً، واعترافاً واضحاً أمام المحكمة بعضوية الحزب الشيوعى المصرى.

وبالرغم من تكليف السكرتير العام للحزب إلا أن هناك عناصر من أعضاء اللجنة المركزية والذين هم أصلاً أعضاء من «الراية» أو «حدتو» خرجت عن هذا التكليف.. ولم يعترفوا بعضوية الحزب .. مثل «فؤاد مرسى» و«إسماعيل صبرى عبد الله».

وأذكر هنا أنه كانت هناك اعترافات جيدة جداً منها اعتراف «حلمى ياسين» وكان القاضى يدعى «هلال عبد الله هلال» الذى حاول أن يستهزأ بالحزب حين أعلن «حلمى ياسين» عضويته به فقال القاضى «هو فين ده الحزب الشيوعى المصرى اللى بتتكلم عنه» فكان رد «حلمى ياسين» .. «الحزب الشيوعى موجود فى المصانع والقرى والمدارس والجامعة .. وفى قاعة المحكمة كمان».

وحدث هرج بالقاعة فقام الأمن بإخلائها من الأهالي.

وبالعودة إلى مسألة الاعتراف بعضوية الحزب فإنني أعتقد أن كسر قرار السكرتير العام بخصوص الاعتراف يعد رغبة من العناصر البرجوازية في الحفاظ على علاقتها بالنظام السياسي القائم .. وبالرغم من هذا فإن هذا الخروج عن القرار لم يحدث أي خلاف حقيقي داخل الحزب.

ويمكن هنا أن نعود إلى الوراء قليلاً خلال فترة الوحدة وما يليها قبل الاعتقال، حيث إنني أذكر أن اللجنة المركزية للحزب الموحد تم تشكيلها بنسب العضوية، وكانت طليعة العمال قد تقدمت بعدد ٢٠٠٠ عضو. وتم تشكيل اللجان القيادية بناءً على هذا، إلا أنني لا أعرف الكيفية التي تم تشكيل السكرتارية المركزية علي أساسها.

وحين حدث توحيد للخلايا .. كنت مسئولا عن منطقة شبرا الخيمة، وكان مسئول التثقيف على ما أذكر هو «فرنسيس كيرلس» وظل التعامل داخل الخلية الواحدة أو علي مستوى المنطقة وفقًا للتنظيمات القديمة .. فكانت هناك تكتلات بناءً على الانتماءات السابقة. وكنت تشعر وأنت في إحدى الخلايا أن هناك أكثر من حزب وليس حزبًا شيوعيًا واحد.

وقبل اعتقالنا وعقب الوحدة وبعد انتهاء إنتخابات ١٩٥٧، حدثت حالة من التراخي داخل الحزب، حتى على مستوى الأمان الحزبي برغم العمل السياسي الذي كان على أشده، وبدأت حالة الحذر فقط مع تصريح عبد الناصر الخاص بانتهاء معركته مع الاستعمار، بعد هذا التصريح استشعرت وجود خطر، وجهزت نفسي للأختفاء. فقمت بتأجير شقة في مصر الجديدة وأخرى في السيدة زينب. بحيث أختفي في إحداهما وأمارس عملي الحزبي والسياسي من خلال الأخرى. ولم أخبر أي أحد حتى زوجتي بهذا الموضوع.

وقتها كان مسئول لجنة التنظيم في القاهرة هو «عادل سيف النصر» .. وأثناء وجودنا في أحد الاجتماعات اقترحت أخذ الاحتياطات بناءً على وجود خطر أمني، واقترحت كذلك اختفاء العناصر التي تعمل في مواقع معينة، وقام هو برفض هذا الاقتراح، وأكد عدم وجود أي خطر بوليسي.

وبالفعل فإنه بناءً على ما قاله حدثت حالة من الراحة النفسية والتراخي. وكان الوحيد من القيادة الذي كان بالفعل لديه الحرص الكافي هو «أبو سيف يوسف» الذي اختفى ولم يتم القبض عليه معنا.

وجاءت ليلة رأس السنة .. وكنت مدعواً مع زوجتى إلى حفلة فى منزل أحد زبائنى اسمه «جاسر» وبعد عودتنا الساعة ٢,٠٠ صباحاً، تم القبض على واقتيادى إلى مقر المباحث ضمن قضية الشيوعية الكبرى التي ضمت ٦٤ عنصراً قيادياً.

بقيت فى المباحث يومين، لم يكن هناك ضرب أو تعذيب، كان فقط استجواب ثم ترحيلى إلى القلعة مع بقية المجموعة، حيث كان لنا فى البداية حرية كاملة فى إعاشة أنفسنا.

وأذكر هنا حادثة لها دلالتها، وهى أن عناصر حدتو التى لم تشارك فى الوحدة ورجعت عنها كانوا يحاولون إقناع الآخرين بمساوئ الحزب ومشاكله، وبضرورة الخروج عنه، وأحد هؤلاء الزملاء «جمال غالى» تناقش معى ضد الوحدة، واستمعت لوجهات نظره وثار «إسماعيل صبرى عبد الله» ثوره عارمة لمجرد أننى أستمعت له أى «جمال غالى».

فى هذه الفترة كانت قد بدأت تحقيقات النيابة معنا .. وفى إحدى المرات سألنى وكيل النيابة عن رأيى فى الأوضاع بمصر، فأجبته بأنها لابد من أن تتقدم. فسأل إن لم تتقدم؟ - فرديت بأنه «يوجد دستور على الدولة الالتزام به .. فبادر بالسؤال وه إذا لم تلتزم الحكومة بالدستور؟!» .. بحيث أنه وضعنى فى ركن خلال الحوار وأضطررت أن أجيبه بأننا سوف نجبرها على هذا بالقوة.

وكان هذا هو السبب فى أننى حصلت على حكم بالسجن لمدة عشر سنوات من المحكمة العسكرية.

فى مارس من نفس العام تم ترحيلنا إلى الواحات، حيث تم ترحيلنا إلى محطة القطار بالجيزة فى لوريات، وتم ربطنا بالسلاسل مثل البهائم، وكان أهالى المعتقلين منتظرون فى محطة القطار وقام البوليس بإخلاء المحطة، وحدثت صدامات بين الأهالى والشرطة نتيجة لهذا. وأذكر أن الكثير من المارة تجمعوا حول هذه المشادات .. وكان هذا هو يوم ٢١ مارس ووقع «أديب ديمترى» على الأرض أثناء تحرك القطار، وتم سحبه لمسافة حتى تمكنا من سحبه إلى داخل القطار.

وحين وصلنا إلى الواحات كان فى انتظارنا «عمت» رئيس مصلحة السجون، وكانت «العروسة» منصوبة فى ساحة السجن كنوع من التهديد، وحدث ضرب فى التشريفة، لكن التعذيب لم يكن قد بدأ بعد.. وكذلك فى هذه الفترة الأولى الخاصة بالواحات، لم يكن هناك

عمل في الجبل. بقينا هناك شهر ونصف،كانت ممنوعة عنا الزيارات وقتها، وأذكر أن منظمات دولية من بينها «الأفيش» قد أرسلت لنا أطعمة وملابس. تمت مصادرتها بالكامل من قبل إدارة السجن.

قبل المحاكمة تم ترحيلنا إلى سجن مصر، وسمح لنا بشكل محدود بالزيارات السلك وبقينا هناك حوالى العشرين يومًا، وأثناء ترحيلنا إلي سجن الحضرة بالأسكندرية من أجل المحاكمة كان هناك ضرب شديد العنف، وتم تكثيف الضرب على فؤاد مرسى»، بسبب احتجاجه بصفته عنصراً قياديًا على الضرب.

لابد هنا أن أتوقف قليلاً عند المحامى الذى ترافع عنى .. لم أكن أعرفه من قبل، كان محاميًا وفديًا اسمه «محمود البدينى» .. قدم مرافعة جيدة جداً عن حق الشيوعيين في العمل السياسى، وبعد انتهاء المرافعة وخروجه من المحكمة تم القبض عليه، وبقى فى المعتقل حوالى سنة. سافر بعدها إلى فرنسا ثم إلى بريطانيا حيث عمل مذيعًا فى الـ B.B.C، وفيما بعد وبينما كان يذيع خبراً عن إسرائيل، قام هو بتكذيب هذا الخبر حيث إن صياغة الخبر كانت مؤيدة لإسرائيل فتم فصله، فعاد إلي باريس وعمل فى منظمة اليونسكو. وقام بزيارة مصر عدة مرات إلا أنه بقى مستقراً فى الخارج.

بعد المحاكمة تم نقلنا إلى «أبو زعبل». وهنا بدأ التعذيب المكثف منذ اليوم الأول لوصولنا حيث كانت تقف سيارات الترحيل بعيداً عن بوابة السجن، وفى المسافة بين السيارات والبوابة كان هناك ضرب مكثف.

أذكر جيداً اليوم الذى مات فيه «فريد حداد» فقد كانوا يضربونه بجوار زانزانتى. ورأيته وهو مرمى على الأرض يموت وهو صامت تمامًا، كانوا أثناء تعذيبه يريدونه أن يقول «أنا خواجة» فكان رده الوحيد عليهم «أنا مصرى» حتى اللحظة الأخيرة من حياته.

واستمر الضرب والتعذيب بمعدل شبه يومى فى «أبو زعبل»، وكنا نبقى أغلب أوقات الاعتقال فى عنبر التأديب.

وكان من ضمن الزملاء الذين يعرفون كيف يقيمون علاقات جيدة وصداقات مع المسجونين العاديين «عبد المنعم شتلة».. وكان المسجونون يمدونه بالمعلومات والأخبار من الاذاعة. وعرفنا وقتها عبر هذا الطريق أن أذاعة العراق قامت بالحديث عن المعتقلين الشيوعيين وذكرت

أسماءنا .

وخلال هذا العام ١٩٥٩ ، عرفنا داخل السجن أن هناك عزبة إلى جوارنا أغلب سكانها من السجانين، ويبدو أن صوتنا أثناء الضرب وصل إلى هذه العزبة.وعرف الأهالى أن هناك أشخاصاً يتم تعذيبهم داخل هذا السجن، وتزامن هذا مع استشهاد «فريد حداد» وعرفنا أن زوجات السجانين رفضن مضاجعة أزواجهن، ودخلن فى احتكاكات ومشاكل أسرية معهم احتجاجًا على ضربنا، وحين سمعنا بهذا الموضوع في «أبو زعبل» تأثرنا كثيراً وارتفعت معنوياتنا.

ومن المواقف المؤثرة أيضًا .. أنه أثناء ضربى فى إحدى المرات احتججت على هذا الضرب ورفضته . فأودعونى فى عنبر التأديب كعقاب، وكان هناك سجان اسمه «فرج» لايشارك فى الضرب، نظر إلىّ من خارج الزنزانة فوجد الطعام لم يمس وهو متروك بجانبي، وحين سألنى عن السبب فى عدم تناولى للطعام أجبته «مليش نفس» فرد علىّ رداً أتذكره جيداً حتى اليوم .. قال.. «ياعبيط كُل .. عشان هم عايزين يموتوكوا».

فى إحدى المرات تم تحويلى من «أبو زعبل» إلى مستشفى الحميات بالعباسية، وكنت قد أصبت بالحمي، بقيت هناك لأيام زارتنى خلالها زوجتى «إقبال» وابنتى «نولة» وكانت كل قدمى مشققة من الضرب والظروف في أبو زعبل. وحاولت تغطية قدمى حتى لا يروتها.

وأعتقد أن صحتى كانت قد بدأت فى هذه الفترة فى التدهور، حيث إنه بعد هذه المرة مرضت مرة أخرى ولكن بالقلب هذه المرة مثلما حدث عام ١٩٥٧ عقب الانتخابات وكان قد عالجنى فى تلك المرة المرحوم «فريد حداد». فتم نقلى من السجن إلى مستشفى القصر العينى لفترة قصيرة عدت بعدها إلى الواحات مرة أخرى، وبمناسبة الواحات، أود أن أشير هنا إلى أنه عندما تم القبض على «أبو سيف يوسف» في عام ١٩٦٢ .. كانت علاقتنا قديمة جدا وقوية وحميمة للغاية، تناقشت معه أثناء وجودنا فى الواحات حول ضرورة الهرب من السجن، بناء على أن هذه الفكرة فىَ جوهرها «ثورية وطبقية» ووافقنى هو على ذلك .. إلا أنها كانت مسألة شديدة الصعوبة، ولم نتحدث فيها مرة أخرى. وكان هذا قبل الهروب الشهير الخاص بـ«إبراهيم هراري».

وفى الواحات قررنا أن ندخل فى إضراب عن الطعام لتحسين الأحوال داخل السجن،

وكذلك تحسين معاملتنا ، وكان يتم وقتها إتصال ما بين عائلتى وعائلة الزميل «نبيل سمعان» الذى كان متزوجًا من أخت «نسيم يوسف» وكان كذلك له أختان مصابتان بالصمم، يزورانه بالتبادل. وفى إحدى المرات كان يوم عيد ميلاده، وكان ذلك قبل توقيت بدء الإضراب، وأثناء الزيارة قام «نبيل سمعان» بإخبار أخته عن طريق الإشارات بموعد الإضراب وأسبابه، ولم يفهم الضابط الموجود أى شئ .. وأثناء عودة أخته مع زوجتى من الواحات أخبرت الأخيرة بكل التفاصيل. وقامت «إقبال» زوجتى بالاتصال بعدد من الإذاعات الأوروبية وأبلغتهم بالموضوع، وبالفعل أذاعت بعض القنوات أخبارًا عن الإضراب وهوما ساهم فى نجاحه وتحسنت أوضاعنا نسبيًا. وهذه أهم الأشياء والأحداث التى أتذكرها عن فترة السجن.

فيما يخص مسألة حل الحزب، لابد أن أشير بداية إلى أن موضوع الحل لم يتم إثارته معى إطلاقًا داخل السجن ، ولم يتم مفاتحتى فى الموضوع إلا بعد الخروج من المعتقل فى عام ١٩٦٤.

وأعتقد أن الحوار حول حل الحزب كان يقتصر وقتها داخل المعتقل على حفنة محدودة من الزملاء وداخل حلقات ضيقة للغاية.

وحسبما أعرف فأنه قد حدث إتصال من قبل السلطة مع الزملاء .. «فؤاد مرسى»، «إسماعيل صبرى عبدالله»، «عبد العظيم أنيس» وذلك أثناء زياراتهم للمستشفيات من أجل العلاج .. أما داخل السجن فكان الحديث معاكسًا لهذا التوجه تمامًا. كان دائما يدور الكلام حول ضرورة التماسك ووحدة حزبنا.

وقبل خروجنا من المعتقل مباشرة وفى الفترة الأولى بعد الإفراج كانت تدور عملية لإقصائى عن مواقع ومناصب معينة كنت متواجدًا بها، لم أكن طبعًا عضوًا باللجنة المركزية للحزب، إلا أننى كنت مسئولاً عن منطقة شبرا الخيمة، وهو الموقع الذى كان يقربنى من مركز الحزب فتم إقصائى عن هذا الموقع، وأصبحت مسئول خلية ليس لها أى سمات مشتركة وليس لها كذلك أى موقع نضال يوحدها وكانت تضم «نبيل الهلالى» و«أحمد عبد العال» وآخرين.

وقتها تصورت أن هذا الإجراء إجراء عادى، إلا أننى الآن أعتقد أنها كانت عملية إقصاء للعناصر التى تراها القيادة متشددة فيتم إبعاد هذه العناصر عن المواقع الهامة والمؤثرة وكانت هذه هى مقدمات الحل.

ومن هنا فقدت أية صفة للتأثير فى العضوية، وتم إبعادى عن صلاتى العمالية، وبعد الإفراج عنى فى مايو ١٩٦٤.. لم يتم عرض مسألة الحل أبداً على تلك الخلية، وفى أحد الأيام حضر إلى منزلى الزملاء .. «حلمى ياسين»، «أبو سيف يوسف»، وقالوا إن قيادة الحزب تفكر فى حله. وحين سألت عن مبررهم فى هذا التفكير، قالوا إنه لا يوجد الآن عضوية، وإن الظروف شديدة الصعوبة، وإنه أيضاً توجد حالة من التفكك الفعلى للحزب. هنا طالبت بالصبر لفترة. إلا أننى وجدت منهم إصراراً على موضوع الحل. اقترحت بأنه إذا كانوا قد أصدروا قراراً بالحل فأنه من الضرورى أن يتم تشكيل مجموعة أو هيئة تضمن الاستمرار فيما بعد بأى شكل، بحيث تجتمع هذه الهيئة على فترات لتراقب مدى التزام عبدالناصر بتعهداته الخاصة بدخول كل الشيوعيين إلى الاتحاد الاشتراكى العربى. وأنه إذا تغيرت الأوضاع تتم إعادة تأسيس للحزب وهو ما ينبغى أن يحدث فى حالة عدم التزام النظام بتعهداته فيكون لهذه الهيئة الحق فى أن تقرر عودة الحزب الشيوعى.

وبالفعل تم الاتفاق على هذه المجموعة وضمت «صادق سعد»، «أبو سيف يوسف»، «حلمى ياسين»، «فؤاد عبد المنعم»، «حسن صدقى»، «حسين توفيق طلعت»، و«يوسف درويش» وآخرين لا أذكرهم.

وبالفعل اتضح بعد فترة أن السلطة منعت دخول كثير من الشيوعيين للاتحاد الاشتراكى فطالبت بعقد اجتماع لهذه المجموعة، إلا أن جميعهم تهربوا أو رفضوا الاجتماع.

وبالعودة إلى الخلية التى أشرت إلى أننى كنت مسئولها.. فإن موضوع الحل لم يطرح أمامها أبداً .. حيث كانت هذه الخلية قد انتهت فعليًا قبل الإعلان عن حل الحزب الشيوعى المصرى.

لقد كنت ضد الحل، إلا أن صلتى بالقواعد كانت قد انتهت فعليًا، وكانت إمكانياتى الذاتية فى الحركة قد تضاءلت، وخصوصا مع خداعى وتزييف الحقائق الذى تم، حين قاموا بإبلاغى بأن أغلب العضوية قد انفرطت، فقد اكتشفت بعدها أن الكثير من القواعد كانت رافضة بصلابة حل الحزب، وخصوصاً القواعد ذات الطابع العمالى.

عرفت بعدها من «حلمى ياسين» أن «ميشيل كامل» قام بممارسة بعض الضغوط من أجل حل الحزب وأنه قابل «أبو سيف يوسف» وقال له .. «لو مش هايحصل حل للحزب، هاترجعوا

السجون مرة تانية»

وفى أحد لقاءاتى مع «ميشيل كامل» خلال السبعينيات فى باريس، قمت بسؤاله عن هذه الواقعة، فلم يؤكدها أو ينفيها.

أما على المستوى الخاص.. فحين خرجت من السجن كان مكتبى قد صفى وأغلق فعليًا، ولم يكن لدى إمكانية مالية لدفع إيجاره، حاولت أن أجد عملاً من خلال الحكومة بناءً على وعود السلطة بأنها ستقوم بتشغيل جميع الشيوعيين، وذهبت إلى المكان الذى حددوه من أجل المقابلات في مجلس قيادة الثورة بصاحبة «حلمى ياسين».. وقاموا بتشغيل كل المتواجدين يومها إلا أنا.

بعدها أخذت حجرة في مكتب «ظريف عبد الله».. وبدأت أعمل فى بعض القضايا إلا أن «ظريف عبد الله» قام بتصفية المكتب وسافر إلى باريس، فعرض علىّ: «نبيل الهلالى» حجرة في مكتبه، وبالفعل أخذتها وبدأت أعمل مرة أخرى كمحامٍ من خلال هذه الحجرة.

(٣)
حوار مع المناضل / يوسف درويش

حول ماجاء في سيرته الذاتية وشهادته في ٢٠ فبراير سنة ١٩٩١، أجراه رمسيس لبيب جلسة الحوار الأولى مساء يوم الثلاثاء ٦/٨/١٩٩٦.

س - ذكرت في سيرتك الذاتية أن المنظمة التي اشتهرت باسم «طليعة العمال» والتي كنت واحداً من الرفاق الثلاثة الذين أسسوها عقدت مؤتمرين، الأول عام ١٩٤٦ عندما تسمت بـ«الطليعة الشعبية للتحرر» والثاني عام ١٩٥٧ عندما تحولت إلى «حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري» فهل تم عقد المؤتمرين بانتخاب المندوبين؟

جـ - أجل، في المؤتمر الأول كان يوجد ست خلايا اختارت كل خلية مندوباً للمؤتمر، وأذكر أن المؤتمر الثاني تم أيضا بانتخاب المندوبين، ويمكن التأكد من ذلك بسؤال حلمي ياسين لأنه كان المسئول التنظيمي حينذاك.

س - لماذا لم يعقد أي مؤتمر في المدة من ١٩٤٦ إلى ١٩٥٧؟

جـ - لا أعرف ، وإن كنت أذكر أننا كنا نعد لعقد مؤتمر عام ١٩٥٠ وألقى القبض عليّ في ذلك العام ومعي مشروع اللائحة الذي كنت مكلفًا بإعداده.

س - غابت أسماء رفاق عمال مثل محمود العسكري ويوسف المدرك وطه سعد ومحمود قطب من أسماء أعضاء اللجنة المركزية الذين ذكرتهم والتي انتخبها مؤتمر عام ١٩٥٧ فهل يعد هذا مؤشراً علي غلبة عضوية عناصر البرجوازية الصغيرة على التنظيم حينذاك؟

جـ - كان في اللجنة المركزية التي انتخبها المؤتمر عمال مثل محمد بدر وأحمد سالم وعوض الباز ومحمد عبد الغفار.

س - قلت في سيرتك الذاتية إن عدد أعضاء منظمة «حزب العمال الفلاحين الشيوعي المصري» وصل عام ١٩٥٧ إلى ألفين، كم كانت نسبة العمال بينهم؟

جـ- يُسأل في هذا حلمي ياسين فقد كان المسئول التنظيمي حينذاك. وفي عام ١٩٥٠ كان ٤٧٪ من أعضاء التنظيم عمالاً، وكنا نضع قاعدة تقضي بأنه عند تجنيد عشرة أعضاء لابد أن يكون منهم سبعة عمال.

س – أشرت إلى انضمام منظمة «حركة تحرير الشعب» حتش إلى طليعة العمال فهل هى نفس «منظمة تحرير الشعب» التى أسسها مارسيل إسرائيل؟

جـ – لا .. هذه منظمة أخرى انضمت إلينا كان قد أسسها راؤل مكاريوس وعبد الرحمن عزت وحسين توفيق طلعت ، وأذكر أن انضمامها إلينا كان بناء على نصيحة الحزب الشيوعى السورى (حزب سورياولبنان قبل أن يصبح حزبين) وقد كانت علاقتنا بذلك الحزب جيدة.

س – بماذا تفسر عدم حدوث أى انقسام فى«حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى» منذ تأسيسه؟

جـ – يرجع ذلك للأسباب الآتية :

أولاً : وضوح الرؤية، منذ تأسست المنظمة عام ١٩٤٦ ، وضوح الرؤية فى المسائل الفكرية والتنظيمية والعمل الجماهيرى.

ثانيًا : كنا نتبنى نظرية سليمة فى العمل الجماهيرى تقوم على أساس أننا لسنا المهيمنين على الجماهير ولا أسيادهم. ولكننا نعمل على توجيه الجماهير وتنظيم صفوفها ونتعلم منها كما تعلمها، أى أننا كنا نعمل على مساعدة الجماهير علي أن تتطور. فمثلاً فى داخل النقابات كانت وجهة نظرنا تقوم على عدم فرض آرائنا كمجموعة أو تكتل داخل النقابة على العمال بل نعبر عن آرائنا وندع العمال يقررون ما يشاءون، وذلك بخلاف النظرية التى كانت تتبناها حدتو وهي الهيمنة على الحركة الجماهيرية بالهيمنة على النقابات

ثالثًا : كانت توجد بالتنظيم مركزية ديمقراطية حقيقية لا مركزية فقط. فبعد الاتفاق على الخط العام تكون كل خلية مسئولة عن عملها لا يتدخل فيه أحد. فمثلاً فى الحياة العامة داخل السجون وكنا نحن أول من أنشأها كنا نضع الأسس العامة كقيادة ونترك للرفاق أن يختاروا من يشاءون حتى ولو كان من يختارونه لقيادة الحياة العامة من خارج التنظيم.

رابعًا : سلوكيات القيادة، كنا نحرص علي أن يكون سلوكنا الشخصى ممتازًا فى حياتنا العامة والخاصة، وعندما كانت تثور مشاكل فى الحياة الشخصية لرفيق أو بين رفيق وآخر كنا نتدخل لحلها بروح رفاقية، وكمثل على ذلك، فى غمرة النضال فى الأربعينيات كانت ظروف العمل تستلزم أن أسير مسافات طويلة وشاقة وإلى ساعة متاخرة من الليل واقترح رفاق شراء عربة لى لتسهيل عملى ورفضت ذلك تمامًا حتى لا أبدو أمام العمال «خواجة ليس منهم»

س - ما قولك فى الاتهام الذى كان يوجه إلى «طليعة العمال» باتباعها نظرية «النمو الذاتى»؟

جـ - مضبوط بشكل عام لأننا كنا ننظر إلى هنرى كوريل ومن معه بأنهم ليسوا شيوعيين ويخربون الحركة الشيوعية، وكنا نعتبرهم إتجاهًا برجوازيًا صغيراً، وفى معتقل الهايكستب دار بيننا حوار بين حدتو وكان يمثلها مبارك عبده فضل، وقلت له إننا نتكلم لغتين مختلفتين ،ولن نلتقى أبداً.

س - ما رأيك فى الاتهام الذى وجه إلى «طليعة العمال» بالانحراف الاقتصادى؟

- غير صحيح كان لابد أن يكون التحريك مع العمال فى نضالاتهم النقابية والاقتصادية.

س - إلي أى حد كان هذا التحرك مصطحبًا بنشر الاشتراكية العلمية وكسب العمال للنضال الشيوعى؟

جـ - لقد تم ربط كثيرين من العمال بالعمل الشيوعى، وفى عام ١٩٥٠ كان عندنا كما سبق أن قلت ٤٧٪ من أعضاء المنظمة عمالاً وكنا نضع قاعدة أنه عند تجنيد عشرة أعضاء لابد أن يكون منهم سبعة عمال.

س - بالنسبة لقضية الاحتراف هل كان التنظيم يهتم بإيجاد محترفين؟

جـ - كان عندنا محترفون، أبو سيف يوسف كان محترفًا، وكان حلمى ياسين محترفًا فى المحلة الكبرى، كان محترفًا لكنه كان يمارس عملاً حرصاً على الأمان.

س - ماذا كان موقفك من وحدة ٨ يناير سنة ١٩٥٨؟

جـ -كان موقف طليعة العمال من قضية الوحدة أنه لا ينبغى أن تتم وحدة فورية، كنا نرى أنه لابد أن توجد لقاءات فى القمة للتشاور دون اتفاقيات، وأن تتم وحدة العمل بين خلايا المنظمات فى القاعدة، أى أن تتم الوحدة من القاعدة لا من القمة، وعندما تمت وحدة ٨ يناير ١٩٥٨ كان يصعب علىَّ الاعتراض رغم اعتقادى بأنها لم تكن فى مصلحة «طليعة العمال» لأنه تقرر فى مناقشات الوحدة إبعاد اليهود عن القيادة، ولأننى فى الأصل مصرى يهودى الديانة اعتنقت الإسلام عام ١٩٤٧ لم أعبر عن اعتراضى حتى لايبدو أن الأعتراض ورا» أسباب شخصية.

وأرى أن القبول بهذا الشرط فى الوحدة هو أول التنازلات التى كان لابد أن تعقبها تنازلات

أخرى فى مواجهة البرجوازية، وأعتقد أنه إرضاء للبرجوازية، كان مطلوب استبعاد الثلاثة مؤسسى «طليعة العمال».

س - ما رأيك فى أسباب أزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥؟

جـ- أرى أن السبب الرئيسى هو عدم ربط القضية الوطنية بالقضية الطبقية بما يكفى، وطبعًا درجة عدم الربط بين القضيتين يختلف من منظمة لأخرى، وأعتقد أن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة مستفيضة.

جلسة الحوار الثانية مساء يوم ١٩٩٦/٨/٢٩

س - هل كان لمنظمة طليعة العمال وجود بين الفلاحين؟

جـ - وجودنا بين الفلاحين كان ضئيلاً جداً. وقد كانت لى علاقات بالريف والفلاحين قبل نشأة «طليعة العمال» فقد افتتحت فى ميت عقبة فى الثلاثينيات فصلا لمحو الأمية كان فيه حوالى أربعين أو خمسين فلاحًا. وكان لحلمى ياسين علاقات بفلاحين فى قرية فى محافظة بنى سويف، وحاول فتح مركز لمحو أمية الفلاحين بريف طنطا.

س - هل شاركت «طليعة العمال» فى النضال المسلح فى القنال، وفى مقاومة الانجليز داخل بورسعيد عام ١٩٥٦؟

جـ - لا أذكر أننا شاركنا فى النضال المسلح في هذين الظرفين، وأرجح القول بأننا لم نشترك اشتراكًا فعليًا.

س - يقول محمد صادق سعد فى كتاب «صفحات من اليسار المصرى» إن جميع المنظمات فى الحركة الشيوعية الثانية كانت مصابة بالجمود العقائدى فما قولك فى مدى انطباق هذا القول على طليعة العمال؟

جـ - الحركة الشيوعية المصرية كلها كانت ذيلية من الناحية الفكرية للاتحاد السوفيتى، والدليل على ذلك أن «طليعة العمال» كان لها موقف حاسم بالنسبة لإقامة دولة اسرائيل إذ أنها كانت ترفض إقامة هذه الدولة، وفجأة وعندما وافق الاتحاد السوفيتى على قرار التقسيم غيرت طليعة العمال موقفها. وعلىّ أن أذكر أن «طليعة العمال» كان لها اجتهادها وكتاباتها فى قضايا مثل قضية الفلاح وقضية التمرين.

س - هل كان لحزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى استراتيجية تحدد طبيعة الثورة القادمة وقوات الثورة وحلفائها وأعدائها، وغيرها من المسائل الاستراتيجية والتى على أساسها يحدد التكتيك والبرنامج والخط التنظيمى أم كان لها فقط خط سياسى تكتيكى؟

جـ - بالنسبة للطليعة الشعبية للتحرر كان يوجد ما يسمى بالرسائل، كانت يوجد ما يسمى بالرسالة السياسية، وكانت توجد أخرى تنظيمية وثالثة جماهيرية، كما كانت توجد لائحة، وبالنسبة لعام ١٩٥٧ فقد أقر المؤتمر المقومات الأساسية.

وبالمناسبة وبخصوص ما يقال عن دراسة تاريخ مصر فقد وقع فى يدى منذ سنوات كتاب بالفرنسية لم يترجم إلى العربية لبول جاكودى كومب الأب الروحى لبدايات تأسيس طليعة العمال يتضمن دراسة لتاريخ مصر.

س - قال طه سعد فى حوار أجرى معه يوم ٢٨ سنة ١٩٩٦ أن قضية السلطة لم يكن لها حضور فى كتابات طليعة العمال، أى أن مسألة الاستيلاء على السلطة لم تكن واضحة فى الرسائل السياسية التى كانت تصدرها المنظمة فما رأيك؟

جـ - كان مفهومًا بالطبع أننا كشيوعيين نسعى إلى السلطة، ولكن لم يكن بالفعل لهذه القضية حضور فى الكتابات عن الأهداف التى نسعى إليها وذلك حتى عام ١٩٥٧ قبل انعقاد المؤتمر، ولا أذكر ما جاء فى المقومات التى أقرت عام ١٩٥٧ بهذا الشأن.

س - إلى أى مدى كان يتم تثقيف أعضاء المنظمة بالماركسية اللينينية؟.. هل كانت تعمل مدارس كادر أو توضع برامج لتثقيف الأعضاء بالماركسية؟

جـ - عملت بالفعل مدارس كادر، وقد قمت بالتدريس فى واحد منها، وكانت توجد محاضرات عن قضايا ماركسية مثل الأرباح والأجور والاستغلال الرأسمالى.

س - بالنسبة لتشكيل «هيئة العمال للتحرير القومى» فى الاربعينيات بمعرفة رفاق من طليعة العمال كطه سعد ومحمود العسكرى ومحمد يوسف المدرك باعتبارها حزبًا للطبقة العاملة يستهدف تأسيسه. ألا ترى أن إنشاء مثل تلك الهيئة يعنى عدم ضرورة الحزب الماركسى اللينينى لقيادة الطبقة العاملة؟

جـ - كان خلف تلك المحاولة المجموعة الماركسية المؤسسة لطليعة العمال وكان الهدف هو إيجاد شكل علنى للكفاح.

س – معروف أن مؤتمر ١٩٥٧ الذى أعلن تكوين منظمة حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصري ناقش موضوع الوحدة مع المنظمات الماركسية الأخرى فماذا كان موقف المندوبين من قضية الوحدة.

جـ – الأغلبية فى المؤتمر كانت مع عمل الوحدة وذلك وفقًا للتقرير المقدم للمؤتمر والذى تمت الموافقة عليه أى الوحدة وفقًا لمفهومنا الذى سبق أن تكلمت عنه. وقد شارك في ذلك المؤتمر الذى عقد فى عمارة الأيموبيليا حوالى عشرين مندوبًا أذكر منهم ابو سيف يوسف وحلمى ياسين وصادق سعد وريمون دويك وأحمد سالم ومحمد عبد الغفار وعوض الباز وفؤاد عبد المنعم ولم يحضر محمود العسكري أو طه سعد.

س – يقال إنه فى عام ١٩٥٧ كانت تجرى مفاوضات بين منظمة حزب العمال والفلاحين ومنظمة طليعة الشعب الديمقراطية لعمل وحدة بأسلوب اللجنة التحضيرية والمؤتمر التأسيسى الذى كانت تدعو إليه المنظمة الثانية. ولكن سرعان ما أوقفت منظمة حزب العمال والفلاحين المفاوضات لعمل وحدة مع المنظمتين الكبيرتين الأخريين فما رأيك فى هذا القول؟

جـ – لا أعرف شيئا عن مفاوضات من هذا النوع، وأنا لم أشترك فى أية مفاوضات لعمل الوحدة.

س – كانت لك تجربتك المبكرة والناجحة للوصول إلى الطبقة العاملة وتجنيد عناصر عمالية قيادية بارزة فما هى فى رأيك العوامل والأساليب التى ساعدتك على ذلك؟

جـ – لا تبالغ فى دورى، وأرى أنه لابد من عدة أمور يحقق توافرها الوصول إلي الطبقة العاملة والارتباط بها. فلابد من دراسة أحوال ومشاكل العمال جيداً. وفى الثلاثينيات ذهبت إلى دار الكتب وقرأت كل ما كتب عن الطبقة العاملة فى أعداد الأهرام منذ ١٩١٩ إلى ١٩٣٤ وكنت أعمل ملفًا لكل مشكلة أجمع فيه التفاصيل الخاصة بها. ولابد للمناضل الشيوعى أن يجيد الاستماع وأن يدرك أنه يتعلم من العمال قبل أن يعلمهم. وأن يتعامل معهم أولاً وقبل كل شئ بدون استاذية أو تعالٍ أى أن يكون فى تعامله معهم كواحد منهم يتكلم لغتهم لا لغة المثقفين والأساتذه، وأن يحترم تقاليدهم ومعتقداتهم، وأذكر أننى لم أتناقش مع أحد من العمال في المسائل الدينية. كان العمال يصلون بأنفسهم عبر الكفاح وظروفهم الخاصة إلى الحقيقة العلمية. لقد ارتبطت بعمال مثل الزميل طه سعد كانوا اخوان

مسلمين وأصبحوا شيوعيين دون أن أتحدث معهم أبداً عن الدين. لابد أن يعيش المناضل حياة ليست غريبة ولاشاذه عن حياة الطبقة العاملة، وأذكر أننى فى بداية الأربعينيات افتتحت فى منزلى ببولاق فصلا لمحو أمية العمال وتعليمهم الحساب واللغة الانجليزية كنت أقوم بالتدريس فيه، وكان منزلى مفتوحًا للعمال وزوجاتهم وأولادهم فى أى وقت، ولذلك سموه بيت الطبقة العاملة، ولابد للمناضل أن يكون شريفًا فى تعامله مع العمال، لقد كنت محاميًا لكثير من النقابات والعمال، وكنت أتقاضى أجراً عن عملى لأننى لم أرث شيئًا مذكوراً عن أبى ولكنه كان أجراً رمزيًا فى حين كنت أتقاضى من التجار الذين يتعاملون معى مقابلاً مرتفعًا وبذلك كنت أستطيع توفير نفقات معيشتى، وكثيراً ما عرضت علىّ رشاوى كبيرة من أرباب العمل، وعندما كانت تعرض رشوة كنت أرفضها وأسارع بإبلاغ العمال بالأمر، وأعتقد أنه فى الكفاح وحتى ينجح الثورى ويستمر فى نضاله لابد أن يؤمن أن الطريق طويل جداً، وأنه يمكن أن يقضى حياته كلها فى الكفاح دون أن يرى النصر بعينيه أو يعيشه.

قائمة بتصويبات كتاب شهادات ورؤى
«الجزء الأول»

رقم الصفحة	رقم السطر	الكلمة قبل التصحيح	الكلمة بعد التصحيح
١٠	١٠	اختياريا	لختياريا
١٦	٣	بيت عمر	ميت غمر
١٦	٥	ساعهة	ساعة
١٦	١٠	هاشت	هاشيت
١٦ (٢١)	١٢(٢٠،٢٢)	بنيقولا شادى	بنيقولاشاوى
١٦	١٣	بقداش	بكداش
١٦	١٤	الكونترن	الكومنترن
١٧	١١	الجمهوريين	الجمهوريين
١٧	١٩	ن	من
١٧	٢١	ميكل	تحذف
١٧	٢٥	ينظم	تنظيم
١٨	١٤	ابسكرا	أسكرا
١٨	١٥	انقست	انقسمت
١٩	١١	البجيلى	الجبيلى
١٩	١٧	ألا تشترك	الاشتراك
٢٠	٨	١٩٤٨	١٩٤٦
٢٠	١٣	٦٠٠	٦٠
٢٠	١٤	مصاحة	مصلحة
٢٠	١٥	عزار	عزرا
٢٠	١٦	ثلاثن	ثلاثين
٢١ (٢٥)	١٨ (٣)	كزان	حزان
٢١	١٨	المصولة	الصوفة
٢١	٢١	لرنيه	لرتين

٧٦	٢٥	المعطم	المطعم
٧٧	٢٠	المجلة	المحلة
٧٧	٢٧	الضباط	الضباط
٨٠	١١	الديكتاريورية	الديكتاتورية
٨٠	٢٧ الأخير	تردهر	تحذف
٩٢	١	اضطرب	فاضطرت
٩٢	٦	على	علم
٩٦	١٥	المطل	المطلق
٩٧	١١	حوهلا	حولها
٩٧	١٣	الشيوعيزلفت	الشيوعى ألفت
٩٧	١٤	قلت	قالت
٩٩	٢	المختزية	المخزية
١٠٢	١٥	مبدأية	مبدئية
١٠٣	١٨	تحليل	تململ
١٠٥	٢٢	من يتعقدون	ما يعتقدون
١٠٩	٧	الحسنى	الحسينى
١١١	٢	الن	الآن
١١٢	٢٣	سيده حسن	سيدة حسين
١١٢	٢٤	الشرب	العزب
١١٢	٢٦	أو زعبل	أبو زعبل
١١٣	٣	الشهير	الشهيد
١١٩	٤	للمستحرات	للمستحضرات
١٢٤	١٥	متحق	منمق
١٤٤	٩	بلا لرغم	بالرغم
١٤٧	٢١	منحت	فتحت
١٥٢	١٦	الجيل	الجبل

١٥٢	١٨	نصيفه	تصفية
١٥٧	١٣	التيمى	التبيعى
١٦٣	١٤	(ث ث)	(ت.ث)
١٦٣	١٥	وشى	(و. ش)
١٦٤	٢٥	المعركة الاولى	المعركة الثانية
١٧٩	٣	النقابى	الثقافى
١٨٠	٢٣	بالاعتقلات	بالاعتقالات
١٨٤	٢٦	حربانه	حرمانه
١٨٦	٤	بمحنة	بمنحة
١٨٨	٦،١٠،٨	الماتسترلى	المانسترلى
١٨٩	٧	ماوتسى تونج	ماوتسى تونج
١٨٩	١١	تتلاقى	تتلاقى
١٩٥	٢٠	الحلقية	الحلقية
٢٠٠	٢٤	عد المقصود وأبو زيد	عبد المقصود أبو زيد
٢٠١	٤	طلاب	كلاب
٢٠١	٦	الورد رويه	الوردة رويه
٢٠٣	١٢	النجار	التجارة
٢٠٥	١	النقابة	النيابة
٢٠٥	١٨	عادل إده	عادل إده
٢٠٥	١٩	أحمد مرنع	أحمد فرج
٢٠٩	٢٣	وشبه	وشبه احتكار
٢١٥	٣	مركز سيون	مركز بسيون
٢١٥	١٧	الإنسانى	الإنسانى
٢١٧	٤	محاكمة	إعادة محاكمة
٢١٨	١١	التوربين	التوربين
٢٢٠	٤	تسرعية	توعية

٢٢٢	٤	المزراع	المزارع
٢٢٥	٢٥	تغذيية	تغذييه
٢٢٧	١	الشعرينات	العشرينيات
٢٢٨	٢٧ الأخير	منطقة	منظمة

• حذف جملة (وقد قسم داخل اللجنة إلى ثلاث لجان فرعية: لجنة الوثائق ولجنة الشهادات واللجنة المالية) من السطر العاشر صفحة ١١.

• اضافة هذه الفقرة (الاقتصادى الهائل للاتحاد السوفيتى نتيجة الانتهاء بنجاح من مشروع السنوات الخمس الأولى، بين كلمتى "ترجع إلى التقدم ... الأول" فى السطر الأول من ص٢٤.

• حذف جملة "دخولى المعهد" من السطر الثامن عشر ص ٤١.

• إضافة (وشقيقة) بجوار شقيقان فى السطر التاسع من ص ٦١ وإضافة اسم (د. أنور الطويل لم يعتقل) بجوار الأسماء الأخرى.

• إضافة هذه الجملة (المتطلعة الى الهيمنة العالمية) بعد الامبريالية الأمريكية فى السطر الحادى عشر ص ٧٢ .

• حذف جملة "وقيام الاستعمار" من السطر الثانى عشر من ص ٩٢.

• إضافة الفقرة "وجاء الرد برفض هذا الطلب وكان الشرط لقبولنا داخل التنظيم" بعد (داخل التنظيم) فى السطر السادس- ص ٩٧.

• حذف السطرين ١٥، ١٦ حتى كلمة (التوازن) لأنهما مكرران من ص ١٢.

• إضافة هذه الجملة (يعنى يبقى لها زيارة زى بقية المساجين، فاتفقت معها بصفتـها اسمها حبشى) إلى السطر الخامس عشر من ص ١٢٢ بعد كلمة (مسجونة).

• حذف اسم "تجاتى عبد المجيد" من السطر الثامن، ص ١٧٠.

• حذف كلمة (بشراء) فى السطر ٢٦ من ص ١٩٠ وإضافة جملة "الحاكم العسكرى العام" بعد (صدر قرار) فى السطر ٢٧ من نفس الصفحة.

• إضافة جملة "دام هذا الارتباط مع تطورات وامتـداداث حدتـو مـع المنظمـات الشيوعية الأخرى" بعد كلمة (بجامعة الأسكندرية) فى السطر الرابع ص ٢١٦.

• حذف جملة "تحديد الملكية وتوزيع الأراضى المصادرة على المعدمين" من السطر الاول- ص ٢٢٢ (مكررة).

• إضافة هذه الفقرة (ورفض الاستعمار تسليح مصر لمواجهتها، ولا اصطدام الضباط مع الأخوان المسلمين واعتقال المئات منهم، كل تلك الأحداث لم تغير هذه القناعة، فقد كان من الممكن تفسيرها فى إطار "نفس التحليل".

وكانت الفترة السابقة علي اشتراك جمال عبد الناصر فى مؤتمر باندونج تتميز بتوالى الاستفزازات). بين "الاستفزازات الإسرائيلية........علـى الحـدود" مـن ص ٩٣- السطر (١٧)

اسم الكتاب : من تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر : شهادات ورؤى

المؤلف : مجموعة من المؤلفين

الناشر : مركز البحوث العربية بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية حتى ١٩٦٥

عنوان المركز :٨/ ١٠ ش متحف المنيل - منيل الروضة

تليفون وفاكس : ٥١١-٣٦٢٣

E.MAIL arc@click.Com.eg or arcaasd1@yahoo.com

الجمع والتوضيب : هبه حمدى

الطبعة الأولى

١٩٩٩